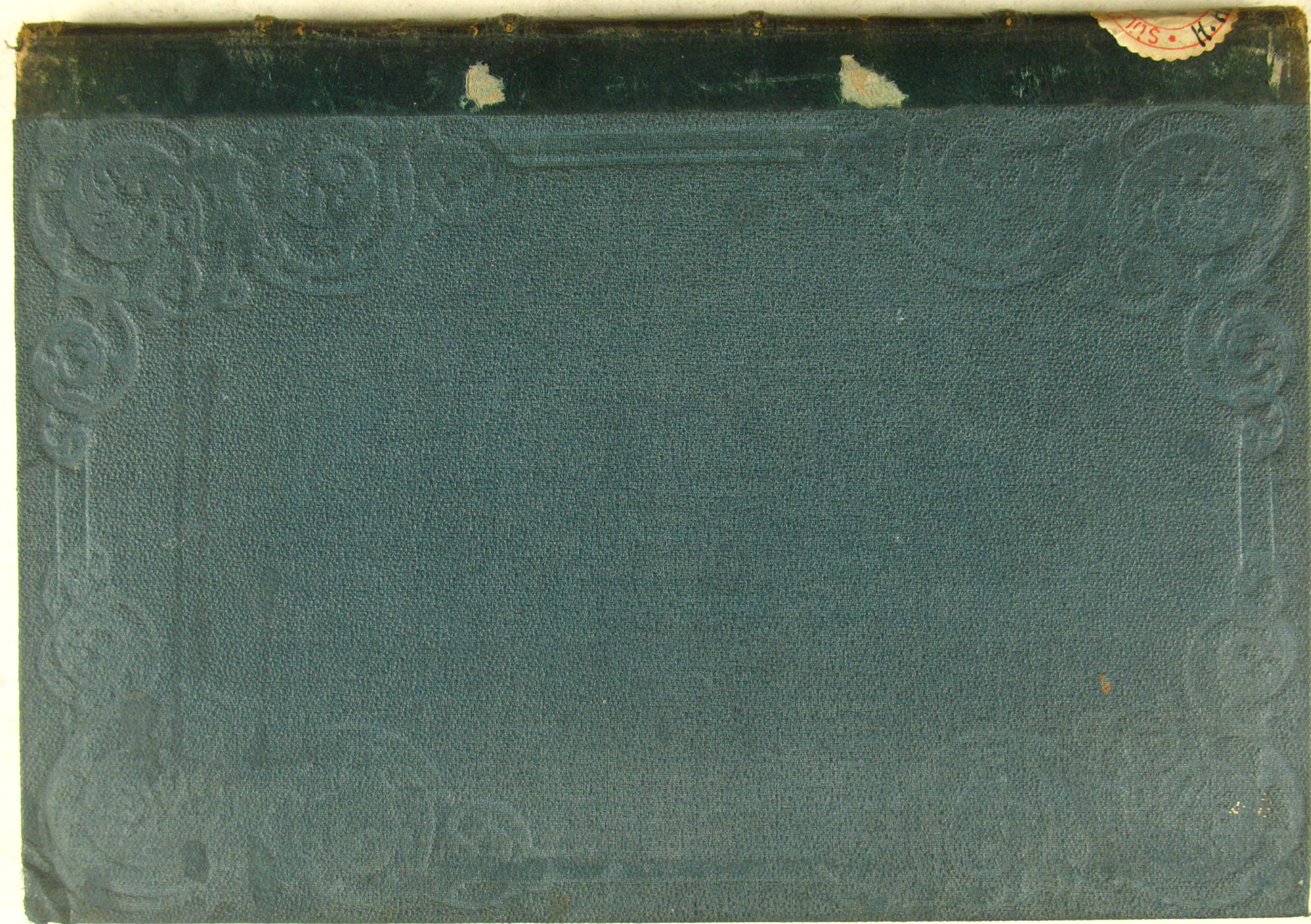
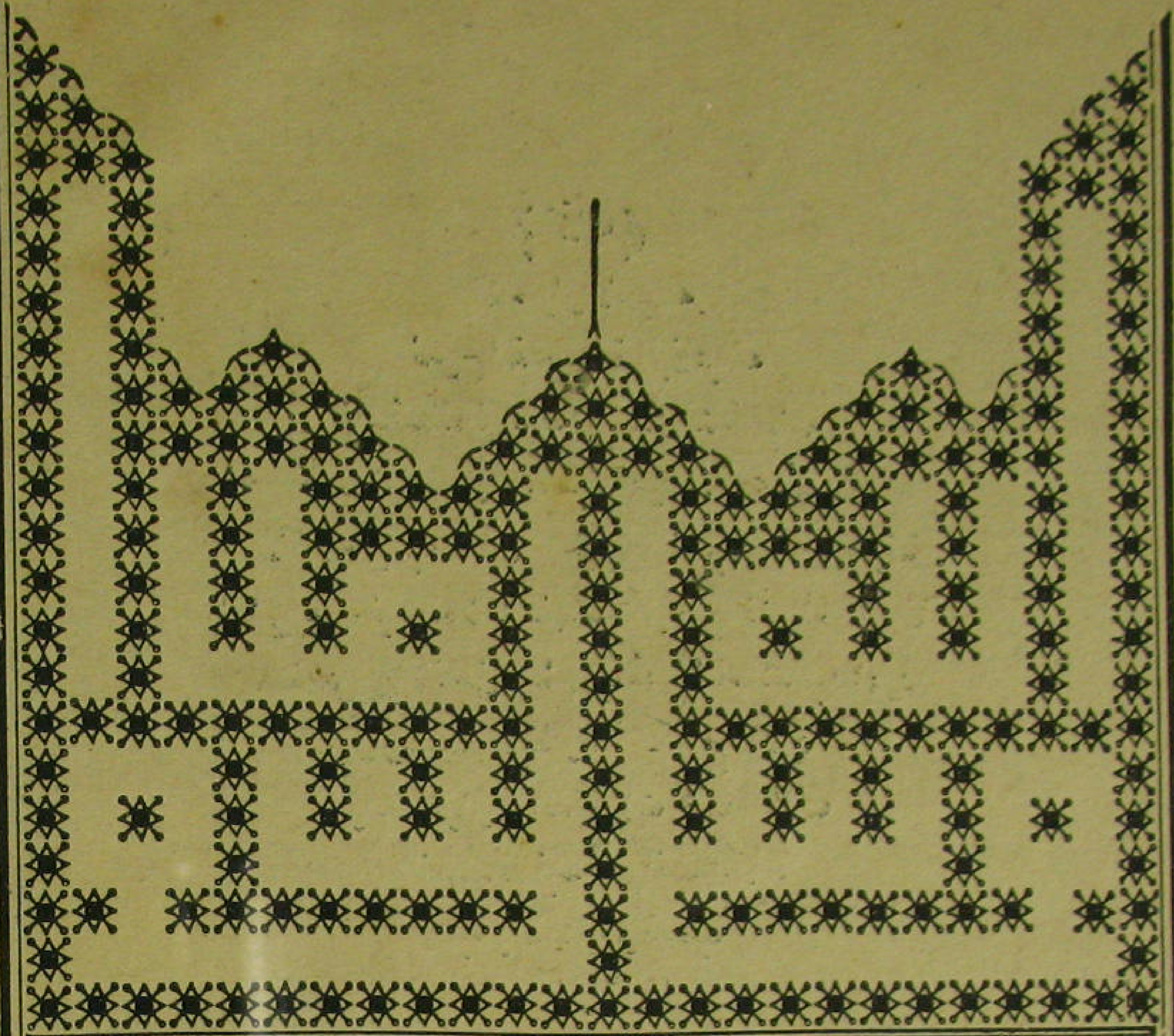


﴿كتاب﴾

الاسرار الالهيه
شرح القصيدة الرفاعيه

تأليف العالم الفاضل الذى تشد لفضله
شهب الرواحل السيد محمود شكرى أفندى
الآلوسى البغدادى الحسينى النسب الرفاعى الطرقة
والمشرب حفيد العلامة الفهامة المرحوم مفتى العراق خاتمة
المفسرين بالاتفاق الشهاب أبى الثناء السيد محمود
لازال رمسه مهبط رحمة الكريم الودود ولا
زالت عوارف الفتوحات تحف بالمؤلف
النجيب فترقيه مراتب الكمال
بحرمة النبى والصحب
والآل
آمين

﴿الطبعة الاولى﴾
(بالمطبعة الخيريه المنشأة بحوش عطى بجماليه)
(مصر المحميه سنة ١٣٠٥)
﴿هجريه﴾



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أحمدك اللهم يا من سلك بخواص عباده مسالك عنايته بأبهى سلوك الى منازل العرفان فهاموا فى مهامه الاشواق ونهج بهم مناهج هدايته فى طرق الطرائق العلية الى ربوع الاحسان فعاموا فى بحار الاذواق وجذبهم بسلاسل جذبات محبته فأوصلهم الى أرفع مقامات الاخلاص وخصهم اذ منحهم بشرف الحضور فى الحضرات الخمس فتفردوا بذلك الاختصاص وأصلى على ممدوحك الذى كونته من حميد الخصال فغدا بيت قصيد المرسلين ومحمودك الذى وشحته بأبهى وشاح من أحمد الافعال فكان عين نظام عقد النبيين وحبيبك الذى انشقت منه الاسرار وصفيك الذى انفلقت عنه الانوار بدر سماء العوارف وشمس فلك المعارف صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين أودعت فى خزائن قلوبهم المطهرة أسرار الغيوب وأترعت حياض صدورهم بكل صادر و وارد من اشراق أنوار تجليات مشاهدة المحبوب فانتظمت درر محاسنهم فى سلك الوجود أنحر نظام واتسقت مدائح شرفهم فى عقد لبة الايام ﴿أما بعد﴾ فيقول المفتقر الى فيوضات مولاه جل شأنه وعز علاه محمود شكرى الحسينى الآلوسى البغدادى صانه الله تعالى من كيد الاعادى ابن ذى الفضائل والعالم الكامل أبى السعود عبد الله بهاء الدين ابن علامة عصره وفهامة مصره مفتى العراق وخاتمة المفسرين أبى الثناء السيد محمود شهاب الدين تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم فسيح جنته ان يد التوفيق قد ناولتنى قصيدة صدحت بلابل

البلاغة فى رياضها وكرعت حمائم الفصاحة من زلال حياضها قد أينعت فيها ثمار الجزالة وأورقت فيها أغصان الرشاقة والظرافة فحازت من اللطف كماله لم أر مثلها نظاما ولا أحلى منها كلاما ولا أصدق منها لهجة ولا أقوم منها محجة نظمت فرائدها وانتظمت قلائدها فى مديح السيد الضرغام والشريف الرفيع المقام سليل الحسنين الاحسنين ناصر سنة جده سيد الكونين الذى تواتر حديث جلالته وأجمع العارفون على ولايته صاحب الاحوال الباهرة والكرامات الظاهرة والانفاس الطاهرة والبرهان المؤيد والمجد الذى لا يجحد والسر الذى عمت بركاته الحاضر والبادى وانتشر صيته فى كل ناد ووادى حتى بهر بجلال صفاته أطوار العقول ونال منه السالكون غاية الوصول حضرة القطب الذى غدا مدارا لجميع الاقطاب واستنار فى أفلاك الحقيقة شمسا مشرقة بأنوار الكمالات لا يسترها حجاب غوث الخلائق منبع الحقائق كاشف المعضلات صاحب الفتوحات السالك مسالك وصول عند الصباح يحمد القوم فيها السرى والناهج مناهج قرب تطوى فيها للمريد منازل السير حتى يقال له اخلع نعليك فانك بالوادى المقدس طوى ملاذى الذى ظاهل برفيع مقامه كل لائذ وعياذى الذى حمى بمنيع جنابه كل عائذ ذى الرشد الذى اهتدى به الى أقصى الآمال والارشاد الذى وصل به كل من تاه فى قفار الضلال رافع العلمين وثالث النيرين سمى حبيب الله عليه التحية والسلام المنيب الى مولاه ذى الجلال والاكرام مشكور المبرات والمساعى مولانا ومقتدانا أبى العباس محيى الدين السيد الكبير أحمد الرفاعى قدس الله تعالى سره وأفاض على العالمين بره فبقيت أمرح بين آرام مقاصدها وأسرح فى رياض فوائدها ففى كل لمحة يحلق بازى الفكر منها على لطيف أسلوب وفى كل لحظة يلوح لعين البصيرة غريب فن يخلب القلوب وقد اشتملت على غرر شمائل ذلك الولى الجليل وانطوت على درر فضائل ذلك الواصل النبيل فأحببت ان أعلق عليها شرحا يكشف كنوز أسرار حقائقها ويبرز مكنون رموز غوامض رقائقها فلعل ذلك يكون ان شاء الله تعالى سببا لاصلاح حالى ووسيلة لنيل آمالى وتسكين بلبالى اذ بذكر الصالحين تنزل الرحمة وبنسائم أنفاسهم تنكشف غياهب الغمة ولما يسر الله ما قصدته وأنعم جل شأنه بما تمنيته وطلبته وتم هذا الكتاب وطابت به قلوب الاحباب وتلقاه أهل السنة وأصحاب خدمة الشريعة بيد القبول وانعطفت عليه بالاستحسان أنظار أرباب الانصاف من ذوى المعقول والمنقول وسميته بالاسرار الالهية شرح القصيدة الرفاعية خدمة لاعتاب ملك أطت بسلطنته الممالك الاسلامية وتباشرت فرحا بخلافته الملة المحمدية الذى اعتدل معوج الامور بعدالته واستقامت منحنيات الامور بحسن سياسته الذى رعى الرعية بجميل الرعاية ودبر دابر أمورهم بقادم العزم وواسع الدراية شمس فلك الهمة والاقدام بدر حوالك المدلهمات اذا اشتد الظلام الباقر بحراب حروبه بطون ذوى العناد الطاعن بقناة صولته ظهور أرباب الفساد حلال عقد المشكلات بأنامل سيفه الباتر عاقد ألوية العز على هام السماك الرامح بسمر المفاخر وبيض المآثر الكاف بوكف كفه عن الخلق ضوارى الحاجات الدافع بمدافع بأسه جيوش الشدائد وعوادى العداة الذى نظم بنظام عساكره منثور الاحوال ونثر بأسنة فتكه وبطشه منظوم كتائب أرباب

البغى والضلال حتى غدت سوارى السيارات سائرة فى أفلاك أمنه وعنه وأجياد أرباب الاستحقاق مطوقة بأطواق جوده ومنه فخر الشجرة العثمانية وواسطة قلادة السلطنة السنية السلطان الاعظم والخاقان المكرم السلطان ابن السلطان أمير المؤمنين حضرة السلطان الغازى عبد الحميد خان ابن السلطان الغازى عبد المجيد خان

مجدد هذا الدين مهدى عصره • بصولته قد مهد السهل والوعرا
ماثره فى الخافقين تواترت • فشنفت الاسماع أصدافها درا
فلله آثار عطارد سعدها • على جبهة الافلاك سطرها سطرا
مزاياه يحيى الدين وزى بذكرها • وأوردمنها ما به ملأ الجفرا
باشكال تأسيس العناية هندست • قواعده فى كل زاوية قطرا
حمت بيضة الاسلام احضان رفقه • فلم تخش مادامت باحضانه كسرا
فكسرى أنوشروان فى جنب عدله • يرى عدله فى عين انصافه جورا
مليك لمن عاداه ألقى ببطشه • وأغلى لمن والاه من عزه قدرا
لقد أذعنت كل الملوك لامره • جلالا فلم ترهقه من أمره عسرا
اذا عرضت من فادح الدهر لجة • نصبنا عليها من مهابته جسرا
بنثر الاعادى من صفوف نظامه • يعلمنا قانونه النظم والنثرا
تلا حزبه آيات سورة فتحه • فلم يحو حزب قط من جزئه عشرا
وفى دوره الاعلى تسلسل نظمه • ومنه السوارى قد تعلمت السيرا
أرانا بداجى الفكر صارم عزمه • غداة غزا أهليه من غربه فجرا

أدام الله تعالى أركان دولته ثابتة بالنصر والتأييد وقباب سلطنته محفوفة بالعز والتأييد ولا برحت سدته السنية ملجأ لطوائف الملوك وعياذا منيعا للممالك والمملوك شكرا على ما أنعم على الانام وأسدى من رأفته على كافة الاسلام خصوصا ما أسبغ على العلم وبنيه والشرع الشريف وذويه ولعمرى انى لم أقصد بهذه الخدمة المباركة الا اعلاء شرف الشريعة وتأييد كلمة الطريقة ورفع هذه البضاعة الطيبة لسدة كافل حماية هذا الدين المبين على الحقيقة نصره الله وأيده وشد به أطناب الملك وشيده ألا وان القصيدة التى أشرنا اليها ونشرنا سندس هذا الشرح عليها نفثها ملك الالهام فى روع من أشرقت فى سماء قربه شمس الفتح المكتسب من أنوار سيدنا أمير المؤمنين ومنحته عناية الله رموز عرفان اعترف له بها أعيان العارفين السيد الذى رشحت كمالات فضائله من عين العناية الربانية ولمعت لمحات محاسن شمائله من افق الهداية الرحمانية سليل السادة الفاطمية الاصفياء ونخبة القادة الاحمدية الاتقياء الذى جللته التجليات بجمال السيادة وأشرقت عليه أنوار جلال الهيبة والسعادة صاحب التآليف التى أخذت بأيدى البلاغة من مهاوى التلف والتصانيف التى أنقذت غريق الفصاحة من بحار اللهف شيخ الشيوخ ومعدن الرسوخ نقيب أشراف حلب الشهباء حضرة السيد محمد أبو الهدى أفندى الصيادى الرفاعى لا زالت يد العناية آخذة بيده الى أوج العرفان ولا برحت درجات الارشاد راقية به الى فلك الهداية وعرش الاحسان آمين ويحق له ان يصرف نقود الافكار

بمدح هذا الامام الذى اشتهر أمره فى الآفاق وانتشر لواء فضله فى بلاد الله على الاطلاق وامتد فى المقامات والاحوال باعه وعمرت بالفضل والافضال رباعه

الامام الجليل غوث البرايا • غيثها المرتجى ندى احسانه
ذو سجايا مثل الرياض سقاها • وابل القطر من ندى هتانه
بحر جود له جداول عشر • فى يديه تدفقت من بنانه
سار فى الخافقين ذكر علاه • وعلا قدره على كيوانه
فائض العلم عن روية فكر • كاد يجلو سر القضا بعيانه
ثابت الذهن كم خفايا علوم • قد جلاها بالكشف عن برهانه
فهو كشاف مشكلات معان • حل الفاظها بديع بيانه

رضى الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا به وباخوانه أولياء الله أجمعين وهذه القصيدة التى ذكرناها وبهذا المختصر شرحناها قال ناظمها لا زال ناظما لعقود المعارف رافلا بامراط النعم والعوارف

نور قرب فى حالة البعد أقبل • فغشى موكب الامام المبجل
شيخنا السيد الكبير الرفاعى • أعظم الصالحين حالا وأفضل
لاثم الراحة الشريفة فى مشهد مجد سما باشرف مرسل
فرع ذاك الاصل الاصيل سليل النسب الطاهر الشريف المسلسل
ناصر السنة السنية شيخ القوم انداهم وعينا وأطول
صاحب الهمة التى قام منها • فوق عرش الكمال للفضل هيكل
فلك الفخر بهجة الدهر معنى • دولة الاولياء فى كل محفل
ذل فى ساحة الدلال كمالا • وعجيب مدلل يتذلل
حل من حضرة التمكن رحبا • عز أن ينتهى اليه مكمل
فلهذا أضحى امام البرايا • وعليه فى العارفين المعول
جبل راسخ أبان سلوكا • عن طريق الرسول لا يتحول
شرف حط عن مداه السوارى • ونضار نصوصه البيض تنقل
ليت شعرى وهل تساعد ليت • وأرانى برحبه أتملل
ذاك غاب فيه توسد ليث • من على ليث الاله تنسل
علم الشرق قطب دائرة الصد • ق منبع الحمى الامام المفضل
باب وصل بفضله لابيه • سيد الانبيا الاولى يتوصل
وبعالى عرفانه فى المهما • ت الى الله ربنا يتوسل
وجدير بمن يراه ضراعا • ان يرى النجح فى الامور ويقبل
رضى الله عنه ما افتر ثغر الروض لطفا فى ساحة رشها الطل

وههنا أمور يجب التنبيه عليها والاشارة قبل الخوض فى المقصود اليها الاول أن مراتب الكمال أربعة وباستكمالها يحصل للشخص غاية الكمال أحدها معرفة الحق الثانية عمله به الثالثة تعليمه من لا يحسنه الرابعة صبره على تعليمه والعمل به وقد أشار الناظم

سلمه الله تعالى فى قصيدته هذه الى أن السيد رضى الله تعالى عنه قد نال هذه المراتب الاربعة واستكمل الفضل أجمعه فقد أشار الى المرتبة الاولى بقوله حل من حضرة التمكن رحبا الخ بل الى غايتها فان التمكن كالتمكين مقام الرسوخ والاستقرار على الاستقامة ومادام العبد فى الطريق فهو صاحب تلوين لانه يرتقى من حال الى حال وينتقل من وصف الى وصف فاذا وصل واتصل فقد حصل التمكن وكثير من أبيات القصيدة تشير الى هذه المرتبة أيضا والى المرتبة الثانية بقوله أعظم الصالحين الخ وقوله ذل فى ساحة الدلال الخ والى الثالثة بقوله شيخنا السيد الخ وقوله ناصر السنة السنية شيخ القوم الخ وقوله دولة الاولياء أى رئيسهم وقوله أضحى امام البرايا الخ وقوله أبان سلوكا عن طريق الرسول والى الرابعة بقوله صاحب الهمة الخ وقوله جبل راسخ وكان الناظم سلمه الله تعالى لم يرتب ذلك على ترتيب المراتب السابقة اعتمادا على فهم الفطن اللبيب وانما قلنا ان استكمال هذه المراتب يوجب غاية الكمال لان الكمال ان يكون الشخص كاملا فى نفسه مكملا لغيره وكماله باصلاح قوته العلمية والعملية فصلاح القوة العلمية بالايمان وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات وتكميله غيره بتعليمه اياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل فتدبر الثانى من الامور أن عدة أبيات هذه القصيدة تسعة عشر بيتا والادباء يستحسنون ان تكون القصيدة وترا وأن يجاوز بها العقد أو توقف دونه كل ذلك ليدلوا على قلة التكلف والقاء البال بالشعر فلهذا راعى الناظم سلمه الله هذه النكتة فى اختياره العدد المذكور وقد اختلفوا فى مقدار ما تطلق عليه القصيدة فقيل ثلاثة أبيات فصاعدا وقيل ما فوق السبعة والافهى نتفة وفى عمدة ابن رشيق ومن الناس من لا يعد القصيدة الا ما بلغ عشرة أو جاوزها بيت واحد وأقول ان هذا هو الشائع اليوم بين الادباء والعدد الذى أشرنا اليه لم يبلغ حد الطول فيمل ولا القصر فيستقل وهذه الطريقة أعدل الطريقتين وأحسن المرتبتين ولكل مقام مقال وقد سئل عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل قال نعم ليسمع منها قيل وهل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها وقال الخليل بن أحمد يطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ ويستحب الاطالة عند الاعذار والانذار والترغيب والترهيب والاصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحرث بن حلزة ومن شابههما والا فالقطع أطير فى بعض المواضع والطوال للمواقف المشهورة وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر الى القطع حاجته الى التطويل بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج اليها منه الى الطوال وقال أحد المجددين وهو محمد بن حازم

أبالى أن أطيل الشعر قصدى * الى المعنى وعلمى بالصواب

وايجازى لمختصر قصير * حذفت به الطويل من الجواب

وقيل لابن الزبعرى انك تقصر أشعارك فقال لان القصار أولج فى المسامع وأجول فى المحافل وقال مرة أخرى يكفيك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة وقيل للعماز لم لا تطيل الشعر فقال لحوفى الفضول وحذقى بالفصول وزعم الرواة أن الشعر كله انما كان رجزا أو قطعا وانه انما قصد على عهد هاشم بن عبد مناف وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس وبينهما وبين مجىء الاسلام مائة ونيف وخمسون سنة ذكر ذلك الجمحى وغيره وأول من

طول الرجز وجعله كالقصيد الاغلب العجلى شيأ يسيرا وكان على عهد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ثم أتى العجاج فافتن فيه فالاغلب العجلى والعجاج فى الرجز كامرئ القيس ومهلهل فى القصيد والشاعر اذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل وقد جمع ذلك كله الفرزدق ومن المحدثين أبو نواس وكان ابن الرومى يقصد فيجيد ويطيل فيأتى بكل احسان وربما تجاوز حتى يسرف وخير الامور أوساطها وهو القائل

واذا امرؤ مدح امرأ لنواله * وأطال فيه فقد أراد هجاءه

لو لم يقدر فيه بعد المستقى * عند الورود لما أطال رشاءه

وللناظم متع الله تعالى المسلمين بحياته القدح المعلى من جميع هذه الاقسام كما نقله عدول الرواة والمخبرون الثقاة وقد بلغنى أن له من بليغ الشعر ديوانا حافلا وكتابا كاملا فلله دره ما أفضله وما أعلمه وما أكمله الثالث أن هذه القصيدة من بحر الخفيف وهو ثالث أبحر الدائرة الرابعة سمى به لخفته فى الذوق قال الخليل وذلك لكثرة الاسباب فيه وأجزاؤه فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن مرتان وهو فى الاستعمال مسدس على الاصل ومربع مجزوء ولمسدسه عروضان العروض الاولى سالمة ولها ضربان سالم ومحذوف والعروض الثانية محذوفة ولها ضرب مثلها ولمربعه عروض سالمة وضربان سالم ومقصور مخبون بيت الضرب الاول من مسدسه

حل أهلى ما بين درنا فبادو * لى وحلت علوية بالسخالى

تقطيعه حلل أهلى فاعلاتن ما بين در مستفع لن نافبادو فاعلاتن لا وحلت فاعلاتن علويتن مستفع لن بسسخالى فاعلاتن

بيت الضرب الثانى منه

ليت شعرى هل ثم هل آتينهم * أم يحولن من بعد ذاك الردى

تقطيعه ليت شعرى فاعلاتن هلثمهل مستفع لن آتينهم فاعلاتن اميحولن فاعلاتن منبعد ذا مستفع لن كرردا فاعلن بيت الضرب الثالث منه

ان قدرنا يوما على عامر * ننتصف منه أو ندعه لكم

تقطيعه ان قدرنا فاعلاتن يومنعلا مستفع لن عامرن فاعلن ننتصفمن فاعلاتن هو اوندع مستفع لن هولكم فاعلن بيت الضرب الاول من مربعه

ليت شعرى ماذا ترى * أم عمرو فى أمرنا

تقطيعه فاعلاتن مستفع لن مرتين بيت الضرب الثانى منه

كل خطب ان لم تكو * نوا غضبتم يسير

تقطيعه فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فعولن ويلى أمر هذا الضرب عند الخليل الردف وقد رأى بعض أصحاب هذه الصناعة فى فعولن هذه حملها على خبن مس وكسف تفع من مس تفع لن مخطئا حاملها على الخبن والقصر قائلا ان القصر يستلزم فى علم القافية كون الروى من الوتد الذى هو الآن لام من فعولن وكون وصل الروى من السبب وهو نونه ولا نظير لهذا المستلزم فان الروى والوصل يكونان بين جزء واحد أى سبب أو وتد لكن هذا الرأى يستلزم كسف الوتد فى غير آخر الجزء ولا نظير لهذا المستلزم أيضا وان شئت فتأمل زحافات

فاع لاتن فى المضارع كيف تجد فاع ممتنعا من الكسف وأما امتناع حل فعولن هذه على القطع فظاهر لفقد الوتد المجموع اذا تأملت ويدخل هذا البحر من الزحاف مالوذكرناه لاطال الكلام فى مثل هذا المقام ولذلك أعرضنا عن تقطيع أبيات القصيدة على أن ذلك غير خفى على من له نظر ثاقب فى فنون الادب من فضلاء العرب وقد آن للقلم أن يسرح فى رياض هاتيك الابيات ويصدح على أفنان أغصانها بأنواع النغمات فأقول وبالله تعالى التوفيق نعم المولى ونعم الرفيق قال الناظم بيض الله تعالى غرة أحواله ونور بنور السعادة وجوه آماله

﴿نور قرب فى حالة البعد أقبل • فغشى موكب الامام المبجل﴾

أقول لم يصدر الناظم متع الله المسلمين بحياته قصيدته هذه بالبسملة ولعل ذلك لما رآه غير واحد قال أبو جعفر النحاس اختلف العلماء فى كتب بسم الله الرحمن الرحيم قبل الشعر فكره ذلك سعيد بن المسيب والزهرى وأجازه النخعى وكذا يروى عن ابن عباس قال كتب بسم الله الرحمن الرحيم أمام الشعر وغيره قال أبو جعفر ورأيت على بن سليمان يميل الى هذا وقال ينبغى أن تكتب أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم لانه يجيء قال فلان وما أشبه ذلك قال العلامة ابن رشيق ولعل هذا فى الشعر اذا دوّن فاما قصيدة يرفعها الشاعر الى ممدوحه فلا يكتب فيها اسم قائلها لكن بعدها واذا كان الامر هكذا فلا سبيل الى كتب البسملة لان العذر حينئذ ساقط انتهى وهذا التفصيل حسن يمكن أن يجمع به بين الاقوال المتعارضة والله أعلم والنور بالضم الضوء أيا كان أو شعاعه جمعه أنوار ونيران وفرق البعض بينهما بان النور منشأ الضياء ومبدؤه كما يشير اليه استعمال العرب حيث أضافوا الضياء اليه كما قال ورقة بن نوفل ويظهر فى البلاد ضياء نور وقال العباس رضى الله تعالى عنه

وأنت لما ظهرت أشرقت الار • ض وضاءت بنورك الافق

ولهذا أطلق عليه سبحانه النور دون الضياء ومن ذلك يعلم وجه وصف الشريعة المحمدية بالنور فى قوله تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين والشريعة الموسوية بالضياء فى قوله سبحانه ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى للمتقين وكذا وجه وصف الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فى حديث مسلم بالنور والصبر بالضياء كذا قيل وأورد عليه انه قد جاء وصف ما أوتيه موسى عليه السلام بالنور وقال آخرون ان الضياء أقوى من النور لقوله تعالى جعل الشمس ضياء والقمر نورا قيل ومن هذا قال بعض الحكماء ان الضياء ما يكون للشئ من ذاته والنور ما يكون له من غيره وقد استعمل الضياء لما فيه حرارة حقيقة كالذى فى الشمس أو مجازا كالذى فيما أوتيه موسى عليه السلام مما فيه شدة ومزيد كلفة ومنه الصبر ضياء ومعلوم انه كاسمه والنور لما ليس كذلك كالذى فى القمر وفيما جاء ممن انشق له به من الشريعة السهلة السمحة التى ليلها كنهارها ومنه الصلاة نور ولا شك أنها قرة العين وراحة القلب كما يشير اليه وجعلت قرة عينى فى الصلاة وأرحنا يا بلال واستعمل النور لما يطرأ فى الظلم كما ورد كان الناس فى ظلمة فرش الله تعالى عليهم من نوره والضياء ليس كذلك والذى يميل اليه بعض أجلة العلماء المحققين أن الضياء يطلق على النور القوى وعلى شعاع النور المنبسط فهو بالمعنى الاول أقوى وبالمعنى الثانى أدنى ولكل مقام مقال

ولكل

ولكل مرتبة عبارة ولا حجة على البليغ فى اختيار أحد الامرين فى بعض المقامات لنكتة اعتبرها ومناسبة لاحظها وآية الشمس لا تدل على أن الضياء أقوى من النور أيضا وقع فالله نور السموات والارض ولله تعالى المثل الاعلى فافهم وشاع اطلاق النور على الذات المجردة دون الضياء ولعل ذلك لان انسياق العرضية منه الى الذهن أسرع من انسياقها اليه من النور فقد اشتهر أنه عرض وكيفية مغايرة للون والقول بانه عبارة عن ظهور اللون أو انه أجسام صغار تنفصل من المضىء فتتصل بالمستضىء مما بين بطلانه فى الكتب الحكمية وان قال بكل بعض من الحكماء والتقابل بينه وبين الظلمة تقابل العدم والملكة فهى عدم الضياء عما من شأنه ان يكون مستضيأ واعترض وأجيب بما هو مذكور فى تفسير الجد طيب الله تعالى ثراه وقيل التقابل بينهما تقابل الايجاب والسلب ﴿والقرب﴾ الدنو وله عند السادة الصوفية معنى آخر وهو القيام بالطاعة وهو ملزوم لما ذكرنا والقرب الى الله تعالى يكون بالفرض والنفل قال صلى الله تعالى عليه وسلم حاكيا عن ربه جل وعلا ما تقرب الى المتقربون باحب من أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا ويروى بلفظ آخر مشهود ومقتضى القرب بالفرائض تجلى الحق له وظهور العبد بحسب الحق غير محدود ولا متناه ومقتضى القرب بالنوافل تجلى الحق للعبد متلبسا بقابليته المحدودة ونقل أن بعض أكابر السادة الصوفية فرق بين قرب النوافل وقرب الفرائض بان قرب النوافل يترتب عليه أن يكون الحق سمع العبد الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها وقرب الفرائض يترتب عليه ان يكون العبد للحق سمعا وبصرا ويدا الى غير ذلك انتهى وهو كلام تقشعر من ظاهره جلود الذين آمنوا وعامة ما نقول انه طور وراء طور العقول وحسن الظن بقائله يحكم بانه قصد معنى صحيحا لا تأباه الشريعة الحنيفية التى ليلها كنهارها ثم القرب اما غير مفرط وهو مختلف بحسب كثرة الطاعات وقلتها واما مفرط وهو وان كان خفيا يعبر عنه بقاب قوسين وان كان أخفى عبر عنه بأو أدنى ولذا قيل انه قد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين وفى هذا المقام يحصل الاتصال بالحق سبحانه ولكن مع بقاء التمييز والاثنينية وفى المقام الآخر وهو القرب الاخفى يحصل الفناء المحض والطمس الكلى المرسوم فيرتفع التمييز والاثنينية الاعتبارية هنالك وهذا أيضا طور ما وراء طور العقل وبالله تعالى الاعتصام وعليه الاعتماد فى كل مقام ﴿وفى﴾ حرف جر له عشرة معان مبينة فى محلها والمراد بها هنا اما الظرفية أو المصاحبة ولا يخفى اعتبار كل (والحالة) الهيئة والصفة والحال يذكر ويؤنث وتطلق عند المعتزلة على صفات المعانى كالعالمية وتطلق أيضا على الصفة الغير الراسخة المقابلة للملكة وعلى الزمان الذى بين زمانى الماضى والمستقبل والمراد بها فى قول الناظم فى البيت الآتى أعظم الصالحين حالا الى آخر ما ذكره القشيرى وهو ما يرد على القلب من غير تأمل ولا اجتلاب ولا تخييل ولا اكتساب فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب الاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود صاحب المقام متمكن فى مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله والاحوال كلها تزول بسرعة وأنشدوا

لو لم تحل ما سميت حالا • وكل ما حال فقد زالا

وأشار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها قالوا اذا لم تدم وتتوال فهى لوائح فاذا توالت تلك الصفة فعند ذلك تسمى حالا والواجب فى ذلك ان يقال من أشار الى بقاء الاحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى مشربا لاحد فيترقى فيه ولكن لصاحب هذه الحال طوارق لا تدوم فوق أحواله التى صارت مشربا له فاذا دامت هذه الطوارق له كما كانت الاحوال المتقدمة ارتقى الى أحوال أخر فوق هذه فاذن يكون فى الترقى ومقدورات الحق لا نهاية لها واذا كان الحق عزيزا فالوصول اليه بالحقيقة محال فالعبد أبدا فى ارتقاء أحواله فلا معنى يصل اليه وفى مقدور الله تعالى ماهو فوقه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار سيآت المقربين وأنشدوا فى المعنى

طوارق أنوار تلوح اذا بدت • فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

﴿والبعد﴾ ضد القرب بالمعانى السابقة وهو عند المتكلمين عبارة عن امتداد قائم بالجسم أو بنفسه عند القائلين بوجود الخلاء كافلاطون واللام فى البعد عوض عن المضاف اليه أى بعد العبد ونحوه ويقال ذلك استقصارا للنفس واستبعادا لها مما يقرب الى رضوانه سبحانه وبه يوجه قول الداعى يارب يا ألله وهو أقرب اليه من حبل الوريد مع فرط انتهالك على استجابة دعائه والاذن بندائه وتعقب بأنه اقناعى فان الداعى يقول فى دعائه ياقريبا غير بعيد يامن هو أقرب الينا من حبل الوريد وأين هذا الكلام من الانتصاب فى مقام البعد وقد يجاب بأن ذلك غير مناف للانتصاب المذكور ولا بعيد منه لان المراد استقصار نفسه واستبعادها مما يقرب الى الرضوان كما علمت وقوله فى حالة البعد فيه اشارة لقول الممدوح الغوث الاكبر مولانا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه تجاه مرقد جده صلى الله عليه وسلم يوم زاره • فى حالة البعد روحى كنت أرسلها • الى آخر البيتين وسيأتى ذكر القصة ان شا تعالى ﴿والاقبال﴾ مقابل الادبار ﴿والتغشيه﴾ التغطية وهى فى قوله تعالى يغشى الليل النهار من هذا الباب وتفسير الزمخشرى لها فى الاعراف بالالحاق نظر للخلاصة والزبدة من الكلام ثم حققه فى الزمر وفى كون الغاشى الليل لان معناه أنسب به من النهار ولانه يلزم على عكسه ان يكون الليل مفعولا ثانيا والنهار مفعولا أولا وفى ذلك مافيه أو النهار لان حميد بن قيس قرأ يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار وهى تقتضى ذلك وتوافق القراءتين أولى من تخالفهما ولان قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار على ماذكر المرزوقى يوذن بقبلية الليل ولان الطلب الحثيث المفاد بما بعد من النهار أظهر خلاف والزمخشرى اختار هذا تارة وذاك أخرى ولعله مبنى على اختلاف المقام وبما قررنا يندفع ماعسى ان يختلج فى بعض ظلمات الاوهام بعد اسناد غشى الى النور فى هذا البيت المشرقة ارجاؤه ببدور البلاغة ﴿والموكب﴾ الجماعة ركبانا أو مشاة أو ركاب الابل فى الزينة ولكل جماعة اسم مخصوص ليس هذا محل الاستيفاء والتفصيل ﴿والامام﴾ المقتدى بافعاله وأقواله وفيه تفصيل ذكرته فى مختصر التحفة الاثنى عشرية وأل فيه كهى فى أم يحسدون الناس على قول ﴿والمبجل﴾ كمعظم لفظا ومعنى كبجال وبجيل ومن الناس من فرق بين التبجيل والتعظيم بان الاول قلبى والثانى قالبى أو اعم ولا ثبت له فيما أرى وحاصل معنى البيت ان النور

الالهى

الالهى والضياء القدسى قد أشرق من بروج درجات القرب ولمع من شموس الحب التى لا تدرك ولا تنال ولا يتوصل اليها بحبال الخيال قد غشى أصحاب الامام المبجل ومقتدى الانام المفضل الذى عمت فضائله الاقطار وظهرت جلالة قدره ظهور الشمس فى رابعة النهار حتى كأن الاذن لم تسمع سوى مزاياه والعين لم تنظر سوى آثار ماخصه به مولاه عز علاه

شجو حساده وغيظ عداه • ان يرى مبصر ويسمع واع

والمراد بأصحاب هذا الامام والشيخ السيد الهمام السالكون فى طريقته والسائرون فى محجته والمهتدون بهديه والمؤتمرون بأمره والمنتهون بنهيه ولاشك ان مثل هؤلاء من تشرق على وجوههم أنوار القرب والوصول وتظهر فى أسارير جباههم آثار الفوز بحصول المأمول كيف لا والمتبع لهذا الامام المبجل هو فى عين الرضا من الله عز وجل فقد كان من أحرص الناس على اتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام كما نطقت بذلك الكتب المعتبرة واستفاض على السنة الخواص والعوام وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله والبيت يحتمل معانى أخر والذى ذكر فيما عندى أظهر والاحتمالات تتفرع عما فى الاضافة من الوجوه ومايراد بحالة البعد وهذا عند البلغاء يسمى الاتساع وهو ان يأتى المتكلم بكلام يتسع فيه التأويل بحسب ما تحتمله ألفاظه على قدر قوى الناظرين ومن ذلك كما قيل قول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما • نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقد اتسع النقاد فى تأويله فمن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا ومن قائل تضوع المسك بفتح الميم ورفع الاسم أى الجلد ونسيم بالنصب وقيل غير ذلك ومنه قول المتنبى من أبيات لولا مفارقة الاحباب ماوجدت • لها المنايا الى أرواحنا سبلا

ومن غريب ماقيل فيه ان لها جمع لهاة كحصيات وحصا والمنايا مضاف اليه وفى الكلام استعارة مكنية تخييلية وهو كما ترى وأكثر أبيات المتنبى من هذا الباب وباب الاتساع واسع عند من تتبع كلام الشعراء وأمعن النظر وهل يسمى الاتيان بكلام يتسع فيه احتمالات وجوه الاعراب اتساعا أم لا قال الجد طيب الله تعالى ثراه لم أر تحقيق ذلك ولو قيل بالاول لم يبعد عندى انتهى وفى البيت من أنواع البديع أيضا الطباق وهو مما كثر فى شعر البلغاء وشاع فى كلام الفصحاء كقول المتنبى وفيه التوهيم أيضا

وان الفئام الذى حوله • لتحسد أقدامها الارؤس

وقوله

واذا أتتك مذمتى من ناقص • فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومن الطباق قول منصور الفقيه

قد قلت مذ مدحوا الحياة وأطنبوا • فى الموت ألف فضيلة لا تعرف

• منها أمان لقائه بلقائه • وفراق كل معاشر لا ينصف

وقول الفرزدق

لعن الاله بنى كليب انهم • لا يغدرون ولا يفون لجار

يستيقظون الى نهيق حميرهم • وتنام أعينهم عن الاوتار

وقول جرير

وباسط خير فيكم بيمينه • وقابض شر عنكم بشماليا

وقول أبي فراس من أبيات

يافارج الكرب العظيم • وكاشف الخطب الجليل
كن ياقوى لذا الضعيف • وياعزيز لذا الذليل

وقول ابن خروف في مغن كالظبي

وممنوع الحركات يلعب بالنهى • لبس الملاحة عند خلع لباسه
متأودا كالغصن بين رياضه • متلاعبا كالظبي عند كناسه

وما ألطف قول شيخ الشيوخ بحماة

ان قوما يلحون في حب ليلى • لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها • أخذوا طيبا وردوا خبيثا

وله أيضا

ياوجوها زانت سناها فروع • حالكات أغنتكم عن حلاكم
لي من حسنكم نهار وليل • أنعم الله صبحكم ومساكم

وبعضهم جعل التدبيج من المطابقة وأورد في ذلك قول ابن حيوس على جهة الكناية

فانخر بعم جود يمينه • وأب لافعال الدنية آبي
ببياض عرض واحمرار صوارم • وسواد نقع واخضرار رحاب

وعن جمع انه ليس في الالوان ما يحصل به المطابقة غير البياض والسواد وفيه توقف وفي البيت أيضا من المحاسن حسن التخلص وحسن المطلب وغير ذلك مما يطول ذكره وبالجملة ان هذا البيت قد حوى درر البلاغة والفصاحة ويحق لهذه القصيدة ان يكون مطلعها مثل هذا البيت وهو أحد المواضع التي يجب التأنق فيها بحسن السبك وعذوبة اللفظ وبديع المعنى وفي حسن المطلع شرطان أحدهما ان يتضمن معنى ما سيق الكلام لاجله ليكون الابتداء دالا على الانتهاء ويسمى براعة الاستهلال والثاني ان يجتنب في المديح ما يتطير به وقد استوفى البيت هذين الشرطين كما لا يخفى على من جلي بنور الادب منه العين قال الناظم لازال شيخ العلم والعمل واصلا بصلاحه الى غاية مراتب الامل

﴿شيخنا السيد الكبير الرفاعي • أعظم الصالحين حالا وأفضل﴾

أقول ﴿الشيخ﴾ كالشيخون في اللغة من استبانت فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى الثمانين وفي كتاب أسرار اللغة ان الانسان ما دام في الرحم فهو جنين فاذا ولد فهو وليد ثم ما دام يرضع فهو رضيع ثم اذا قطع عن اللبن فهو فطيم ثم اذا دب ونما فهو دارج فاذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور فاذا نبتت اسنانه فهو متثور بالتاء والثاء عن ابن عمرو فاذا كان يجاوز العشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشئ فاذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور ويسمى في جميع هذه الاحوال غلاما فاذا اخضر شاربه وأخذ عذاره يسيل قيل قد

بقل وجهه فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب ثم كهل الى ان يستوفي الستين ويقال اذا ظهر فيه الشيب وخطه الشيب ثم يقال شاب ثم شمط ثم شاخ ثم كبر ثم هرم ثم دلف ثم خرف ثم اهتر ويقال محي ظله اذا مات انتهى فلا تغفل وعند القوم هو الانسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ الى التكميل فيها العلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها وتمكنه من القيام بهداها ان استعدت لاهتدائها وسيجيء تتمة لهذا البحث ان شاء الله تعالى وأتى بنون العظمة لاظهار ملزومها الذي هو نعمة من تعظيم الله تعالى له بتأهيله لما لا يقوم به لسان ولا يشرحه بيان من ذلك احياء هذه الطريقة العلية وتجديد رسومها البهية ومنها انخراطه في سلك عقد سلسلة ذلك الشيخ الواصل الغطريف والوالي الكامل الشريف ومنها غير ذلك أو يقال راعى معه في الاضافة اخوانه في الطريقة وأهل الصفاء والحقيقة كما يقنت الامام بلفظ الجمع بل ذكر الفقهاء انه يكره تخصيص نفسه بالدعاء لقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن ثم في سائر الادعية في حق الامام كذلك صرح به الغزالي في الاحياء وهو مقتضى كلام الامام النووي في الاذكار وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري ان من سمع وحده من لفظ الشيخ افرد فقال حدثني ومن سمع مع غيره جمع ومن قرأ بنفسه على الشيخ أفرد فقال أخبرني ومن سمع بقراءة غيره جمع وكذا خصصوا الانباء بالاجازة التي يشافه بها الشيخ من يجيزه وكل هذا مستحسن وليس بواجب عندهم انتهى وهذا يؤيد الوجه الثاني واطلاق الشيخ على من تنتهي اليه السلسلة ولو بوسائط شائع الاستعمال ﴿والسيد﴾ الكبير وهو فعيل عند قوم وفيعل عند آخرين وجمع على سادة وسيائد وتقول العرب ان من نعت السيد أن يكون لحيا ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا أبعد واذا تأمل ملأ العين مهابة لان حقه ان يكون في صدر مجلس أو ذروة منبر أو منفردا في موكب ويقولون في نعته يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال دعبل

فاذا جالسته صدرته • وتنحيت له في الحاشيه
واذا سايرته قدمته • وتأخرت مع المستأنيه
واذا سامرته صادفته • سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاشرته صادفته • شرس الرأي أبيا داهيه
فاحمد الله على صحبته • وسل الرحمن منه العافيه

ويؤيد هذا قول الفرزدق

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد • وعينا له حولاء باد عيوبها

وقال رجل لعمر رضي الله تعالى عنه من السيد قال الجواد حين يضن الحليم حين يستجهل الكريم المجالسة الحسن الخلق لمن جاوره قال الصفدي والذي أظنه أن السيد عند العرب من ساد قومه أو غيرهم بصفاته المحمودة ولا يتوقف في ذلك على اصالة ولا نسب كما يعلم من قول القائل

نفس عصام سودت عصاما • وعلمته الكر والاقداما

وقال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن كلالة * أبى الله ان أسمو بام ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقي * أذاها وأرمي من رماها بمقنب

واشتهر استعمال هذا اللفظ اليوم فى أولاد الحسن والحسين رضى الله تعالى عنهما وقد انتحله من ليس له باهل

وما كل ذى خضراء أدعوه سيدا * وما كل ذى نعماء أدعوه منعما

على أن أفعال الانسان أقوى دليل على مايدعيه وأتم برهان

ان فاتكم أصل امرئ ففعاله * تنبيكم عن أصله المتناهى

ولا ينبغى للانسان أن يتكل على شرف النسب ويعرض عن العلم والكمال والادب وان كان جودة النسب من الامور المطلوبة والاشياء المرغوبة

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(والكبير) نقيض الصغير ولا يستلزم الاجزاء فانه من جملة أسماء الله تعالى الحسنى والتخلق به تكبير من عظمه الله تعالى ومن ذلك توقير الشيخ والمسن والوالد والعم والاخ الكبير وخاصيته على مافى مناهج الاخلاق السنية فتح باب العلم والمعرفة وان قرئ على طعام وأكله الزوجان وقع بينهما صلح ومن أكثر من قول يا كبير أنت الذى لاتهتدى العقول لوصف عظمته قضى دينه واتسع رزقه وان ذكره معزول عن مرتبه سبعة أيام كل يوم ألفا وهو صائم رجع اليها باذن الله تعالى انتهى ولا غبار فى اطلاق هذا الاسم على غيره سبحانه بل قد صرح الفقهاء ان التسمية بكل اسم من أسمائه تعالى ماعدا كلمة الله والرحمن جائزة بل فى القرآن العظيم تسمية غير الله تعالى باسمائه المعظمة قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ولا محذور فى ذلك فان الله سبحانه موصوف بصفات الكمال منزه عن كل نقص وعيب وهو جل شأنه فى صفات الكمال لايماثله شئ فهو حى قيوم سميع بصير عليم خبير رؤف رحيم خلق السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن وكلم الله موسى تكليما وتجلى للجبل فجعله دكا لايماثله شئ من الاشياء فى شئ من صفاته فليس كعلمه علم أحد ولا كقدرته قدرة أحد ولا كرحمته رحمة أحد ولا كاستوائه استواء أحد ولا كسمعه وبصره سمع أحد ولا بصره ولا كتكليمه تكليم أحد ولا كتجليه تجلى أحد وان الله جل اسمه فى عظمته وكبريائه وحسن أسمائه وعلو صفاته لايشبه شيأ من مخلوقاته ولا يشبه به وان ماجاء مما أطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما فى المعنى الحقيقى اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق فكما أن ذاته لاتشبه الذوات فكذلك صفاته لاتشبه الصفات وليس بين صفاته وصفات خلقه الا موافقة اللفظ اللفظ والله سبحانه قد أخبر أن فى الجنة لحما ولبنا وعسلا وماء وحريرا وذهبا وقد قال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الآخرة الا الاسماء فاذا كانت المخلوقات الغائبة ليست مثل هذه الموجودة مع اتفاقها فى الاسماء فالله جل وعلا أعظم مباينة لخلقه من مباينة المخلوق للمخلوق وان اتفقت الاسماء فما وقع فى بعض الاوهام من منع صحة اطلاق مثل ذلك على غيره سبحانه باطل قطعا ولا يخفى وجه ذكر الكبير بعد السيد على من له قدم صدق فى فن

المعانى وان كانا بمعنى ﴿والرفاعى﴾ منسوب الى رفاعة وهو مااشتهر به السيد الحسن أبو المكارم رفاعة المكى جد السيد أحمد السابع رضى الله عنهما قال الامام مؤيد الدين أبو النظام عبيد الله بن الاعرج الحسينى نقيب واسط فى كتابه الثبت المصان ويعرف ببحر الانساب ومثله قال ابن ميمون الحسينى فى مشجره والامام ابراهيم بن محمد البكرى الكازرونى فى كتاب شفاء الاسقام والامام شيخ الاسلام أحمد بن جلال اللادرى المصرى فى كتابه جلاء الصدا والامام عبد الكريم الرافعى القزوينى فى مختصر سواد العينين والامام الحافظ تقى الدين الواسطى فى كتابه ترياق المحبين وغير واحد ان السيد المشار اليه أعنى السيد أحمد الرفاعى صبت سجال الرضوان عليه هو السيد أحمد محيى الدين أبو العباس الرفاعى ابن السيد أبى الحسن على دفين بغداد ابن السيد يحيى نقيب البصرة أبى أحمد المهاجر من المغرب ابن السيد أبى حازم ثابت ابن السيد على الحازم أبى الفوارس ابن السيد أبى على أحمد المرتضى ابن السيد على أبى الفضائل ابن السيد الحسن الاصغر رفاعة الهاشمى المكى نزيل بادية اشبيلية بالمغرب ابن السيد أبى رفاعة المهدى ابن السيد أبى القاسم محمد ابن السيد الحسن أبى موسى رئيس بغداد نزيل مكة ابن السيد الحسين عبد الرحمن الرضى المحدث ابن السيد أحمد الصالح ويقال له الاكبر ابن السيد موسى الثانى ويقال له أبو يحيى وأبو سبحة ابن الامير الجليل السيد أبى محمد ابراهيم المرتضى ابن السيد الامام موسى الكاظم ابن السيد الامام جعفر الصادق ابن السيد الامام محمد الباقر ابن السيد الامام على زين العابدين ابن السيد الامام أمير المؤمنين الحسين الشهيد بكربلا ابن السيد الامام أمير المؤمنين وزير سيد المخلوقين أسد الله الغالب سيدنا ومولانا على بن أبى طالب رضى الله عنه وأم سيدنا الامام الحسين سيدة نساء العالمين بضعة امام المرسلين سيدتنا فاطمة الزهراء النبوية بنت أصل الخلق وحبيب الحق سيد كل من لله عليه سيادة طلسم المرادات المنبجس من حضيرة الارادة نور عيوننا وقلوبنا كشاف مدلهمات تناوكروبنا روح الارواح وباب الفتاح بحر المعارف الذى تفجر منه بحور العرفان مولى العوالم سيدنا رسول الرحمن محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيهم الى يوم الدين • وينتسب السيد أحمد رضى الله عنه الى الامام أمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله عنه من أم جده الامام جعفر الصادق فهى أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن سيدنا وتاج رؤسنا أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه ووالدة أم فروة المذكورة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم أجمعين قال الامام على أبو الحسن الحدادى فى ربيع العاشقين بعد ذكر نسب السيد المشار اليه لابيه كما تقدم ونسب سيدنا لامه هو السيد أحمد ابن ولية الله العارفة الزاهدة العابدة فاطمة الانصارية أخت الباز الاشهب والترياق المجرب الامام العارف بالله صاحب وقته ذى الكاس النورانى والفتح الصمدانى شيخ الطوائف منصور الزاهد البطائحى الربانى لابويه وأبوهما العارف الكبير الشيخ يحيى النجارى ابن الشيخ موسى أبى سعيد ابن الشيخ كامل ابن الشيخ يحيى الكبير ابن الامام الصوفى الشهير محمد أبى بكر الواسطى ابن موسى بن محمد بن منصور بن خالد بن زيد ابن مت وهو أيوب بن خالد أبى أيوب بن زيد الانصارى النجارى الصحابى الجليل رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين وزيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف ويقال ابن عمرو بن

خزرج بن غنم بن مالك بن النجار بن عدى بن عمرو بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن ثعلبة بن عمرو بن بقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح بن لمك ابن متوشلخ بن أخنوخ بن اليادر ابن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم أبو البشر عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ● ونسب أمه لامها هو أنها فاطمة بنت السيدة رابعة بنت السيد عبد الله الطاهر نقيب واسط ابن السيد أبى على سالم النقيب ابن السيد أبى يعلى النقيب ابن السيد أبى البركات محمد النقيب ابن السيد أبى الفتح محمد أميرا لحاج ابن الامير الجليل السيد محمد الاشتر ابن السيد عبيد الله الثالث ابن السيد على ابن السيد عبيد الله الثانى ابن السيد على الصالح ابن السيد عبيد الله الاعرج ابن السيد الحسين الاصغر ابن الامام زين العابدين على ابن الامام الحسين سبط النبى صلى الله عليه وسلم ● ونسب جده لابيه السيد يحيى الرفاعى نقيب البصرة من جهة أمه هو يحيى بن آمنة بنت يحيى العقيلى بن الناصر لدين الله على ملك الاندلس ابن أحمد بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن ادريس بن ادريس الاكبر الذى فتح الله المغرب على يديه ابن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن السيد الامام الحسن سبط النبى صلى الله عليه وسلم ● ونسب جده لامه الشيخ يحيى النجارى الانصارى من جهة أمه أيضا فهو يحيى بن علوية ويقال عالية بنت الحسن اللاع بن محمد بن يحيى بن الحسين ملك اليمن ومكة ابن القاسم أبى محمد الرسى ابن ابراهيم طباطبا ابن اسمعيل بن ابراهيم الغمر بن الحسن المثنى ابن الامام الحسن أعنى السبط رضى الله عنهم أجمعين قال الامام أحمد ابن الشيخ محمد الوترى فى مناقب الصالحين ولد سيدنا السيد أحمد المشار اليه عام اثنى عشر وخمسمائة بقرية حسن من أعمال واسط قرية محاذية لام عبيدة بالبطائح والبطائح قرى مجتمعة حول الماء وواسط بلدة معروفة شهيرة فى العراق اختطها الحجاج الثقفى ومصرها سنة ثلاث وثمانين وهو يومئذ والى العراق من قبل عبد الملك بن مروان الاموى ثم عظم أمر واسط فى أيام الخلفاء العباسيين وأنجبت العلماء والاولياء والامراء وأئمة الرجال والوزراء الاعاظم وكانت دار الوزارة الكبرى بها فى الازمنة المذكورة ومن أعظم مدنها فم الصلح كانت مقر حكومة الحسن بن سهل الوزير الذى تزوج الخليفة المأمون العباسى بابنته بوران وقد زفت اليه بفم الصلح وأقام بعسكره وخيله ورجاله بها عشرين يوما والقصة مفصلة بكتب التاريخ وكانت ولادة سيدنا السيد أحمد فى زمن الخليفة المسترشد بالله بعد وفاة الامام المستظهر بالله بأيام قلائل لان المستظهر توفى سادس عشر ربيع الآخر سنة اثنى عشر وخمسمائة وولادة السيد أحمد رضى الله عنه قيل انها كانت فى المحرم والاصح المتفق عليه أنها فى يوم الخميس من النصف الاول من شهر رجب المبارك وقال المؤرخون توفى أبوه وهو حمل والذى عليه الحجج الاثبات من الثقات الاحمديين وهم أدرى من غيرهم ان أباه قدس الله روحه توفى ببغداد حين كان مسافرا بها سنة تسع عشرة وخمسمائة وللسيد أحمد من العمر اذ ذاك سبع سنين فبعد ان توفى والده نقله خاله الباز الاشهب شيخ الوقت منصور البطائحى الانصارى الحسينى من قرية حسن هو ووالدته واخوته الى بلدته نهر دقلا من أعمال واسط

وكان

وكان السيد أحمد رضى الله عنه قد أكمل قراءة القرآن العظيم حفظا بقرية حسن على الشيخ الورع المقرئ الصالح عبد السميع الحربونى فلما صار فى كنف خاله أخذه الى واسط بامر سبق له من النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه وأدخله على الامام العلامة المقرئ الحجة الشيخ على أبى الفضل الواسطى قدس سره فتولى أمر تربيته وتعليمه وتأديبه امتثالا للامر النبوى فبرع فى العلوم النقلية والعقلية ومهر واشتهر وأحرز قصب السبق على أقرانه ولازال يعظم أمره وينمو علمه حتى تفرد فى زمانه وكان يلازم درس الشيخ أبى بكر الواسطى وهو الاخ الاكبر لامه وكان اذ ذاك المشار اليه فى وقته بين الشيوخ والعلماء ويتردد على الشيخ عبد الملك الحربونى قال الامام الشيخ على أبو الحسن الواسطى الشافعى قدس سره فى خلاصة الاكسير قرأ العلم والفنون مدة عشرين سنة حتى رجع اليه أشياخه وانعقد عليه اجماع الطوائف وقال بتفرده فى ميدان الكمال الموافق والمخالف ومثل ذلك قال الامام الرافعى فى سواد العينين وغيره وأطنب بشأنه رجال الطبقات والمؤرخون كل على قدر فهمه وبلوغ علمه وخدمه الحفاظ الاعيان وأكابر الزمان فألفوا فى شأنه كتبا مخصوصة عديدة تدل على علو قدره وعظم أمره ﴿منها﴾ ربيع العاشقين للشيخ الامام على بن جمال الدين الحدادى الشافعى وترياق المحبين للامام الحافظ تقى الدين الواسطى والنفحة المسكية للامام المحدث الجليل عز الدين أحمد الفاروثى الواسطى وخلاصة الاكسير فى نسب الغوث الرفاعى الكبير للشيخ العارف بالله على أبى الحسن الواسطى وجلاء الصدا بسيرة امام الهدى للامام شيخ الاسلام أحمد بن جلال اللارى المصرى الحنفى وام البراهين للحافظ قاسم بن محمد بن الحجاج الواسطى الشافعى وشفاء الاسقام للقدوة الحجة ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكازرونى البكرى وسواد العينين للامام عبد الكريم الرافعى القزوينى رحمهم الله أجمعين وغير ذلك مما يضيق عن ذكرها هذا المختصر وهى أشهر من أن تذكر وقد أجازه بعد العشرين سنة شيخه الشيخ على أبو الفضل محدث واسط اجازة عامة بجميع علوم الشريعة والطريقة وكان مع اشتغاله بالدروس والتعلم والتعليم ملازما خدمة خاله سلطان الرجال الشيخ منصور فلما بلغ هذه المرتبة العلية وتبحر فى العلوم الشرعية أجازه خاله الشيخ منصور المشار اليه وألبسه خرقته وأمره بالمقام فى أم عبيدة وهى قرية مشهورة بواسط العراق وكانت بها قاعدة بيت الانصار بنى النجار آباء الشيخ منصور وفيها رواقهم المبارك المدفون فيه جد السيد أحمد الرفاعى لامه الشيخ يحيى النجارى الانصارى والد الشيخ منصور فأقام بها سنة وبعد مضى السنة توفى الشيخ منصور قدس الله روحه وكانت وفاته سنة أربعين وخمسمائة وللسيد أحمد رضى الله عنه من العمر ثمان وعشرون سنة فعهد الشيخ منصور قبل وفاته بمشيخة الشيوخ وبمشيخة الاروقة المباركة المنسوبة اليه لابن أخته السيد أحمد المشار اليه فتصدر على سجادة الارشاد بذلك العام وكان ذلك فى زمن الخليفة المقتفى لامر الله محمد بن أحمد المستظهر بالله العباسى رحمهما الله والخليفة المقتفى هذا كان ذا دين وأفعال حميدة مقتفيا آثار النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضى الله عنهم ولذلك سموه المقتفى وكان يجلس للناس بغير حاجب ولا وزير وأبطل المكوس وأزال البدع هذا مع كثرة العبادة فقامت عليه آخر الامر رعاياه ظلما وعدوانا ورموه بالاحجار حتى مات رحمه الله وبعد موته

تزلزلت بغداد فانهدم ثلث دورها ومات أكثر أهلها بويع رحمه الله للخلافة سنة ثلاثين وخمسمائة واستمرت مدة خلافته خمسا وعشرين سنة وانقضت مدته رحمه الله سنة خمس وخمسين وخمسمائة فبويع للخلافة ولده المستنجد بالله رحمه الله وفى هذه السنة حج السيد أحمد رضى الله عنه باشارة معنوية وزار قبر جده عليه الصلاة والسلام وأنشد تجاه القبر الطاهر

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها * تقبل الارض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فظهرت له يد جده عليه الصلاة والسلام فقبلها والناس ينظرون وهذه القصة تواتر خبرها وعلا ذكرها وصحت أسانيدها وكتبها الحفاظ والمحدثون وكثير من أهل الطبقات والمؤرخين لا ينكرها الا جاهل قليل الروية أو حاسد لسلطان النبوة وظهور المعجزة المحمدية أو معذور من غير هذه الامة الاحمدية على ان ظهور هذه المعجزة النبوية فى تلك الاعصار التى ظهرت بها البدع وكثرت بها الفتن وتفرقت بها الاهواء وذهب بها أهل الباطل الى مذاهب كثيرة كالالحاد والزندقة وغير ذلك مما سلكه الفرق الضالة من طرق الضلال ما كان الا لاعلاء كلمة الحق والشريعة والدين على يد هذا السيد الجليل الذى اختصه الله ورسوله بهذه النعمة وأبرزه لهذه الخدمة لعدم وجود من يماثله أو يشاكله فى ذلك القرن من الاولياء والسادات وصالحى الوقت نفعنا الله بهم انتهى وسيأتى خبر هذه القصة فى محله ان شاء الله قال العيدروس فى كتابه النجم الساعى كان السيد أحمد الرفاعى عالما حكيما متورعا متواضعا قانعا قاطعا عمره فى الرياضة أسمر اللون متوسط القد نير الوجه شعره أسود وفى صدره شعر أسود كريم الخلق صاحب أسرار خارقة وأطال فى توصيفه قدس سره وقال السيد عز الدين أحمد الصياد قدس الله سره فى كتابه الوظائف الاحمدية كان السيد أحمد رضى الله عنه ربعة من القوم أسمر أزهر خفيف العارضين وسيع الجبهة أسود العينين مدور الوجه حسن المبسم اذا تكلم سلب القلوب واذا سكت أهابته ونص الرجال من الحفاظ والاشياخ المكرمين الذين خدموا سدته الاحمدية فأفردوه بالتأليف انه كان يلبس قميصا أبيض ورداء أبيض وخفا من صوف أبيض ويتعمم بعمامة سوداء دسماء وفى بعض الاحيان يتعمم بالبياض وكان رفيع القوام نحيف الوجود كثير التبسم قليل الضحك مكينا فى طوره ذا هيبة عظيمة لا يتمكن جليسه من اباحة النظر اليه هذا مع رفقه وظرافة طبعه وخلقه ورقة شيمه وذلك لما اشتمل عليه من العلم والعقل والعبادة والكمال والفضائل والمجد وعلو النسب والكرم والخوارق الغر والحكمة البارعة والسنن المحمدى ورفعة القدر وبعد الصيت والشهرة والشأن الوحيد فى عصره نفعنا الله والمسلمين به قال الحافظ تقى الدين الواسطى قدس سره فى كتابه ترياق المحبين ما ملخصه حصيت الرقاع التى وردت للسيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه فى السنة السابعة من تصدره على بساط المشيخة بعد خاله الشيخ منصور بريد بها سنة سبع وأربعين وخمسمائة فبلغت الى سبعمائة ألف رقعة كلها من مريديه الذين دخلوا الخلوة المحرمية (قلت) قوله الخلوة المحرمية هى من مراسم الطريقة الرفاعية فى كل سنة يعتكفون سبعة أيام أولها اليوم الحادى عشر من شهر محرم الحرام وذكر الامام ابن الجوزى فى تاريخه انه كان عند السيد أحمد رضى الله عنه ليلة نصف شعبان وعنده أكثر

من مائة ألف انسان من الزائرين وقد قام بكفاية الجميع وذكر الامام الشعرانى فى طبقاته والمناوى فى الكواكب الدرية ان مريدى سيدنا السيد أحمد الذين يحضرون مجلس درسه وورده المبارك كل يوم فى رواقه العالى ستة عشر ألفا ويمد لهم السماط صباحا ومساء ويؤيد ذلك ما رواه الامام ابن الجوزى المتقدم ذكره ويؤكد هذه الروايات المتواترة ما رواه الحافظ الامام تقى الدين الواسطى فى كتابه ترياق المحبين ان قناطر الرواق الاحمدى كانت عام خمسين وخمسمائة أربعة آلاف قنطرة وبناؤه أربع حلق كل حلقة تضم الاخرى وفى رواقه من أتباعه ومريديه عشرون ألفا ويمد لهم السماط صباحا ومساء وهو وأهل بيته كآحاد الفقراء لا يملكون شيأ من عرض الدنيا وقال العلامة ابن الاثير فى تاريخه عند ذكره رضى الله عنه كان صالحا ذا قبول عظيم عند الناس وله من التلامذة ما لا يحصى ومثله قال القاضى أبو الوليد بن الشحنة وقال الامام الذهبى فى مختصره وفى كتاب دول الاسلام عند ذكره بعد أن وسمه بسيد العراقين الزاهد الكبير سلطان العارفين فى زمانه ان أتباعه لا يحصى عددهم وأطنب بذكره وأطال بترجمته وذكر بعض ما يليق بشأنه العالى وقال شمس الدين يوسف أبو المظفر فى تاريخه بعد كلام طويل عند ذكر سيدنا المشار اليه ونقل بعض كراماته وخوارقه العلية وكان يجتمع عنده كل سنة فى الموسم خلق عظيم لا يحصى عددهم وقال الواسطى فى خلاصة الاكسير كان رجال العصر يسمون السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه قبلة القلوب لشدة ارتباط قلوب الناس ومحبتهم له واجماعهم عليه وهو الحقيق بذلك فانه بركة العصر وامامه ومرشده الى الله وهاديه الى طريقة الله وشريعة جده رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام أحمد بن جلال اللادرى ثم المصرى فى كتابه جلاء الصدا كان السيد أحمد الرفاعى يسكت حتى يقال انه لا يتكلم فاذا تكلم بل بعذوبة كلامه الغليل وداوى العليل ترك نفسه وتواضع للناس من غير حاجة وكظم غيظه من غير ضجر وكان لين العريكة هين المؤنة سهل الخلق كريم النفس حسن المعاشرة بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوس متواضعا من غير ذلة جوادا من غير اسراف اجتمعت فيه مكارم الاخلاق كان فقيها عالما مقرئا مجودا محدثا مفسرا وله اجازات وروايات عاليات اذا تكلم أجاد واذا سكت أفاد يأمر بالمعروف لاهله وينهى عن المنكر وفعله كان كهف الحائر وملجأ المحتاجين وكعبة القاصدين أبا للارامل والايتام يعطى من غير سؤال ويمنح من غير اهمال واذا قال قولا أتبعه بصحة الفعل وصدق القول ولم يخالف قوله فعله قط وقال القاضى ابن خلكان فى تاريخه عند ذكره بعد كلام ما ملخصه كان رجلا صالحا فقيها شافعى المذهب وانضم اليه خلق عظيم وأحسنوا الاعتقاد فيه وتبعوه ولاتباعه أحوال عجيبة كالنزول فى التنانير وهى تتضرم بالنار فيطفؤنها ويركبون الاسود ومثل هذا وأشباهه ولهم مواسم يجتمع عندهم عالم لا يعد ولا يحصى ويقومون بكفاية الكل وأولاد أخيه يتوارثون المشيخة والولاية وأمورهم مشهورة مستفيضة وقال الامام الحجة على أبو الحسن الواسطى فى خلاصة الاكسير كان سيدنا السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه سيد أهل الحقيقة والشريعة فى عصره وامام الوقت حسينى النسب محمدى القدم والمشرب انتهت اليه مكارم الاخلاق وبلغت عدة خلفائه وخلفائهم فى حياته مائة وثمانين ألفا ﴿فائدة﴾ أما قول ابن خلكان وأولاد أخيه

يتوارثون المشيخة والولاية فهو كلام مجمل يحتاج الى تفصيل ولذلك أردنا أن نبسط الكلام في هذا المقام بسطا يسير اليقف قارئ كتابنا هذا على مايشفي غليله و يسره ان شاء الله قال السيد الامام العلامة النسابة الشريف مؤيد الدين عبيد الله نقيب واسط المعروف بابن الاعرج الحسيني في كتابه بحر الانساب بعد ان سلسل آل الامام موسى الكاظم وذكر فروعهم الى السيد أبي القاسم محمد الجد التاسع للسيد أحمد الرفاعي الكبير رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين ما نصه وأما أبو القاسم محمد فانه بقي مقيما بمكة الى أن توفاه الله وعقبه من ولده المهدي وحده فالمهدي هذا أعقب عدنان ويحيى ورفاعة ويقال له الحسن المكي وهو الذي نزل بادية اشبيلية بالمغرب مهاجرا من مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة السنة التي دخل فيها القرامطة لعنهم الله مكة وقتلوا فيها ابن محارب أمير مكة وقد عظم سلاطين المغرب رفاعة الحسن المكي المذكور ورفعوا منزلته وعلا قدره وكبر أمره وأعقب عليا وسعدا وعمران وبركات فأما سعد وعمران وبركات فكلهم معقبون وذريتهم في المغرب يلزم السؤال عنها لتذكر واضحة وأما علي فانه أعقب أحمد ورفاعة وكنانة وهزاعا وغالبا ولكلهم ذرية فأحمد أعقب حازما وحازم أعقب الثابت وعبد الله ومحمدا عسلة فعبد الله سكن المدينة المنورة وله فيها العقب الصالح وأما الثابت فانه أعقب يحيى وله ذرية مباركة سيأتي ذكرها وأما محمد عسلة فانه أعقب حسنا ولم يعقب غيره ثم ان يحيى بن الثابت خرج من المغرب الى الحجاز ومعه ابن عمه حسن بن عسلة بن حازم مراهقا وبيد حسن تواقيع الملوك وقضاة المغرب وخطوط الاشراف والعلماء والاشياخ العارفين بالله وبها يذكرون نسبه مسلسلا الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما وصل الحجاز حررت أسماء رجال نسبته الطاهرة في جريدة الشرف المشجرة بعد استيفاء شروط الثبوت المرعي شرعا وعلقت في الكعبة ووقع له على رقعة نسبته الشريفة ملوك الحرمين الاشراف والسادات ثم العلماء والشيوخ والصلحاء وما أقره القدر في الحجاز فنزل العراق ودخل البصرة عام خمسين وأربعمائة واشتهر بها بالزهد والصلاح واعتقده الخلفاء وأكرموا قدمه وصاهر الانصار سكان واسط وبقيت ذريته في البصرة الى عهد ابنه السيد علي أبي الحسن فانه نزل واسط وتزوج من أخواله الانصار بالاصيلة فاطمة أخت شيخ الشيوخ امام الوقت مقتدى الصوفية جامع أشتات المعاني الباز الاشهب منصور البطائحي الرباني قدس سره فاعقب منها ذرية أعظمها مقاما وأجمعها للفتح نظاما سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي الحسيني رضي الله عنه وعنهم أجمعين فعلى هذا نسب بني رفاعة وعقبه الحسيني المكي المغربي ثم الواسطي ثم البصري نسب صح اتصاله برسول الله صلى الله عليه وسلم عند أهل الآفاق وثبت لدى اجماع أفاضل المسلمين الصادقين في الحجاز والمغرب والشام والعراق لا يشك فيه من الاوائل والاواخر رجل يؤمن بالله واليوم الآخر نعمت الشجرة ونعمت الثمرة والسلام قال شيخنا نظام الدين أبو الحرث محمد الواسطي بن محمد ابن يحيى بن هبة الله بن ميمون نقيب مكة الحسيني في مشجره ان السيد يحيى المغربي المكي الحسيني أول قادم من عصابة بني رفاعة الحسينيين الى البصرة نزلها عام خمسين وأربعمائة السنة التي دخل فيها البساسيري بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأذن بحي على خير العمل وأحيا البدعة وأظهر التشيع ونهب دار الخلافة

وحرعها وحمل الخليفة القائم بالله في هودج وأرسله مع ابن عمه مهاوش الى حديثة عانة وسار أصحاب الخليفة الى طغرل بك فسار طغرل بك الى العراق لرد الخليفة القائم بالله الى خلافته فلما وصل بغداد استقدم مهاوشا صحبة الخليفة وتلقى الخليفة بالخيول والآلات والخيام العظيمة وأخذ بلجام بغلة الخليفة الى داره يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وأربعمائة ووقف طغرل بك بباب الخليفة مكان الحاجب وقاتل البساسيري فقتله وبعث برأسه الى الخليفة وأخذت أمواله ونساؤه وأولاده وفي ذلك العام فوض الخليفة القائم نقابة الاشراف بالبصرة الى السيد يحيى الرفاعي الحسيني لما شاع عنه من الزهد والصلاح والتمسك بالسنة السنية والعمل بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعا بازالة فتنة الرافضة على يديه وكتب له كتابا غير توقيع النقابة أخذه صاحب المصطلح الشريف وبنى عليه كتابه أقول وذكر الشريف ابن الاعرج كتاب الخليفة بنصه ثم قال بعد ذكر الكتاب مالفظه فعمل السيد يحيى بهذه الوصية وأيد الله على يديه السنة السنية مع حفظ شرف العترة النبوية والجرثومة الفاطمية وعكفت عليه القلوب وتعلق به المسلمون تعلق المحب بالمحبوب ثم تزوج بالاصيلة الحسيبة علماء الانصارية بنت الشيخ أبي سعيد النجاري الانصاري البطائحي فأولدها السيد عليا أبا الحسن دفين رأس القرية محلة ببغداد فلما كبر قدم البطائح وسكن أم عبيدة وتزوج ببنت خاله فاطمة أخت الشيخ الامام منصور الرباني البطائحي فاولدها القطب الجليل الشريف الاصيل امام الزمان حجة الله على أهل العرفان السيد أحمد الكبير الرفاعي شيخ الطوائف وامام الصوفية ثم السيد عثمان والسيد اسمعيل وست النسب فاسمعيل أعقب أحمد وعثمان أعقب فرجا ومباركا وأما ست النسب فان حسن بن عسلة بن حازم الذي قدم مع ابن عمه النقيب يحيى الحسيني الرفاعي نزيل البصرة رباه ابن عمه وأرشده وأقرأه علوم الدين ولما كبر زوجه بنت الشيخ الامام أبي الفضل فأولدها سيف الدين عثمان فلما بلغ أشده تزوج ببنت عمه الشريفة ست النسب أخت السيد أحمد الكبير التي تقدم ذكرها فأولدها عليا وعبد الرحيم وأما السيد أحمد أبو العباس الكبير الرفاعي فانه تزوج في بدايته بالشيخة الصالحة خديجة الانصارية بنت الشيخ أبي بكر بن يحيى النجاري الانصاري فأولدها فاطمة وزينب ثم توفيت فتزوج باختها الزاهدة العابدة رابعة فأولدها صالحا قطب الدين مات في حياة والده وعمره سبع عشرة سنة ولم يتزوج وقال الشيخ علي الحدادي بل تزوج وأعقب ولدا اسمه منصور وأما فاطمة بنت السيد أحمد الكبير فقد زوجها أبوها بابن أخته وابن ابن عمه علي مهذب الدولة بن سيف الدين عثمان فأولدها ولي الله الامام الكبير محيي الدين ابراهيم الاعزب ونجم الدين أحمد الاخضر وتزوج بعد وفاتها بامرأة أخرى فأولدها اسمعيل وعثمان وأربع بنات ولكلهم ذرية بواسط وأما زينب بنت السيد أحمد الكبير فانها تزوج بها ابن عمها وابن ابن عم أبيها مهذب الدولة عبد الرحيم فأولدها شمس الدين محمدا وقطب الدين أحمد وأبا الحسن عليا وعز الدين أحمد الصياد وأحمد أبا القاسم وأبا الحسن وبنتين ولكلهم ذرية في الشام والعراق ومصر والحجاز وان قاعدة بيتهم في أم عبيدة فانهم يتوارثون مشيخة رواق أم عبيدة ورآسة واسط والبصرة جيلا بعد جيل قال شيخنا نظام الدين أبو الحرث الحسيني وأعقاب بني رفاعة الآن

بواسط والشام كثيرون جدا ولهم بقية فى المغرب والحجاز انتهى قال وقد اعتنى جماعة من اتباعهم ومحبيهم فألفوا كتبا حافلة بنسبهم وفروعهم فلتراجع فان فيها ما يكفى من ذكر فروعهم وأعقابهم كثرهم الله تعالى انتهى وقد علمت نسبة الرفاعى واذا أطلق اليوم هذا اللفظ يراد به الفرد الكامل السيد أحمد رضى الله عنه حيث صار لقبا له ولا يخفى ما فى دلالته على الرفعة من المناسبة

وقلما أبصرت عيناك ذا لقب • الا ومعناه ان فكرت فى لقبه

كيف لا وهو السيد الذى أيد طريق أهل السنة والجماعة وما صرف من أوقاته ساعة فى غير حل دقيقة علم أو طاعة كما نطقت بذلك الكتب المعتبرة والآثار المشتهرة وما أحسن قول الامام العارف بالله الشيخ عبد الملك بن حماد الموصلى مادحا السيد رضى الله عنه وذلك قوله قدس سره

عليك بعد رسول الله تعويلى • وفى معانيك اجمالى وتفصيلى
يا ابن الرفاعى يا من من شمائله • تشملت هامة العليا بمنديل
بك انطوت غامضات الغيب فانفجرت • منها الحقيقة لبا لا بتأويل
عين الشريعة فاضت منك أترعها • صدق تنزه عن شطح وتهويل
تجسمت بك أسرار الكتاب ومن • هذا ترفعت عن وهمى وتخييلى
أطوف منك ببرهان المحجة ان • طاف الرجال بتقدير وتعليل
وارتقى بك سينا الفتح معتصما • بعروة الحق لا بالقال والقيل
أعرضت بالمجد فانهلت سحائبه • من بعضها سح نيل الفتح كالنيل
وسرت سير هلال الافق مرتقيا • الى المعالى بتكبير وتهليل
ولم تزل ناهضا تبغى التنقل فى • مجلى تدليك من ميل الى ميل
أبيت فى مذهب الدنيا الذهاب فلم • تسم لديك بتعجيل وتأجيل
لله در فتى الشرقين من بطل • عال عن الجرح ملحوظ بتعديل
مولاه أبرزه فى طوره ملكا • مكللا من تجليه باكليل
تألقت فى سما الارشاد طلعته • شمسا لنا ان سرى قوم بقنديل
يحمى الحمى من أسود الله ليث هدى • ولم تشبهه بالضارى أو الفيل
أتى على فترة والشرع زلزله • عصائب الغى عن كيد وتضليل
والدين أقفل يبكى سوء غربته • موطد الركب فى أطمار مخذول
تجدد السنة السمحاء يوم تلا • آى المعانى بتجويد وترتيل
وقام يظهر من غر الخوارق ما • طواه منشور فرقان وانجيل
وفى يديه لواء الشرع خافقة • بنوره خفق تعليم وتكميل
وكل ناقص علم سيق منه الى • كمال دين علا عن خبط تحويل
حتى دعاه رسول الله ملتفتا • له ومن كفه كوفى بتقبيل
فصار أزرا لهذا الدين أو وزرا • لاهله ضاربا عنهم بمصقول
وحاز من لثم راح الهاشمى يدا • قضت له فى بنى العليا بتفضيل

سر تمكن من أوج البقا فسرى • برونق عز عن نقض وتعطيل
عناية حار أقطاب الرجال لها • وليس من بعدها ركز لذى قيل
اتباعه خاص القوم الكرام وقد • سرى بهم لا على حرف وتبديل
وأم فيهم صراط الاصطفا وروى • عن جده المصطفى أسرار جبريل
يا صاح ان تطرح الدعوى وقائلها • تجده أشرف متبوع ومقبول
ظلت سلاطين أهل الله قاصرة • عن شأوه الكل من جيل الى جيل
والمنبجى وذو العليا حيوة معا • والزعفرانى والهيتى والزولى
ومثلهم عاجز عن بعض سيرته • أبو النجيب وعبد القادر الجيلى
ولو حلفت رقى عرش الامامة ما • طولبت أنت على هذا بتحليل
فقل لبهجة شمس الافق ان طلبت • فوقية بفناجدر انه قيلى
شيخ تمحض من جسم البتول هدى • أهدى لكشف الغطا آيات تنزيل
وعن أبيه على كم روى حكما • من نعمة المصطفى رياضت بمنقول
أدعوك يا تاج هامات الرجال أغث • يا ليث قفر الفيافى أشرف الغيل
دارك بعزمك عجزى يا ابن فاطمة • فأنت ذخرى ومسؤلى ومأمولى
عليك دوما سلام الله تكنفه • يد الرضا الك مصحوبا بتبجيل

ويعجبنى قول ابن حماد قدس سره أيضا

الا يا رفاعى المجد فضلك فى الورى • عليه غدا الاجماع فى كل امة
مفاخر أبناء الحسين عظيمة • وأعظمها الازلات بعد الائمة

وهو كذلك رضى الله عنه فانه كان حسن السمت والسيرة نير القلب والسريرة ان توجه الى قلب ملأه نورا أو ربط على اكرام معدم أفعم ناديه بأيدى أياديه سرورا اشتهر بالفضل اشتهار الشمس رابعة النهار فأشرق نوره على سائر الاقطار ومن تتبع شمائله ومزاياه يعلم انه كان من أحرص الناس على اتباع سنة جده صلى الله عليه وسلم كما نص على ذلك الثقات الاثبات من أجلة العلماء وصرح به الشيخ النحرير تقى الدين بن تيمية طيب الله روحه فى غير موضع من كتبه وأثنى عليه رضى الله عنه بما هو أهله وقد أشبع الناظم حفظه الله كتبه من مزايا هذا الامام وألف فى مناقبه وآثاره كتبا جليلة لم يسبق اليها فمن أراد الوقوف على كمال ما كان منطويا عليه من العلوم والفضائل والمزايا والشمائل فليرجع الى مؤلفات الناظم حفظه الله ومتع المسلمين بحياته فانه لم يبق فى القوس منزع ولا فى الكأس مترع

على نفسه فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم

ولعمرى ان مناقب هذا السيد الجليل والعلم الطويل أمرها باهر ونور سرها ظاهر على ان ذلك مما شاع وذاع وملأ الافهام والاسماع وانتشر فى سائر البقاع وكلماته الحكمية التى استودعها غوامض الاسرار الغيبية دونها العقود الجوهرية منها ما نقله عنه الامام السيد محمد سراج الدين الرفاعى المخزومى قدس سره فى رحيق الكوثر وذلك قوله رضى الله عنه أقرب الطرق الى الله الانكسار والذل لله والشفقة على خلق الله والتمسك

بسنة سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الدنيا والآخرة بين كلمتين عقل ودين وقال العقل ماعقل النفس وأوقفها عند حدها في أخذها وردها وقال كل العقل التخلص من الحجب المستعارة وقال لاتعتبروا المسلم الابالانصاف فتى أنصف فهو مسلم وقال لا ينصح الامن توسم فيه مخايل القبول وقال حاسدك لايرضى عنك أبدا وقال طريق جمع الهمة وحضور القلب والادب مع الخالق والخلق وقال دفتر حال الرجل أصحابه وقال أفضل العمل ماقارنه العلم وقال كل طريقة خالفت الشريعة زندقة وقال الدعوى رعونة لايحتملها القلب فيلقيها الى اللسان فينطق بها لسان الاحمق وقال أقرب الاشياء من المقت رؤية النفس وقال من رأى أعرف منه فلم يستفد منه ترفعا فهو جاهل مبعد وقال من استقام بنفسه استقام به غيره وقال العجب داء وضيع تترفع عنه العقول العالية وقال حسبك من النعم الايمان ومن العطايا العافية ومن التحف العقل ومن الالهام التقوى وفي الكل ليس لك من الامر شئ ان ربي على مايشاء قدير وقال لاتسقط بالتسليم حملة التكليف ولاتنزع بالتكليف ثوب التسليم ولاتركن الى الذين ظلموا ولاتقف ماليس لك به علم ولاتفزع في مهمات أمورك الا الى الله تعالى وقال الخلق كلهم لايضرون ولاينفعون حجب نصبها لعباده فمن رفع تلك الحجب وصل اليه وقال لفظتان ثلمتان في الدين القول في الوحدة والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة وقال لن يصل العبد الى مرتبة الكمال وفيه بقية من حروف أنا وقال الزهد قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء من زهد في الدنيا وكل الله به ملكا يغرس الحكمة في قلبه وقال لاتجعل رواق شيخك حرما وقبره صنما وحالة دفه المكدية الرجل من يفتخر به شيخه لامن يفتخر بشيخه وقال من عدل عن الحق الى الباطل تبعا لهوى نفسه فهو من الضلال بمكان وقال أساس طريق دين بلابدعة وهمة بلا كسل وعمل بلا رياء وثقة بالله بلا انحراف الى غيره وقال غوش أهل الدعوى لايسقط منار الصامتين ذلة لله تعالى وقال اهل الدعوى يتبعهم أهل النفوس المغشوشة بطلب هذه الدنيا الجائفة وأهل الذل والانكسار لله تعالى يتبعهم أهل القلوب الطائرة الى الله وحده وقليل ماهم وقال الكريم حيي واللئيم فاجر والحسيب يقبل العذر ويقبل العثرة ويصبر اذا ابتلى والدعي مترفع اذا أمن متواضع اذا خاف مداح اذا أرضى ذمام اذا أغضب لاميزان له في الحالين وقال آية الله في قلب العبد سلامته من الغفلة وعبرته التي تسيل في الله عبرته وقال من لم يجعل الهوى عبدا ذليلا مسخرا الذى سلطان الشريعة الذى شرعه نبيه ورسوله فاين هو من الايمان وقال من أراد ذوق الحكم المحمدية فليلازم هذا الباب وان رأى موردا أعذب من موردنا فليذهب اليه فان أصحاب مائدة الكرم يغارون غيرة الغبطة ولاينصرفون حسدا عن الحق فيبخسون الناس أشياءهم وقال أقرب الناس للزندقة المتصوفة المشغولون عن العبادات بالخوض في الكلام على الذات والصفات اللهم ايمانا كايمان العجائز وقال قال المنكرون للقدر صادفت الاسباب فظهرت الحوادث فقل لهم هذا هو القدر لو كنتم تعلمون وقال الولاية أدب ديني وخلق محمدي فمن تجاوزهما فقد سقط والله الهادي الى سواء السبيل وقال كلمة الحق دائمة قائمة ولو انحجب نورها بابخرة الايام لان الحق مستتر في حقائق الامور وقال قل لمدعي الوحدة المطلقة أنت محجوز عن غيرك بجهتك ومكانك وهو منزه عن الجهة والمكان وأنت محاط بثوبك وهو

بكل

بكل شئ محيط وأنت مسور بالعجز في كل شئ وهو على كل شئ قدير فكذب وهمك كما كذبك وجودك لتدخل في أعداد المؤمنين الصادقين وقال كل ما طرأ عليه الحدث من جانب فهو حادث فاتق الله ونزه ربك فان التوحيد افراد القدم عن الحدث وقال ماحل العلم بمحل الا ورحل عنه الجهل ولايكون ذلك الا اذا عظم العلم وقال صولة الباطن تختم بالوهن ووهن الحق يختم بالصولة وقال أهل الدعوى فعلهم دون قولهم وأهل الكمال قولهم دون فعلهم وقال أهل الصفاء من العارفين لايرون لانفسهم على غيرهم مزية وقال تظهر الكبر ذلة مضرة في النفس وهذا كل العجب وقال الحكيم لايطغى ولايهتك وقاره ولاينفك عن الشرع وقال أشرف البدايات الايمان وأشرف الاواسط الترقي في مراتب الايمان وأشرف الخواتيم الحصول على الايمان الكامل والامور بخواتيمها والله ولي المتقين أقول وكلامه المبارك كثير وكله غرر ودرر وقال الحافظ تقي الدين عبد الرحمن أبو الفرج الواسطي محدث واسط في كتابه ترياق المحبين قال الامام العلامة ابراهيم الصديقي الكازروني في كتابه الشجرة ان بعض رجال الوقت رأى النبي صلى الله عليه وسلم في حضرة والرجال بين يديه وقوفا وهو عليه الصلاة والسلام يقول السيد أحمد ابن السيد أبي الحسن الرفاعي شيخ هذه الامة وسيد العارفين بالله اليوم اللهم اني أحبه فأحبه وقال في الترياق أيضا قال لي شيخنا الشيخ عز الدين الفاروثي رضي الله عنه أي تقي الدين لم يأت الينا من طرق صحيحة مروية الاسانيد أثبت وأكثر وأصح وأعظم من كرامات السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وقد بلغت ولايته وكرامته مبلغ القطع البت وهو أكمل أهل عصره بلاريب وان زلت أقدام قوم فنازعوك على الحق المبين قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انتهى قال الحافظ الواسطي في الترياق طالعنا طبقات القوم وماثرهم فلم نر من بعد الصحابة وأئمة الآل الاثنى عشرة طبقة ولي الله توازي طبقة السيد أحمد خلقا وتمكينا وتحققا بما كان عليه جده صلى الله عليه وسلم توفي رضي الله عنه يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الاولى سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بأم عبيدة وهو في عشر السبعين قال الذهبي ودفن في قبة الشيخ يحيى البخاري وقال كان رضي الله عنه فقيها شافعي المذهب وكان لايجمع بين لبس قميصين لافي شتاء ولافي صيف ولايأكل الابعد يومين أكلة واحدة ولايقوم لاحد من أبناء الدنيا ويترنم بهذا البيت

ان كان لي عند سليمى قبول ● فلا أبالي مايقول العذول

وقال كان رضي الله عنه يقول

اذا تذكرت من أنتم وكيف أنا ● أجللت ذكركم يجري على بالي

ولو شريت بروحي ساعة سلفت ● من عيشتي معكم ما كان بالغالي

وأطال الحافظ الذهبي في ترجمته وذكر شيئا جليلا من محاسنه رضي الله عنه وقال الامام العلامة وحيد عصره أبو محمد الطيب المعروف بابن مخرمة في كتابه قلادة النحر بعد كلام طويل في ترجمة السيد المشار اليه رضوان الله عليه راض نفسه بالتواضع والقناعة والذل والانكسار حتى طار اسمه في الاقطار وتبعه خلق كثير وأحسنوا الاعتقاد فيه كما هو الحقيق بذلك وأطال المصنف بتوصيفه ثم قال وله كرامات كثيرة لاتعد ولابن عبد المحسن الواسطي مصنف في مناقبه رضي الله عنه انتهى قال العيني في كتابه عقد الجمان عند ذكره المبارك

عقب أخيه وأولاده يتوارثون المشيخة قال واتباعه يتسلق أحدهم فى أطول النخل ثم يلقى نفسه الى الارض ولا يتألم ويجتمع عنده فى كل سنة فى المواسم خلق عظيم ونقل عن سبط ابن الجوزى رحمه الله انه ذكر فى المرآة حاكيا عن بعض أشياخه انه قال حضرت عنده ليلة نصف شعبان وعنده نحو من مائة ألف انسان وذكر سبط ابن الجوزى أيضا ان بعض أصحابه رآه مرارا فى المنام فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وقال الامام المناوى فى كتابه الكواكب الدرية عند ذكره شريف نما روض شرفه وهمى على العالم غيث سلفه كان سيدا جليلا عظيما صوفيا نبيلا واطال كل الاطالة بترجمته المباركة وذكر من كلماته الشريفة وكراماته ما يطول ذكره وأخبر بوقت موته وصفته فكان كما قال وقد كان الائمة من أعاظم علماء الدين يعولون فى طريقه الله عليه وناهيك منهم بالحافظ الجلال السيوطى فانه ينتهى اليه فى طريق الخرقة كما صرح بذلك الامام عبد الوهاب الشعرانى فى طبقاته الوسطى وذكر الشعرانى انه لبس الخرقة الرفاعية من الحافظ جلال الدين السيوطى ومن الذين انتموا لخرقته الشريفة شيخ الاسلام الامام المجمع على جلالته الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله عنه قال الشعرانى فى طبقاته الوسطى ناقلا عن الامام عبد العزيز الديرينى انه قال من أرجوزة ذكر فيها مشايخه فى التصوف ومشايخه فى العلوم الظاهرة ما نصه

وكل من والاه رب العزه • فهو الذى بعزه أعزه
وقد تعلقنا بقطب العصر • منهم فنحن فى سناه نسرى
شيخ الانام أحمد الرفاعى • حين أتانا من حماه داعى
فنحن بين أحمد وأحمد • نسير فى نور هدى ونهتدى
رسولنا نبينا محمد • وشيخنا القطب الشريف أحمد
وشيخنا الشيخ أبى الفتح الاسد • لنا به الى الرفاعى مستند

قلت لم يكن بين السيد أحمد الرفاعى والشيخ عبد العزيز الديرينى من الوسائط فى الطريق سوى الشيخ أبى الفتح الواسطى رضى الله عنهم أجمعين وليس الا الاعتراف بالعجز عن ذكر اتباعه الائمة الذين هم بعده كالنجوم فى الامة ولله در الناظم فانه قال فيه وفى اتباعه

لقد تبع الغوث الرفاعى أمة • من الخلص الاخيار شوس أكابر
يروم محالا من يحاول عدهم • وهيهات ان تحصى النجوم الزواهر

وحسن ما نقله الوترى عن الشيخ العارف بالله السيد سراج الدين الرفاعى قدس سره انه قال مؤرخا ولادة السيد أحمد رضى الله عنه ومدة عمره ووفاته ببيت واحد وهو

ولادته بشرى ولله عمره • وجاءته بشرى الله بالقرب والزلفى
٥١٢ ٦٦ ٥٧٨

(وأعظم) من العظمة وهى انما تكون بحسب ارتفاع الشأن وعلو الطبقة وبذلك يمتاز التعظيم عن التكثير فان الثانى انما يكون باعتبار الكميات والمقادير تحقيقا أو تقديرا و(الصالحين) القائمون بحقوق الله وحقوق عباده (وأفضل) أكثر فضلا والمراد به ما ينطوى عليه الانسان من المزايا التى يفضل بها على غيره لان الفضل والفضيلة ضد النقص والنقيصة وقال بعض أساطين العربية ان الفضيلة هى الدرجة الرفيعة فى الفضل

مطلب أصول الفضائل

﴿وأصول الفضائل﴾ وأجناسها أربعة • الاول الحكمة وهى فضيلة النفس الناطقة المميزة وهى ان تعلم الموجودات كلها من حيث هى موجودة على ما هى عليه من نفس الامر بقدر الطاقة البشرية ويقال ان الحكمة وسط بين السفه وسماه قوم بالجربزة وبين البله ويندرج تحت هذا الجنس الذكاء والذكر والتعقل وسرعة الفهم وقوته وصفاء الذهن وجودته وقوته وسهولة التعلم • الثانى العفة وهى فضيلة الجزء الشهوانى وهى وسط بين رذيلتى الشره والخمود ويندرج تحتها الحياء واللوعة والصبر والحرية والقناعة والامانة والانتظام وحسن الهدى والمألفة والوقار والورع والسخاء ويندرج تحته الكرم والايثار والنبل والمواساة والسماحة والمسامحة • الثالث الشجاعة وهى فضيلة النفس الغضبية وهى وسط بين رذيلتى الجبن والتهور ويندرج تحتها كبر النفس والنجدة وعظم الهمة والصبر والحلم وعدم الطيش والشهامة • الرابع العدالة وهى فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع الفضائل الثلاث التى ذكرناها وذلك عند مسالمة القوى بعضها لبعض واستلامها للقوة المميزة ويحدث للانسان حينئذ هيئة يختار بها أبدا الانصاف من نفسه على نفسه أولا ثم الانصاف والانتصاف من غيره ويندرج تحتها الصداقة والالفة وصلة الرحم وحسن التزكية وحسن القضاء والتودد والعبادة وتمام الكلام على ذلك فى محله ككتاب طهارة الانفس وغيره واجتماع ما ذكر من الفضائل أصولها وفروعها فى السيد أحمد رضى الله عنه كما صرحت به التواريخ وكتب الرجال لا ينكره الا من اجتمعت عنده الرذائل وخلا بالكلية عن جميع الفضائل (وبقى) أن كون السيد أحمد أعظم الصالحين حالا وأفضلهم مبنى على كونه قطع مدة العمر متخلقا بالخلق المحمدى مستهديا بالهدى النبوى وقد ذكر الحافظ تقى الدين الواسطى فى ترياقه وابن الحاج رفى أم البراهين والامام الشعرانى فى كتاب المنن وغير واحد ان المشايخ اتفقوا ان أكبرهم قدرا السيد أحمد الرفاعى وانه كان قطب الاقطاب فى الارض الى آخر ما قالوه وقد ذكر العارف بالله السيد حسين برهان الدين بن خزام الصيادى الرفاعى نزيل القبيلة الخالدية بديار الشام قدس سره ان القوم مع علمهم بان الافضلية علمها عند الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم جوزوا لمشايخهم ترجيح اعتقاد فان القلب يجزم والمحبة تلزم وليس للرجل ان يقود رجلا آخر انتسب الى شيخ آخر الى اعتقاده وجزمه انتهى ولا شك ان السيد الرفاعى رضى الله عنه أجل مشايخ الناظم سلمه الله تعالى فعلى هذا زال الاشكال وارتفع القيل والقال (ومعنى) البيت ظاهر وفيه من المحسنات التفسير وهو ان يأتى المتكلم أو الشاعر فى بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما فى البيت الآخر كبيت الناظم أو فى بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير فى أوله كقول محمد بن وهب فى المعتصم

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها • شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيا آن حدث بالقساوة عنهما • قلب الذى يهواه قلبى والحجر
وثلاثة بالجود حدث عنهم • البحر والملك المعظم والمطر

وقال الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ذكر الامام وابنيه يفسره • على والحسنان اكرم بذكرهم

ومن المجمز قوله تعالى ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا الآية أبهم سبيل الرشاد ثم فسرها فافتتح بذم الدنيا وتحقير شأنها ثم ثنى بنعيم الآخرة وتفخيم أمرها ثم ثلث بذكر الاعمال سيئها وحسنها كانه قال سبيل الرشاد هو الاعراض عن الدنيا والاقبال الى الآخرة والامتناع من سيئ الاعمال والمسارعة الى صالحها وفائدة هذه الطريقة تفخيم أمر المبهم واعظامه للاجمال والتفصيل ومنه باب نعم وبئس ومن الامثلة قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا سأل ابن طاهر أحمد بن يحيى ما الهلع فما زاد على التلاوة (ثم) انه لا يخفى ان جعل البيت استئنافيا بيانيا ورفع قوله شيخنا على الخبرية لمحذوف أولى من جره على البدلية من امام لما فيه من الايجاز والسلامة من التضمين وهو تعليق البيت بما بعده فقد رآه غير واحد ومنهم الخليل من المعايب الشعرية على كثرة وروده فى الكلام والاخفش لا يرى ذلك قال الجد طيب الله ثراه وأنا وان كان دينى التدين بدين الخليل والاصحاب وبصرى ولله تعالى الحمد حديد لا اعتقد ذلك عيبا ولا أراه الا اذا كان كما فى قوله

وهم وردوا الجفار على تميم • وهم أصحاب يوم بغاث انى

شهدت لهم مواطن صادقات • شهدت لهم بصدق الود منى

وأقول ان الخليل رحمه الله لا يرى أيضا مطلقه عيبا فقد قال السكاكى اعلم ان لك فى كثير من عيوب القافية ان تكسوها ما يبرزها فى معرض الحسن مثل ان تشرع فى اختلاف التوجيه فتضم ثم تكسر ثم تفتح أو أى وضع شئت غير ماذكرت ثم تراعى ذلك الوضع الى آخر القصيدة أو فى اختلاف الاشباع أو غيرهما كما نقل الخليل قدس الله تعالى روحه بالتضمين حيث التزمه فانظر كيف ملح وذلك قوله

ياذا الذى فى الحب يلحى أما • والله لو حملت منه لما

حملت من حب رخيم لما • لمت على الحب فدعنى وما

أطلب انى لست أدرى بما • أصبت الا انى بينما

أنا بباب القصر فى بعض ما • أطلب من قصرهم اذ رمى

شبه غزال بسهام فما • أخطأ سهماه ولكنما

عيناه سهمان له كلما • أراد قتلى بهما اسلما

وكما اتفق التزامه فى اختلاف الوصل فى القطعة التى يرويها الاصمعى عن اعرابى بالبادية كان يصلى ويقول

أتنهم أولاد المجوس وقد عصوا • وتترك شيخا من سراة تميم

فان تكسنى ربى قميصا وجبة • أصلى صلاتى كلها وأصوم

وان دام هذا العيش يارب • تركت صلاة الخمس غير ملوم

اما تستحى يارب قد قمت قائما • أناجيك عريانا وأنت كريم

فانصف كيف كسر شوكة العيب انتهى وقد بقى فى البيت من المحاسن البديعة والدقائق

الادبية

الادبية مالا يخفى على الاديب والفطن الاريب تركناها خوف التطويل والله حسبنا ونعم الوكيل (قال الناظم) لازالت يده مستلم الانام وركن مجده شامخا الى مالا تدركه الاوهام

﴿لاثم الراحة الشريفة فى مشهد مجد سما باشرف مرسل﴾

أقول (اللثم) التقبيل (والراحة) بطن الكف وتطلق على العرش والساحة وطى الثوب وعدة مواضع (والشريفة) من الشرف وهو على ما فى القاموس المجد ولا يكون الا بالآباء أو علو الحسب انتهى والظاهر أن المراد بالشريفة هنا المباركة لكثرة خيرها وزيادة برها والمراد من تقبيل الراحة تقبيل اليد من الكف أو باطنه والتعبير بها لا يخفى وجهه وتقبيل اليد أمر مشروع فقد عقد أبو داود فى سننه لذلك بابا فقال باب ماجاء فى قبلة اليد عن زراع رضى الله تعالى عنه وكان فى وفد عبد القيس قال فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ورجله وفيه أيضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال دنونا يعنى من النبى صلى الله عليه وسلم فقبلنا يده انتهى وذكر بعض الفقهاء ان تقبيل يد الغير ان كان لزهد وصلاح أو علم وشرف وصيانة أو نحو ذلك من الامور الدينية لم يكره بل يستحب كذا ذكره النووى فى الاذكار وعن بعضهم أنه يجوز تقبيل يد الحاكم العادل والعالم العامل وقال الجد طيب الله ثراه وفى تقبيل اليد ونحوها خلاف وفى حديث حسن انه صلى الله تعالى عليه وسلم نهى عن حنى الظهر فى السلام وعن التزام الغير وتقبيله وأمر بمصافحته نعم الصحيح أنه لا بأس بتقبيل نحو رأس أو يد أو رجل لنحو صلاح أو علم أو شرف بل صرح كثير بندب ذلك وصح أن أبا عبيدة قبل يد عمر رضى الله تعالى عنهما وروى أن ابن عباس أمسك الركاب لابى بن كعب فقال له ما هذا يا ابن عباس فقال هكذا أمرنا باكرام علمائنا فقطأطأ على يد ابن عباس فقبلها وقال هكذا أمرنا بتعظيم أهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وكذا لا بأس بتقبيل وجه طفل رحمة ومودة لخبر البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قبل ابنه ابراهيم • وقال وقد قبل الحسن لمن قال لى عشرة من الاولاد ما قبلتهم من لا يرحم لا يرحم قال ويسن تقبيل قادم من سفر ومعانقته للاتباع الصحيح فى جعفر رضى الله تعالى عنه لما أقبل من الحبشة وتقبيل توابيت الاولياء قدس الله تعالى أسرارهم قال به بعض والاكثر لم يقبل وما يفعله الجهلة اليوم عند أعتابهم ومراقدهم نفعنا الله تعالى بعلومهم منكر لا أرضى به ولا أقدر أنا بل ولا غيرى على ازالته وأظنها مخبوأة للمهدى والامر لله عزوجل انتهى (والمشهد) محضر الناس (والمجد) الشرف الواسع وفسر أيضا بشرف الذات وحسن الفعل والمراد بمشهد المجد الذى سما باشرف مرسل مرقد سيد الانام ومصباح الظلام عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام والروضة المقدسة التى صارت مهبطا للبركات ومصعدا للدعوات وموطنا للاجتماعات على الطاعات الى غير ذلك من أنواع الخيرات قال الجد طيب الله تعالى ثراه وقد حكى كثير من العلماء كابن عساكر والباجى والقاضى عياض الاجماع على أن الموضع الذى ضم أعضاءه الشريفة عليه الصلاة والسلام أفضل بقاع الارض حتى موضع الكعبة بل نقل التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى انها أفضل من العرش وقال الفاكهانى انها أفضل من بقاع السموات فقد جاء أن السموات شرفت بوطء قدميه

بل لو قال قائل ان جميع بقاع الارض أفضل من جميع بقاع السماء لشرفها بكونه صلى الله تعالى عليه وسلم حالا فيها لم يبعد بل هو عندى الظاهر المتعين انتهى وحكاه بعضهم عن الاكثرين لخلق الانبياء منها ودفنهم فيها لكن قال النووى ان الجمهور على تفضيل السماء على الارض أى ماعدا ماضم الاعضاء الشريفة واستشكل حكاية الاجماع على أفضلية ماضمها بتلك الاعضاء المكرمة على جميع بقاع الارض بان الاماكن والازمان كلها متساوية ويفضلان بما يقع فيهما الا بصفات قائمة بهما ويرجع ذلك بالاخرة الى أن الله تعالى يجود على عباده بمزيد أجر العاملين فيهما ومضاعفته وتعقبه الشيخ تقى الدين السبكى بان هذا لا ينبغى أن يكون التفضيل لامر آخر فيهما وان لم يكن عمل لان قبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تنزل عليه الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله سبحانه من المحبة ولساكنه من القبول ما تقصر عن ادراكه العقول وليس ذلك لمكان غيره فكيف لا يكون أفضل وان لم يكن محل عمل لنا لانه ليس مسجدا ولا له حكمه بل هو مستحق للنبى صلى الله تعالى عليه وسلم وأيضا قد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم حى فيه كما قرره غير واحد وأعماله عليه الصلاة والسلام مضاعفة أكثر من كل أحد ولا يختص التضعيف بأعمالنا نحن ودون اثبات هذا الاختصاص الموت الاحمر وحقق أن تفضيل ذلك المكان باعتبارين أحدهما ما قيل من أن كل أحد يدفن فى الموضع الذى خلق منه وثانيهما تنزل الرحمة والبركات عليه واقبال الله تعالى اليه ولا نقول ان الفضل للمكان لذاته ولكن لاجل من حل فيه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا ينافى ما قرره من حياته عليه الصلاة والسلام فى قبره خبر ما من أحد يسلم على الا رد الله تعالى على روحى حتى أرد عليه السلام لما قالوه من أنه ليس المراد برد الروح عودها بعد المفارقة بل المراد به الافاقة من الاشتغال باحوال الملكوت والاستغراق فى تجليات حضرة اللاهوت فانه عليه الصلاة والسلام مشغول فى البرزخ بذلك كما كان فى الدنيا حال تلقى الوحى ونظير هذا قولهم فيما ورد فى بعض أحاديث الاسراء من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام انه ليس المراد بالاستيقاظ الاستيقاظ من النوم فان الاسراء لم يكن مناما وانما المراد الافاقة مما اعتراه عليه الصلاة والسلام من مشاهدة العجائب والآيات العظام وقيل لان جملة رد الله تعالى الخ حالية بتقدير قد المصرح بها فى رواية البيهقى وحتى جارية مجرى الواو والمعنى ما من أحد يسلم على الا وقد رد الله تعالى على روحى قبل ذلك وأرد عليه وفيه تأمل وقيل لان لفظ الرد قد لا يدل على المفارقة بل يكنى به عن مطلق الصيرورة وحسن ذلك هنا مراعاة المناسبة اللفظية بينه وبين فأرد آخر الخبر وهو كما ترى وقال تاج الدين الفاكهانى ان المراد بالروح هنا النطق مجازا والعلاقة اللزوم فلا محذور وأنت تعلم أن المجاز يعتمد على القرينة وهى غير ظاهرة وأورد هذا على الاول أيضا وأجيب بانه كفى باخبار الحياة قرينة مانعة عن ارادة الحقيقة وقيل فى دفع المنافاة غير ذلك والله تعالى أعلم ولا يخفى أن تعظيم المقام لصاحبه واحترامه لحرمة من حل به وأشار الناظم سلمه الله تعالى بهذا البيت الى ما وقع للسيد أحمد رضى الله تعالى عنه من القصة العجيبة والحادثة الشريفة الغريبة التى تحلت بها سطور الطروس وهى قصة مد يد النبى صلى الله تعالى عليه وسلم له عام حجه رضى الله تعالى عنه

وهى لهذا السيد الجليل والعلم الطويل درة القلادة وطوق السعادة والسيادة والمنقبة التى لا تقابل بمثيل ولا تشاكل بعديل كيف لا وهو اذا ذكر بين العرب والعجم يقال حائز شرف تقبيل يد النبى صلى الله عليه وسلم ولله در السيد سراج الدين الرفاعى البغدادى قدس سره فانه يقول فى كتابه صحاح الاخبار عند ذكر هذه القصة

لقد مدح الغوث الرفاعى أمة ❊ وماذا عسى من بعد ان قبل اليدا
ومن شرف الارث الصريح لذاته ❊ متى ذكروه يذكرون محمدا

والقصة أشهر من أن تذكر وقد بلغت بين المسلمين مبلغ التواتر سار بذكرها الركبان واستفاض خبرها فى البلدان وتلقاها الناس خلفا عن سلف ويخشى على منكرها سوء الحال والعياذ بالله كما صرح بذلك الامام العلامة الشيخ أحمد بن محمد الوترى فى كتابه مناقب الصالحين والحافظ الامام تقى الدين الواسطى فى كتابه ترياق المحبين فى طبقات خرقة المشايخ العارفين والصفورى فى نزهة المجالس والفاروثى قدس سره فى النفحة المسكية وغيرهم وقد ذكر كل من هؤلاء الرجال خبر القصة المذكورة فى كتبهم التى ذكرناها وأطال بذكرها الامام عبد الكريم الرافعى القزوينى فى مختصره سواد العينين وذكرها الامام الكبير السيد أحمد الصياد فى الوظائف الاحمدية والشيخ الهمام الحافظ محمد بن قاسم الواسطى فى كتابه البهجة الكبرى والشيخ العارف بالله على أبو الحسن ابن الشيخ مقدام جمال الدين الخطيب الحدادى خطيب أونية الواسطى الشافعى فى كتابه ربيع العاشقين والامام الحافظ قاسم بن أبى بكر بن الحاج الواسطى الشافعى فى كتابه أم البراهين والامام الحافظ جلال الدين السيوطى فى كتابه التنوير فى كتابه الشرف المحتم والشيخ الكبير المناوى فى كتابه طبقات الكواكب الدرية والشيخ العارف بالله العطار فى التذكرة والشيخ الكبير أبو بكر العيدروس الحسينى فى كتابه النجم الساعى والعلامة السيد أبو القاسم البرزنجى فى اجابة الداعى والحبر الجليل العلامة الخفاجى فى شرح الشفاء الشريف والامام الشعرانى فى مناقب الصالحين والشيخ الكبير العارف بالله الشيخ على أبو الحسن الواسطى فى خزانة الاكسير والعلامة الكبير ابن عماد الموصلى فى تاريخه روضة الاعيان والعلامة العابد الصالح العارف الشيخ عبد المنعم العالى نزيل دمشق الشام فى قاموس العاشقين وشيخ الجماعة الامام الكبير العارف بالله السيد سراج الدين الرفاعى المخزومى قدس الله روحه فى صحاح الاخبار والعلامة الشيخ محمد بن جسوس المغربى فى لوامع أنوار الكواكب الدرية والشيخ الاجل الشريف الكبير شرف الدين بن عبد السميع الهاشمى العباسى فى مقدمة البرهان المؤيد وخلائق لا يحصون وملخص ما ذكره هؤلاء الائمة الاعلام فى كتبهم أن هذا السيد الهمام والغطريف الضرغام انتهت له بعد خاله الشيخ منصور رآسة الطوائف العلية على الاطلاق وتمسك باذياله العارفون وانتفع به المسلمون وجدد أمر الشريعة الغراء وأعلى أركان الطريقة السمحاء وسارت الركبان بذكر خوارقه وجليل برهانه وعدوا مرتبته الغوثية آية من شانه ولما أراد الله افراده بمزية لا تنال ورفعة لا تطال وعز شامخ وشرف باذخ ومرتبة رفيعة ومنزلة منيعة وتدلت أسرار الغيوب لاعلان هذا الشان وانجلت بعد اختفائها للعيان كان كما شاع وذاع وملأ الاسماع وثبت بالتواتر القطعى الذى

لا يقبل الجمجمة ولا النزاع ولا يشتبه فيه الا من فى قلبه مرض أو زيغ أو ابتداع لتواتر صحة هذا الجزء الشريف عند الاولياء والحفاظ والاعيان الائمة وأكابر السلف الصالح الذين هم خلاصة الامة وذلك أن السيد الكبير المكرم والغوث الافضل المقدم سيدنا السيد أحمد الرفاعى المشار اليه صبت سجال رضوان الله عليه كان ذات يوم مع جماعة من أهل الله أرباب الوفا فقام وصاح صيحة مدهشة وقال الله نوديت من العلا أن يا أحمد قم وزر جدك المصطفى فان هنالك أمانة يؤديها اليك فأنا عازم على الزيارة ماذا تقولون فى موافقة هذه الاشارة فقام بعض الرجال وأنشده معلنا بموافقة الحال

من كل أمر فانا الا نخالفه ● وحد حدا فانا عنده نقف

فقام رضى الله عنه من مكانه الذى صدرت له فيه الاشارة وانجلت له البشارة وباشر التهيئ للحجاز الشريف قاصدا التشرف بذلك الرحاب العطر المنيف وخرج بجماعة من أم عبيدة فغصت بالناس الطرقات من جميع الديار والجهات تشرفا بمعيته وتبركا بخدمته وكان فى القافلة المبرورة المذكورة من أكابر العصر جماعة كثيرون منهم الشيخ الجليل أحمد الزعفرانى والشيخ المعظم حيوة بن قيس الحرانى والشيخ الاكمل أحمد الزاهد بن الشيخ منصور البطائحى الربانى والشيخ المكرم عبد القادر الجيلانى والشيخ البركة التجى عقيل المعمرى المنبجى وغيرهم قال فى ربيع العاشقين لم يطعم السيد أحمد رضى الله عنه شيأ من الطعام منذ خرج من بيته الى أن دخل مدينة جده عليه الصلاة والسلام وقد ظهر له فى ذلك السفر من الكرامات الخارقة والاحوال الصادقة والاشارات البارقة مالا يعد ولا يحصى ولا يحد ولا يستقصى ولا زال سائرا الى أن من الله عليه بالوصول الى دار محبوبه ورحاب بغيته ومطلوبه وقد قيل

وأعظم ما يكون الوجد يوما ● اذا دنت الخيام من الخيام

فلما تراءت له القباب ولمعت له بوارق القبول من ذلك الرحاب ترجل عن مطيته وخلع خفه ومشى حافيا اعظاما لجليل مكانة هذه المقابلة النورانية واعزازا لجانب تلك الساحة المصطفوية فلما دخل الحرم المحترم ومس المبارك عتبة ذلك الباب المعظم وقف تجاه قبر جده سيد الوجود ومعدن الكرم والفضل والاحسان والجود وقال السلام عليك يا جدى فظهر صوت من القبر الاشرف يقول وعليك السلام يا ولدى سمع ذلك كل من حضر فى ذلك الروض الاعطر وقد زادت القافلة المدنية فى ذلك العام عن تسعين ألفا ووقف الناس وراء ظهر السيد المشار اليه رضى الله عنه وهو فى حضور جده الاعظم صفا صفا وكان اليوم يوم الخميس والوقت بين العصر والمغرب وقد عم السرور والنور أكناف المشرق والمغرب فلما سمع الجواب من جده حبيب الملك الوهاب أن وحن وجثى على ركبتيه غائبا عن نفسه حاضرا مع أنسه ثم تداركته عناية جده بالرفق واللطف والانعام وأنشد أمامه عليه أكمل الصلاة وأفضل السلام

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها ● تقبل الارض عنى وهى نائبتى

وهذه دولة الاشباح قد حضرت ● فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فلما أتم البيتين الشريفين والركنين المعمورين ارتفع الستر المسدول وأسدلت ستائر

القبول وعمت الدهشة الابصار والقلوب وفتحت أبواب الغيوب وهمعت سحب المواهب القدوسية وانشق تابوت الحضرة النبوية وظهر لهذا الغوث الاعظم من الشرف المكنون ما كان مطويا فى منشور الكاف والنون ومد له جده صلى الله عليه وسلم يده الطاهرة فخرجت بيضاء سوية ذات كف طويلة الاصابع كالصقيل اليمانى تلمع نورا غشى الحرم فقبلها رضى الله عنه والناس جميعا ينظرون ولما قدم رضى الله عنه من الحجاز الى أم عبيدة هناه بهذه النعمة السعيدة أعيان العصر بقصائد عظيمة منها هذه القصيدة السعيدة

أى سر جاءت به الانباء ● وحديث رواته الاولياء

سلسلته السادات أهل المعالى ● وحكته الائمة الاتقياء

فروى نشره الصدر بن ريا ● وأضاءت بنوره البطحاء

مد طه يمينه للرفاعى ● فانجلت عندها له الاشياء

يا لها من عين قدس نزيه ● يشتهى شم عطرها الانبياء

قد تجلى الله المهيمن لما ● ظهرت وازدهت لذاك السماء

وأحاطت بالقبر أجنحة الاملاك والشهب مسها الحصباء

شرف باذخ وشأن عظيم ● أعظمته الغبراء والخضراء

ومقام مؤيد الشأن عال ● غبطته الاكفاء والبعداء

فالندى حول بابه مستهام ● والوفا الجم والسنا والسناء

صانك الله لو رأيت المعانى ● يوم سرت بشبلها الزهراء

يوم دقت جلاجل السعد والمجد وطابت لصوتها الالاء

يوم قامت للمصطفى بينات ● قصرت عن ايرادها الاحياء

يوم أبدى من الحياة رموزا ● خرست عند ذكرها الاعداء

يوم ألوان جاحدى الحق غيظا ● سربلتها بطورها الحرباء

يوم تنسلى فى حالة البعد قربا ● من ضريح فى ذيله الجوزاء

حضرة ذات حشمة ووقار ● ضمنها الارض والسماء سواء

نال فيها الغوث الرفاعى مجدا ● أسسته له بها الآباء

رب وقت يدنو الحفيد من الجد به ثم تنتحى الابناء ●

لا تقل كيف تم هذا وأيقن ● يفعل الله ربنا ما يشاء

واهجر المارقين واعذر اذا ما ● أنكر الشمس مقلة عمياء

أيكون النبى ميتا وفى القر ● آن احياء ربها الشهداء

وعد اليمين لابن الرفاعى ● حجة فى مقامها سمحاء

شهدتها المساء آلاف قوم ● ورآها الاقران والاكفاء

صار ذاك المساء صباحا فيا أعجب يوم ما فيه الصباح المساء

فرح الدين والهدى وطريق الشرع بل والشريعة الغراء

وتعالى شأن النبى المفدى ● وتلاشت بطبعها الاهواء

رضى الله عنك يا أحمد القو * م الذى طاب باسمه الفقراء
انما الاولياء فى كل أرض * لهم من فيوضك استجداء
أنت غوث البلاد شرقا وغربا * بك تسقى بقاعها الانواء
أنت شمس العرفان لولاك فى السلك * أنجاهم جهم ظلماء
أنت باب الرجا لكل مريد * وملاذ تحمى به الضعفاء
قد خلفت الرضا وجعفر والكرار فالبر واحد والماء
آل بيت النبى لازال منكم * فى البرايا عن جدكم أوصياء
أنتم الصالحون وارثو أرض الله والعارفون والنجباء
أنتم حجة الاله على النا * س أجل والمحجة البيضاء
نوركم كان والعوالم فى الطمس دخان والحادثات هباء
صلوات الله العظيم عليكم * ماتو الى الضراء والسراء
وبهم الرضا عبيد اضعافا * بكم استمسكوا وتم الرجاء

قال الحافظ الواسطى فى ترياقه مامن شيخ بعد السيد أبى الوفاء والسيد منصور رضى الله عنهما الا وللسيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه عليه بيعة المشيخة مرة أو مرتين أو ثلاثا وقد بايعوه على المشيخة فى الحرم النبوى حين مدت له يد النبى صلى الله عليه وسلم نقل ذلك عن الشيخ عز الدين أحمد الفاروثى قدس سره وذكر ان الفاروثى قال له قد رأيت جماعة من أهل تلك الحضرة المباركة يعنى من الذين شهدوا مد اليد الشريفة قال الفاروثى فى نفحته رأيت خمسة رجال من الذين تشرفوا بذلك المحضر الكريم قال الواسطى قال لنا الشيخ الصالح الثقة عبد الرحمن بن بدران بن يعقوب بن كراز حدثنى أبى عن أبيه الشيخ العارف بالله يعقوب بن كراز خادم سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله عنه انه قال خدمت سيدى السيد أحمد رضى الله عنه ثلاثين سنة فوالله مارأت عينى ولا سمعت أذنى بشيخ أكمل منه ولا أكثر ذلا وانكسارا ولا أقوى شكيمة فى دين الله ولا أزهد ولا أسخى ولا أزيد تواضعا ولا أعظم تحملا ومارأيته أكثر ذلا وانكسارا من اليوم الذى مدت له فيه يد النبى صلى الله عليه وسلم فوالله ماظننت الا انه يموت من شدة الحياء وكان يمرغ وجهه الزكى وشيبته المباركة على تراب الحرم ويقول

سمح الاحبة فوق قدر عبيدهم * بعناية نشروا بها أعلامه
ماضر لو جعل الصحيفة جلده * لمديحهم وعظامه أقلامه

قال الناظم سلمه الله فى كتابه ضوء الشمس فى قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس مانصه ولا يخفى ان كثيرا من الاولياء يرونه صلى الله تعالى عليه وسلم ويسمعون خطابه الكريم الذى ورد فيه الحديث وعليه جماهير الامة سلفا وخلفا انه يرد على من يسلم عليه السلام والفرق بين الولى وغيره سماع خطابه المبارك وعدمه ومن هنا يستدل أيضا على ما أيد الله تعالى به مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله تعالى عنه وميزه به عن أوليائه من القرب المحمدى فان الاولياء الكرام يرونه صلى الله تعالى عليه وسلم ولمثلهم ان يراه لان الحجب الثقيلة كالتراب ونحوه لاتمنع حدق أبصارهم التى طهرها الله تعالى من الاغيار

الا ان السيد الكبير السيد أحمد قدس سره عند خروج اليد المحمدية له رآها حينئذ كل من كان فى الحرم الشريف النبوى من مقرب ومحجوب وتواترت بها الاخبار وسارت بها الركبان فى الامصار وتعطرت بذكرها محافل السادات والاكابر وامتلأت بنقلها بطون الدفاتر فما أعظم هذه المزية والرتبة العلية (وحسن ان نذكر هنا بعض من من الله عليه برؤيا سيد الوجود وخطابه الشريف من الاولياء والزهاد والصلحاء قال الامام السيوطى فى التنوير وفى معجم الشيخ برهان الدين البقاعى قال حدثنى الامام أبو الفضل بن أبى الفضل النويرى ان السيد نور الدين الايجى والد الشريف عفيف الدين لما ورد الى الروضة الشريفة وقال السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته سمع من كان بحضرته قائلا من القبر يقول وعليك السلام ياولدى وقال الحافظ محب الدين بن النجار فى تاريخه أخبرنى أبو أحمد داود بن على بن محمد بن هبة الله بن المسلمة أخبرنا أبو الفرج المبارك بن عبد الله بن محمد بن النقود قال حكى شيخنا أبو نصر عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبى سعد الصوفى الكرخى قال حججت وزرت النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فبينا أنا جالس عند الحجرة اذ دخل الشيخ أبو بكر الديار بكرى ووقف بازاء وجه النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وقال السلام عليك يارسول الله فسمعت صوتا من داخل الحجرة وعليك السلام يا أبابكر وسمعه من حضر وفى كتاب مصباح الظلام فى المستغيثين بخير الانام عن شمس الدين بن محمد بن موسى بن النعمان قال سمعت يوسف بن على الزنانى يحكى عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها قالت فاستغثت بالنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فسمعت قائلا من الروضة يقول أمالك فى أسوة فاصبرى كما صبرت أو نحو هذا قالت فزال عنى ماكنت فيه ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذوننى انتهى وفى الفتوحات الاحمدية شرح الهمزية للعلامة الشيخ سليمان تغمده الله تعالى بالرحمة والغفران عند الكلام على قول ناظم الهمزية الشيخ البوصيرى رحمه الله

ليته خصنى برؤية وجه * زال عن كل من رآه الشقاء

أى ليتنى أراه فى يقظتى بناء على امكان ذلك وهو ماحكاه ابن أبى جمرة وكثيرون عن جماعة من التابعين ومن بعدهم أنهم رأوه فى اليقظة وسألوه عن أشياء قال ابن أبى جمرة وهذه من جملة كرامات الاولياء وعن الغزالى ان أرباب القلوب فى يقظتهم قد يشاهدون الملائكة وأرواح الانبياء ويسمعون منهم أصواتا ويستفيدون منهم فوائد ومما يؤيد هذا انه لايبعد أن من أكرم برؤيته يزيل الله له الحجب بينه وبينه وهو بحاله فى قبره ويخلق الله تعالى فى الرائى قوة فى بصره فيراه ولو مع بعد المسافة ويحادثه ويسمع كل كلام الآخر انتهى وقد رجح هذا على وجوه يحتملها البيت قال وقرينة ذلك انه يعنى البوصيرى تلميذ القطب أبى العباس المرسى فهو الذى حلت عليه بركته حتى وصل الى هذا المقام والقطب المذكور وارث القطب الاكبر أبى الحسن الشاذلى وكل منهما حفظت عنه رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم يقظة بل قال الشاذلى لو حجب عنى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم طرفة عين ماعددت نفسى مسلما وممن حفظت عنه رؤية رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقظة مرارا العارف بالله تعالى سيدى على وفا ابن القطب الكامل سيدى محمد وفا وكان

سيدى على يرى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كثيرا عند قبر والده بالقرافة الى آخر ما قال عليه رحمة المتعال وقال ابن الحاج فى المدخل رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة باب ضيق وقل من يقع له ذلك الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر على من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم قال وقد أنكر بعض علماء الظاهرية رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بان قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى دار البقاء والرائى فى دار الفناء وقد كان سيدى أبو محمد بن أبى جمرة يحل هذا الاشكال ويرده بان المؤمن اذا مات يرى الله تعالى وهو لا يموت والواحد منهم يموت فى كل يوم سبعين مرة انتهى وقال القاضى شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزى فى كتابه توثيق عرى الايمان قال البيهقى فى كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ليلة المعراج جماعة منهم وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وان الله تعالى حرم على الارض أن تأكل لحوم الانبياء قال البارزى وقد سمع من جماعة من الاولياء فى زماننا وقبله أنهم رأوا النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة حيا بعد وفاته قال وقد ذكر الشيخ الامام شيخ الاسلام أبو البيان بنا بن محمد بن محفوظ الدمشقى فى نظمه انتهى وقال الشيخ أكمل الدين البابرتى الحنفى فى شرح المشارق فى حديث من رآنى الخ الاجتماع بالشخص يقظة ومناما لحصول ما به الاتحاد وله خمسة أصول كلية الاشتراك فى الذات أو فى صفة فصاعدا أو فى الافعال أو فى المراتب وكل ما يتعقل من المناسبة بين شيئين أو أشياء لا يخرج عن هذه الخمسة وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس ومن حصل الاصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع بهم متى شاء وقال الشيخ صفى الدين بن أبى المنصور فى رسالته والشيخ عفيف الدين اليافعى فى روض الرياحين قال الشيخ الكبير قدوة الشيوخ العارفين وبركة أهل زمانه أبو عبد الله القرشى لما جاء الغلاء الكبير الى ديار مصر توجهت لان أدعو فقيل لى لا تدع فما يسمع لاحد منكم فى هذا الامر دعاء فسافرت الى الشأم فلما وصلت الى قريب ضريح الخليل عليه السلام تلقانى الخليل فقلت يا رسول الله اجعل ضيافتى عندك الدعاء لاهل مصر فدعا لهم ففرج الله عنهم وقال اليافعى وقوله تلقانى الخليل قول حق لا ينكره الا جاهل بمعرفة ما يرد عليهم من الاحوال التى يشاهدون فيها ملكوت السماء والارض وينظرون الانبياء أحياء غير أموات كما نظر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم الى موسى عليه الصلاة والسلام فى الارض ونظره أيضا هو وجماعة من الانبياء فى السموات وسمع منهم مخاطبات وقد ذكر الامام السيد أبو بكر العيدروس فى كتابه النجم الساعى ان القطب الامام محيى الدين السيد أبا اسحق ابراهيم الاعزب سبط سيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله عنهما كان يصف الخليل ابراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والتسليم فأنكر بعض الفقهاء من الحاضرين عليه ذلك فالتفت نحو الفقيه وأشار الى جهة فأمعن الفقيه النظر وصاح وخر مغشيا عليه فلما أفاق

سألوه عن القصة فقال رأيت الخليل صلاة الله عليه وسلامه وهو كما وصفه لكم السيد ابراهيم رضى الله عنه وقد تقرر أن ما جاز للانبياء معجزة جاز للاولياء كرامة بشرط عدم التحدى وذكر الشيخ سراج الدين بن الملقن فى طبقات الاولياء ما ملخصه ان الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره النورانى رأى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الظهر وقال له تكلم على الناس وادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ومثل هذا شهير وما ذكرناه قليل من كثير وبقى أمور لا بد من التنبيه عليها كما ذكره السيوطى الاول أكثر ما تقع رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فى اليقظة بالقلب ثم يترقى الى أن يرى بالبصر قال القاضى أبو بكر بن العربى أحد أئمة المالكية فى كتابه قانون التأويل ذهبت الصوفية الى أنه اذا حصل للانسان طهارة النفس وتزكية القلب وقطع العلائق وحسم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال والخلطة بالجنس والاقبال على الله تعالى بالكلية علما دائما وعملا مستمرا كشفت له القلوب ورأى الملائكة وسمع أقوالهم واطلع على أرواح الانبياء وسمع كلامهم ثم قال ورؤية الانبياء والملائكة وسماع كلامهم ممكن للمؤمن كرامة وللكافر عقوبة انتهى ولكن ليست الرؤية البصرية كالرؤية المتعارفة عند الناس من رؤية بعضهم لبعض وانما هى جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجدانى لا يدرك حقيقته الا من باشره كما يروى عن الشيخ عبد الله الدلاصى انه قال فلما أحرم الامام وأحرمت أخذتنى أخذة فرأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاشار بقوله أخذة الى هذه الحالة الثانى هل الرؤية لذات المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم بجسمه وروحه أو لمثاله قال السيوطى الذين رأيتهم من أرباب الاحوال يقولون بالثانى وبه صرح الغزالى فقال ليس المراد انه يرى جسمه وبدنه بل مثالا له صار ذلك المثال آلة يتأدى بها المعنى الذى فى نفسه قال والآلة تارة تكون حقيقية وتارة تكون خيالية والنفس غير المثال المتخيل فما رآه من الشكل ليس هو روح المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولا شخصه بل هو مثال له على التحقيق قال ومثل ذلك من يرى الله تعالى فى المنام فان ذاته منزهة عن الشكل والصورة ولكن تنتهى تعريفاته الى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره ويكون ذلك المثال حقا فى كونه واسطة فى التعريف فيقول الرائى رأيت الله تعالى فى المنام لا يعنى انه رأى ذات الله كما يقول فى حق غيره انتهى وفصل القاضى أبو بكر بن العربى فقال رؤية النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بصفته المعلومة ادراك على الحقيقة ورؤيته على غير صفته ادراك للمثال وهذا الذى قاله فى غاية الحسن الثالث سئل بعضهم كيف يراه الراؤن المتعددون فى أقطار متباعدة فأنشد

كالشمس فى كبد السماء وضوؤها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

الرابع ان قال قائل يلزم على هذا ان تثبت الصحبة لمن رآه فالجواب أن ذلك ليس بلازم أما ان قلنا ان المرئى مثال فواضح لان الصحبة انما تثبت برؤية ذاته الشريفة جسدا وروحا وان قلنا المرئى الذات فشرط الصحبة أن يراه وهو فى عالم الملك وهذه رؤية وهو فى عالم الملكوت وهذه الرؤية لا تثبت الصحبة ويؤيد ذلك أن الاحاديث وردت بان جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ولم تثبت الصحبة للجميع لانها رؤية فى عالم الملكوت فلا تفيد صحبة هذا وفى البيت أنواع من البديع منها التلميح بتقديم اللام على الميم وهو أن يضمن المتكلم كلامه

كلمة أو كلمات من آية أو بيت أو فقرة من خبر أو مثل سائر أو معنى مجرد من كلام أو حكمة وان كون الشيخ رضى الله تعالى عنه لاثم البيد الشريفة كلام مشهور وهو بعض القصة ومن أمثلة التلميح قول أبى تمام

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * أرق وأحفى منك فى ساعة الكرب

فقد ضمن كلامه كلمات من البيت المشهور وهو قوله

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

وقوله

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى * قلوبا عهدنا طيرها وهى وقع

فردّت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضى ضوؤها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها ثوب السماء المجزع

فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى القوم يوشع

فانه أشار الى قصة يوشع عليه السلام مع الجبارين وهى كالشمس فى رابعة النهار وروى أن المنصور وعد الهذلى بجائزة ونسى وجاءمعاو مرا فى المدينة على بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذى يقول فيه الاحوص * يا بيت عاتكة الذى أتغزل * فانكر عليه لانه تكلم من غير أن يسأل فلما رجع أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

واراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فذكر المواعيد وأنجزله واعتذر اليه ومنه قوله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قال جار الله قوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه تفضيل محمد صلوات الله عليه وانه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب فى الزبور قال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون (قال الناظم) لا زال أصلا للفضائل مسلسل المحاسن والشمائل

﴿فرع ذاك الاصل الاصيل سليل النسب الطاهر الشريف المسلسل﴾

أقول ﴿الفرع﴾ هو ما ينبنى على غيره كفرع الشجرة وفى القاموس الفرع من كل شئ أعلاه ومن القوم شريفهم [٢] ﴿وذاك﴾ ذا اسم اشارة موضوع للمفرد المذكر وضع الذى له واذا أشير به الى البعيد الحقت كاف الخطاب حرفا يدل على حال المخاطب غالبا واذا أريد التنبيه على زيادة البعد قرن باللام فقيل ذلك والاكثرون على ان المقرون بالكاف دون اللام للمتوسط والمقرون بها للبعيد ورد بان الفراء حكى ان اخلاء اسم الاشارة عن اللام لغة تميم ولاشك فى انهم كانوا يشيرون الى البعيد على ان البعد غير مضبوط ليكون هناك وسط بينه وبين القريب وقد ينزل بعد المرتبة فى الشرف منزلة بعد المسافة وذلك عند قصد التعظيم كما فى ذلك الكتاب وكذا ينزل بعد المرتبة فى الخسة منزلة بعد المسافة عند قصد التحقير كما فى فذلك الذى يدع اليتيم وقد يؤتى بما يشير الى البعد اذا كان المشار اليه معنى غير مصرح به فى الكلام كالمصدر الذى فى ضمن القول نحو ضرب زيد عمرا فأعجبنى ذلك تعنى الضرب المدلول عليه بضرب وتمام الكلام فى هذا المقام يطلب فى كتب العربية ولعلنا نتكلم اذا عدنا لمثله بيد أنى أقول انه قصد ههنا من ذاك التعظيم ﴿والاصل﴾ ما ينبنى عليه غيره ثم نقل فى العرف الى عام آخر مثل الراجح والقاعدة الكلية والدليل وكلها تناسب

[٢] وفرع كمنع بمعنى صعد ويستعمل بمعنى نزل فهو من الاضداد ويقال فرع زيد القوم فرعا اذا علاهم بالشرف أو الجمال اهمؤلف

المعنى اللغوى فان المرجوح كالمجاز مثلا له نوع ابتناء على الراجح كالحقيقة وكذا الفروع الجزئية والمدلول بالقياس الى القاعدة والدليل ﴿والاصيل﴾ هنا مأخوذ من الاصل للتأكيد كقولهم دهر الداهرين ﴿والسليل﴾ الولد كالسلالة ﴿والنسب﴾ القرابة أو فى الآباء خاصة وفسر بالاشتراك من جهة أحد الابوين وهو ضربان نسب بالطول كالاشتراك بين الآباء والابناء ونسب بالعرض كالنسبة بين بنى الاخوة وبنى الاعمام ولعل الاظهر هنا الاول ﴿والطاهر﴾ هنا الذى لم يدنس بنقص ﴿والمسلسل﴾ المتصل وفيه اشارة الى ما ثبت عنه عليه الصلاة والسلام من بقاء هذا النسب المبارك وعدم انقطاعه ويحتمل ان يراد بالاتصال تناسب أولئك الآباء بالشرف والسودد وعدم انقطاعه بمن لم يسلك فى سبيلهم ولم يجر على منوالهم

ورث المكارم كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب

ومن هذا المعنى أخذ الاصوليون معنى الخبر المسلسل وكون السيد رضى الله تعالى عنه فرع الاصل الاصيل وسليل النسب الطاهر الجليل مما لا يحتاج الى برهان ولا يفتقر الى بيان

وليس يصح فى الاعيان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

فانه على ما سيجئ ان شاء الله تعالى ينتهى نسبه الى أمير المؤمنين على كرم الله وجهه بواسطة ريحانة الرسول وقرة عين البتول الامام الحسين رضى الله تعالى عنه وقد صح مرفوعا ان الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم واختار بنى آدم فاختار منهم العرب واختار العرب فاختار منهم قريشا واختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم الحديث كيف لا وواسطة هذا العقد شمس العوالم ونورها وحور عين رياض الكائنات ونورها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو الذى استخلصه الله تعالى من أطيب المناكح وحماه من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة الى أرحام منزهة وقد قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تأويل قول الله تعالى وتقلبك فى الساجدين أى تقلبك فى أصلاب طاهرة من أب بعد أب الى ان جعلك نبيا فهو سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل ولا مغموز مستذل بل كلهم سادة قادة وكل فرد منهم واسطة قلادة وما أحسن قول البوصيرى قدس سره فى هذا النسب

نسب تحسب العلى بحلاه * قلدته نجومها الجوزاء

حبذا عقد سودد وفخار * أنت فيه اليتيمة العصماء

ومع كون هذا السيد الجليل رضى الله تعالى عنه قد استخلصه مولاه من اكرم العناصر وأمده سبحانه بأوكد الاواصر فقد الحق البنوة بالابوة وأضاف درجة الفضيلة الى محتد النبوة حتى قيل فيه ما أقرب الشبه على بعد عهده وهذا ماء الورد بعد ذهاب ورده فاذا اجتمعا له كان مقابلا من طرفيه وكملت له أبهة شرفيه فان المرء كثير بفضله لا بأهله ومنظور اليه بكرم أخلاقه لا بكرم أصله وان شرف الانساب أصدقه ما كان الدهر به شهيدا وأجده ما كان قديما وأخلقه ما كان جديدا ولا يخفى ما فى البيت من أنواع البديع منها الطباق وقدمر بيانه وحلا ومنها الجناس الزائد وهو أقسام لانه اما ان يزاد حرف فى الاول كقوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق أو فى الثانى كقولك

وجدى جهدى أوفى الثالث ويسمى تذييلا قال أبو تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقد يزاد أكثر من حرف كقول الشاعر

فيا لك من حزم وعزم طواهما * جديد البلى تحت الصفا والصفائح

ومنها غير ذلك مما يطول بيانه والفطن تكفيه الاشارة (قال الناظم) لازال منصورا وعدوه مقهورا

﴿ناصر السنة السنية شيخ القوم أنداهم يمينا وأطول﴾

أقول ﴿الناصر﴾ المعين وله معان أخر ﴿والسنة﴾ فى أصل اللغة الطريقة وفى اصطلاح الاصوليين والمحدثين ماجاء عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من أقواله وأفعاله وتقريره وماهم بفعله وفى اصطلاح بعض الفقهاء ما رادف المستحب والسنة على الاصطلاح الاول هى المرادة بما يكون عليه الجماعة التى ذكرت فى الحديث الذى رواه أبو داود فى كتاب السنة قال قال صلى الله تعالى عليه وسلم الا ان من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان هذه الملة ستفرق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة وفى رواية وهى ما أنا عليه اليوم وأصحابى وهذه الفرقة الناجية أخذت الدين من الكتاب والسنة والنقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف خلاف أهل البدع والاهواء فانهم أخذوا الدين عن عقولهم فأورثهم التفرق والاختلاف ﴿والسنية﴾ كعلية لفظا ومعنى ﴿وشيخ القوم﴾ مرشدهم وقدم أول الكتاب ما يتعلق به والقوم الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

وقال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبى رجال ونساء وجمع القوم أقوام وجمعه أقاوم قال أبو صخر

فان يعذر القلب المعيشة والصبا * فؤادك لا يعذرك فيه الاقاوم

عنى بالقلب العقل قال ابن السكيت يقال أقائم وأقاوم والقوم يذكر ويؤنث لان أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث مثل رهط ونفر وقوم قال الله تعالى وكذب به قومك فذكر وقال كذبت قوم نوح فأنث فان صغرت لم تدخل الهاء وقلت قويم ورهيط ونفير وانما يلحق التأنيث فعله وتدخل الهاء فيما يكون فيه لغير الادميين مثل الابل والغنم لان التأنيث لازم له وأما جمع التكسير مثل جمال ومساجد فان ذكر وأنث فانما تريد الجمع اذا ذكرت وتريد الجماعة اذا أنثت انتهى وقوم الرجل اقرباؤه والذين يجتمعون معه فى جد واحد وقد يطلق على الاجانب توسعا ومنه قوله تعالى يا قوم اتبعوا المرسلين على ان القائل كان مقيما بين أولئك ولم يكونوا ذوى قرابته وكأنه انما سمى القوم قوما لقيامهم بالعظائم والمهمات وأل هنا للعهد والمراد بهم الذين تولى الله أمرهم وحفظ سرهم فقاموا باوامر الحق ونهضوا بحقوق الخلق وهؤلاء المؤمنون المتقون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكون السيد رضى الله تعالى عنه شيخهم أى أعظمهم فى زمنه ومقتداهم فى وقته وأكثرهم أتباعا وأشياعا مما لا شبهة فيه

ولامرية تعتريه وحسن مانقله الامام البقاعى فى كتابه عنوان الزمان عن الشيخ الامام زين الدين الغراوى بغربية مصر من قصيدة له تخلص بها بمدح الامام الرفاعى وأتباعه رضى الله عنهم منها

لعمرك كم يرى لابن الرفاعى * رجال بالهدى ملؤا الشعابا

وبالحقيقة فقد أحسن الله اليه بالقبول حتى انتمى اليه اعيان عصره قال الحافظ الذهبى فى تاريخه ما ملخصه من دون زيادة أحمد بن أبى الحسن على بن يحيى الزاهد الكبير سلطان العارفين فى زمانه أبو العباس الرفاعى المغربى سكن أبوه بالبطائح بقرية أم عبيدة وتزوج باخت الشيخ منصور الزاهد ورزق منها أولادا منهم صاحب الترجمة مات أبوه ورباه خاله وأدبه ومن كلامه سلكت كل الطرق الموصلة فما رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار فقيل له ياسيدى فكيف ذلك يكون قال تعظم أمر الله وتشفق على خلق الله وتقتدى بسنة رسول الله وأطنب الذهبى بعد انتهى وقال العلامة محمد المعروف بابن حماد فى تاريخه روضة الاعيان عند ذكره وقد كان حكيم الاولياء وورعهم وصاحب القدم الثابت على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم ومناقبه ومآثره لا تحصى وقد أفرد لترجمته ومناقبه أكابر الحفاظ وأشياخ الزمان كتبا مخصوصة لما من الله تعالى عليه به من الاخلاق الحميدة والخصال السعيدة وقد جدد أمر الدين وناب عن سيد المرسلين وأنقذ الله به من ظلمة الجهل وورطة سوء الاخلاق خلقا لا يحصى عددهم وبلغ عدد خلفائه العارفين وخلفائهم الكاملين الى مائة وثمانين ألفا حال حياته الى آخر ما قال رحمه الله ومن هو ذاك فلا ريب هو شيخ القوم (ومما) يجب التنبيه عليه ان ما شاع على الالسن ان من لا شيخ له فشيخه الشيطان ليس المراد به كل شيخ كيفما كان بل المراد به الشيخ الكامل المتبع لما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لما كان قولهم فشيخه الشيطان اذ غير المتبع لذلك متبع للشيطان لا محالة غاية ما فى الباب ان اتباع الشيطان متفاوت المراتب حتى ان بعض المتبعين له من هو أشد ضررا منه بل قد يكون شيخه فى بعض الامور التى تصدر عنه نعوذ بالله تعالى من شر الشيطان من الانس والجان وحيل المتشيخين على اختلاف طبقاتهم لا تخفى حتى على ابليس وهى رأس مالهم الذى أثروا به حتى أوثروا على أرباب التدريس وتلك علة قديمة ومصيبة والعياذ بالله تعالى عظيمة وقد ساعد على بقائها فى العالم عدم سماع كلام العالم فيهم حيث توهم جهلة العوام ان ذلك ليس الا حسدا لهم فيما يأتيهم ومن أولئك من يحمله على غرض نفسانى غير ذلك ومنهم من يزعم ان انكار العلماء الاكابر لكون أولئك من أهل الباطن وهؤلاء من أهل الظاهر وما دروا ان كل باطن يخالف الظاهر فهو كما قال غير واحد من العارفين باطل ومن تكبه خاسر وأكثر الجهلة اليوم مجتمعون على كلاب دنيا لا يخطر لهم الزهد والورع ببال وقد رأس أهل الطريقة أقوام هم فى الحقيقة بالنسبة الى أهل الشريعة أخس من نعال أقدام فلكل متشيخ اليوم اعتبار ولو انه خمار أو حمار ولمعرفة الشيخ المحق من غيره موازين ذكرها حجة الاسلام الغزالى فى بعض كتبه يطول الكلام بذكرها منها ان لا يتعدى جادة الشريعة باطنها وظاهرها ومن وقف على سيرة السيد رضى الله تعالى عنه علم انه عذيقها المرجب وجذيلها المحكك (وأنداهم يمينا

وأطول) كناية عن مزيد كرمه واشارة الى مزيد فضله وعلمه وذلك من المسلمات والقضايا الضروريات فهو فى الاحسان والندى يفسيك ابن مامة وابن سعدى وفى الفضل والعرفان هو الوارث لعلوم سيد ولد عدنان كيف لا وهو من خواص أهل البيت وهم بحور درر العرفان التى لا تجرى فيها سفن لوان وعسى وليت (ولا يخفى) ان كون السيد رضى الله تعالى عنه ناصر السنة اما لانه كان آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر قامعا للمبتدعين بما أمر ونهى ووعظ وزجر وبذلك تشرق أنوار الشريعة الغراء وينسلخ ليل البدع والاهواء وهذه نصرة وأى نصره واظهار للدين الذى أتم الله نوره واما لانه جدد رباع العلوم بعد تضعضع أساسها وأحيى ميت الفضائل بعد اندراسها يدلك على ذلك تآليفه المفيده وتصانيفه السديده هذا البرهان المؤيد يدلك على شامخ فضله المشيد بل هو أعدل شاهد على ماقلناه وأوضح حجة على ماتلوناه واما لما هدى الله به من سلك طريقته العليه ودخل فى حمى حمايته القدسيه وفاز ببركته الباهره وأنفاسه الطاهره فقد وصل به الى الله تعالى من الاكابر من تنقطع دونهم سلسلة الاحصاء ونال به من نال من القرب حتى انحطت دونه كواكب الجوزاء وماز الوا ولا يزالون مادامت الارض والسماء

نجوم سماء كلما انقض كوكب * بدا كوكب تأوى اليه كواكبه

ومرادنا بالانفصال الذى تقدم منع الخلو بالمعنى الاخص لا بالمعنى الاعم يعلم ذلك من يعلم ولا يفضح فيه الفم (وفى البيت) من محاسن البديع مايزيد على ثلاثة أنواع وبيانه مما يضيق عنه نطاق الاتساع حيث طال الكلام وان لم نستوف المرام (قال الناظم لازال على الهمه موفور النعمه

﴿صاحب الهمة التى قام منها * فوق عرش الكمال للفضل هيكل﴾

أقول (الصاحب) المعاشر والمراد هنا المتصف فان من اتصف بشئ صاحبه (والهمة) قال فى الصحاح واحدة الهمم يقال فلان بعيد الهمة والهمة أيضا بالفتح وتطلق الهمة عند القوم بازاء تجريد القلب للمنى وتطلق بازاء أول صدق المريد وتسمى هذه همة الارادة وتطلق بازاء جمع الهم بصفاء الالهام وهذه الهمة تسمى الهمة الخفية وهى همة المكمل من أهل الله تعالى قال بعضهم الهمة ثلاثة أقسام همة الافاقة وهى أول درجات الهمة وهى الرغبة على طلب الباقى وترك الفانى وهمة الانفة وهى الدرجة الثانية وهى التى تورث صاحبها الانفة من طلب الاجر على العمل حتى يأنف قلبه أن يشتغل بتوقع ماوعده الله تعالى من الثواب على العمل والهمة العالية وهى الدرجة الثالثة وهى التى لا تعلق الا بالحق ولا تلتفت الى غيره فهى أعلى الهمم حيث لا ترضى بالاحوال والمقامات وبالوقوف مع الاسماء والصفات ولا تقصد الا الذات انتهى ومن وقف على سير الممدوح رضى الله تعالى عنه تبين لديه ان مراد الناظم سلمه الله تعالى هو القسم الثالث الذى هو أرفع الاقسام حيث لم يلتفت قدس سره فى سيره لسوى الملك العلام ولا يخفى على العارفين ان ليس بين الكلامين كثير فرق (والتى) موصول اسمى موضوع للمفردة المؤنثة بالوضع العام للموضوع له الخاص عند العضد والآخذ بيده واحتج لعموم الوضع مع القول الاصح بان الواضع هو الله تعالى العالم بالمتناهى وغير المتناهى باطلاقه والكليات والجزئيات الغير المادية والمادية بوجه جزئى على

الصحيح أو كلى أتم من الجزئى فبنا على رأى رجح ارشاد للخلق على طريق الحكمة فيما يفعلون ويذرون ونظير ذلك خلق السموات والارض فى ستة أيام مع القدرة على خلقها فى آن واحد وبالوضع العام للموضوع له كذلك عند السعد والمستضىء بانواره واستعماله فى الخاص من حيث وجود العام فى ضمنه كما قيل فى استعمال الانسان فى زيد مثلا فى قولك رأيت انسانا وأنت تريده فلا يلزم مجازات لا حقائق لها على ماحققه السيلكوتى فالمعرفة ماوضع ليستعمل فى معين دون ماوضع لمعين وقد يعم على سبيل البدل وشاع فيه مستترا كما فى لوترى واعلم أوائل المباحث المهمة وكذا تاء الخطاب كما فى ائن أشركت على رأى (وفوق) ظرف نقيض تحت ويستعمل على اضرب الاول باعتبار العلو كرفعنا فوقكم الطور الثانى باعتبار الصعود والحدور كاذ جاؤكم من فوقكم الثالث فى العدد نحو فان كن نساء فوق اثنتين الرابع فى الصغر والكبر كمثلا ما بعوضة فما فوقها وأشير بما فوقها فيه الى العنكبوت المذكور فى وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ومآل المعنى وأعظم منها واليه ذهب الفراء وجماعة وقيل مافوقها أى فى الصغر وكانه مراد أبى عبيدة فى قوله فما دونها وقال الراغب تصور بعض أهل اللغة ان فوق تستعمل بمعنى دون فاخرج ذلك مخرج ماصنفه من الاضداد وهو توهم منه الخامس باعتبار الفضيلة الدنيوية أو الاخروية كرفعنا بعضهم فوق بعض درجات والذين آمنوا فوقهم يوم القيامة السادس باعتبار القهر والغلبة نحو وهو القاهر فوق عباده وللسلف فيه رأى فوق ذلك والانسب بالمقام هنا هو المعنى الخامس (والعرش) فى الاصل شئ مسقف وجمعه عروش وسمى مجلس السلطان عرشا اعتبارا بعلوه ويكنى به عن العز والسلطان والمملكة ويطلق على سرير الميت قيل ومنه اهتزاز العرش لموت سعد ورواية اهتز عرش الرحمن لموت سعد تأبى هذا وهو فى لسان الشرع جسم نورانى علوى محيط بجميع الاجسام على مانص عليه اللقانى وقال بعد وليس العرش كرويا كما زعمه أهل الهيئة بل هو قبة ذات قوائم تحمله فى الدنيا أربعة أملاك وفى الآخرة ثمانية وليس لنا قطع بتعيين حقيقته وهو أول المخلوقات فى قول وغير الكرسى خلافا للحسن البصرى بل ذاك جسم آخر نورانى يسع السموات والارض وهو بين يدى العرش متصل به نسبته اليه على سعته نسبة الحلقة الى الفلاة ولا قطع لنا أيضا بتعيين حقيقته وحملته أربعة وبينهم وبين حملة العرش سبعون حجابا من ظلمة وسبعون حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام ولولا ذلك لاحترقوا من نور حملة العرش والظاهر ان العرش افضل منه وتعدد العرش لم نجد أحدا من السلف قال به نعم قال به البونى وأظن ان له سلفا من الصوفية فى ذلك ومن الصوفية من يقول فى العرش ماهو أبعد عن اذهان العامة من السماء وتمام الكلام فى هذا المقام فى تفسير الجد طيب الله ثراه فقد أورد فيه ماتحلى به المسامع وتلتذ به الافواه (والكمال) التمام والمراد هنا تمام علمى الشريعة والحقيقة وجمع مراسم العرفان والطريقة وفى فعله ثلاث لغات أردأها الكسر كما فى الصحاح واضافة العرش الى الكمال من قبيل بيت العزة فيكون من باب التشبيه البليغ كصم بكم ويحتمل أن يكون من قبيل قول الشاعر

والريح تعبث بالغصون وقد جرى * ذهب الاصيل على لجين الماء

(والفضل) تقدم (والهيكل) الصورة والتمثال (وحاصل) معنى البيت أن هذا الشيخ رضى

الله تعالى عنه له همة تعلو الهمم وصبر فى السير الى الله تنشق من ذكره مرارة القلم ولم يؤم سوى الله ولم يقصد غير مولاه فاستوت همته على عرش الكمال وقام منها فى محافل الفضل تمثال فلا يأفل من سماء الفضائل نورها ولا يذبل فى رياض الكمالات نورها تتناقل الرواة تواريخ أخبارها وتستلذ الافواه منافقة أسمارها قد لبس الزمان منها ثوب جمال كلما لبس زاد جدة وتحلت منها الايام بجميل ذكر كلما مضت عليه الايام طال مدة وفى البيت تجريد كما فى قولهم رأيت من زيد أسدا على معنى أنه قد بلغ فى الشجاعة بحيث يجرد وينتزع منه أسد وكذلك يقال هنا ان الهمة بلغت مبلغا بحيث ينتزع منها همة أخرى مماثلة لها ففى فى منها يحتمل أن تكون سببية مثلها فى قوله تعالى مما خطيئاتهم أغرقوا ويحتمل أن تكون ابتدائية والمبدئية مجازية والتجريد من محاسن كلام البلغاء ومطارح أنظار الادباء وهو فى الكلام كثير لا يسعه نطاق التحرير وفيه أيضا الاغراق وهو أحد أنواع المبالغة وفسروها بان يدعى لوصف بلوغه فى الشدة أو الضعف حدا مستحيلا أو مستبعدا لئلا يظن انه غير متناه فيه فان كان المدعى ممكنا عقلا وعادة فتبليغ وان كان ممكنا عقلا لا عادة فاغراق وان لم يكن ممكنا لا عقلا ولا عادة فغلو ومن شواهد الاغراق قول المجنون

ولو أننى فى القبر ثم دعوتنى * وقد أصبحت منى العظام رميما
للبيت مشتاقا اليك مسارعا * وهيجت لى تحت التراب غيوما
أحبك حبا لا يزال عذابه * بقلبى الى يوم الحساب مقيما

(ومثله قول توبة)

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقى * اليها صدى من جانب القبر صائح

(ومن المبالغة قول أبى الشيص)

لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج فى العضد
لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

(وقول ابن حمديس فى وصف جواد)

يجرى فلمع البرق فى آثاره * من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

(ومثله قول شمس الدولة بن عبدان)

أبت الحوافر أن يمس بها الثرى * فكأنه فى جريه متعلق
وكأن أربعه تراهن طرفه * فتكاد تسبقه الى ما يرمق

(وبديع قول الصلاح الصفدى)

ياحسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو فى الركض
لا تستطيع الشمس من جريه * ترسمه ظلا على الارض

(وقول السراج الوراق)

أغنتهم تلك القدود عن القنا * ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحموا طروق الحى حتى لم يكن * سير الخيال اليه أمرا ممكنا

(وقول كشاجم)

ومازال يبرى أعظم الجسم حبها * وينقصها حتى لطفن عن النقص
فقد ذبت حتى صرت ان أنا زرتها * أمنت عليها ان يرى اهلها شخصى

(ولطيف قول بعضهم)

صيرنى هدفا فلو يسقى الحيا * جدثى لانبت تربتى بنبال

(وقول جمال الدين بن مطروح من أبيات)

وجاد الزمان به ليلة * وعما جرى بيننا لا تسل
فانحلت قامته بالعناق * واذبلت مرشفه بالقبل
وكم تهت فى غور خصرله * وأشرفت من نجد ذاك الكفل
وها أثر المسك فى راحتى * وهذا فمى فيه طعم العسل

(ولسيف الدولة بن حمدون)

قد جرى فى دمعه دمه * فالى كم أنت تظلمه
رد عنه الطرف منك فقد * جرحته منك أسهمه
كيف يسطيع التجلد من * خطرات الوهم تؤلمه

(ولابن خفاجة الاندلسى)

وأهيف قام يسعى * والسكر يعطف قده
وقد ترنح غصنا * واحمرت الكاس ورده
وألهب السكر خدا * أورى به الوجد زنده
فكاد يشرب روحى * وكدت أشرب خده

ومن العلماء من لا يجعل المبالغة جنسا للاغراق ويسمى التبليغ مبالغة ولا مشاحة فى الاصطلاح

﴿قال الناظم لا زال فلك الفخر وبهجة للدهر﴾

﴿فلك الفخر بهجة الدهر معنى * دولة الاولياء فى كل محفل﴾

أقول ﴿الفلك﴾ على ما قاله الراغب مجرى الكواكب قيل سمى بذلك لاستدارته ويقال لكل مستدير فلك ويجمع على أفلاك كسبب وأسباب وقد يجمع على فلك كأسد وأسد ولعل المراد بكونه مجرى الكواكب أعم من ان يكون مجرى حقيقة أو فيما يرى أو نحو ذلك لاطلاقهم الفلك على الاطلس مع انه لا كوكب فيه على ما يقوله الفلاسفة والافلاك عندهم تسعة وهى فلك الافلاك ويسمى الفلك الاطلس وهو المحرك بالحركة اليومية سائر الافلاك التى تحته وفلك الثوابت وفلك زحل وفلك المشترى وفلك المريخ وفلك الشمس وفلك الزهرة وفلك عطارد وفلك القمر وهذا أصح ما قيل فى ترتيبها ولا قاطع لهم على الحصر فى ذلك بل يجوز ان تكون أقل كما يجوز أن تكون أكثر بكثير ونهاية ما قيل فى نفى الاكثر انه لا فضل فى الفلكيات وهو لعمرى من الخطابيات وكما يسمون الفلك التاسع بفلك الافلاك يسمونه بمحدد الجهات فليس وراءه جهة ولا خلا ولا ملا فى زعمهم وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى قريبا وزعم بعض علماء الاسلام ان ذلك هو المسمى بلسان الشرع بالعرش

والسلف يأبون ذلك لما انه لم يثبت فى خبر قوى أو ضعيف ان العرش يتحرك على الاستدارة ويحرك ما تحته بالحركة اليومية بل قد ثبت فى أخبار صحيحة ان له قوائم وهذا بظاهره يأبى ان يكون الفلك الذى يصفونه بما يصفونه ولا يأبى ما صح من انه مقبب كالخيمة كما لا يخفى ومثل اباء السلف ذلك اباؤهم كون الفلك الثامن هو الكرسى وكون الافلاك السبعة الباقية هى السموات السبع التى نطق بها الكتاب لانه لم يصح عندهم خبر فى انها متحركة وفرقوا بين السماء والفلك كما أوضح ذلك الجد طيب الله تعالى ثراه فى تفسيره روح المعانى ثم انهم يزعمون ان الفلك جسم صلب شفاف لا لون له ولا يقبل الخرق والالتئام وان له نفسا بل يزعمون ان كل ما فى العالم العلوى من الاجرام حى الى أمور كثيرة لم يأت فيها كتاب ولا سنة ولفلاسفة الافرنج مخالفة لاكثرها والفلك فى السعة لا يعلمه الا الله وجاء فى خبر ان الارض بالنسبة الى سماء الدنيا كحلقة فى فلاة وهكذا سماء الدنيا بالنسبة الى السماء الثانية والثانية بالنسبة الى الثالثة وهكذا والكل من الكرسى وما تحته بالنسبة الى العرش كحلقة فى فلاة وقد قيل فى سعته انه لو جعت مياه الدنيا فمسح بها مقعره لنفدت قبل ان يستوعبه المسح فسبحان من وسعت قدرته كل شئ وتلاشى فى جنب عظمته كل شئ ﴿واعلم﴾ انه يرد على قول الفلاسفة ان ماوراء محدد الجهات لا خلا ولا ملا انه لو فرض ثاقب للمحدد فاما ان لا يصادف مانعا فيخرج واما ان يصادف ذلك فلا يخرج وعلى الاول يلزم الخلا وعلى الثانى يلزم الملا وقد اختاروا فى الجواب الشق الاول ومنعوا لزوم الملا يجوازون المانع فى المحدب نفسه وهو السطح الاعلى للمحدد قال الجد طيب الله تعالى ثراه فى كتابه غرائب الاغتراب ونحو هذا ما قيل فى الاعتراض انه لو فرض شخص عند منتهى العالم فاراد ان يمد يده مثلا فاما ان تمتد فيلزم الخلاء واما ان لا تمتد لمانع يصادمها فيلزم الملا وما قيل فى الجواب من اختيار عدم الامتداد والتزام انه لفقد الشرط لا لوجود المانع المصادم وان من الناس من اعترض على قولهم ذلك بانه يلزم عليه عجزه سبحانه وتعالى عن توسيع هذا العالم أو خلق عالم مثله مع بقائه وهو باطل فلا بد من القول بان وراء هذا العالم بعدا غير متناه يصلح لان يوسع العالم فيه أو يخلق عز وجل فيه ما لا يتناهى من العوالم لكن على نحو عدم تناهى مراتب الاعداد الذى لا يأباه برهان التطبيق وغيره من البراهين المقامة على امتناع وجود ما لا يتناهى بالفعل وهذا الخلاء من حيث الصلاحية للخلق فيه نحو الخلاء والبعد الذى خلق فيه هذا العالم وأجيب بانه قد قام الدليل على امتناع الخلاء وذلك على تقدير عدم الخلاء محال وهو لا يصلح متعلقا للقدرة لئلا يلزم العجز ومثل ذلك خلق عالم فيما شغله هذا العالم بل خلق بعوضة فى هذا العالم مع بقاء جميع أجزائه على حالها فانه أيضا محال للزوم تداخل الجواهر المبرهن على محاليته فلا تتعلق به قدرته عز وجل ولا يلزم من ذلك عجزه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والحاصل ان ما ذكره المعترض من لزوم عجزه تعالى ممنوع ثم قال عليه الرحمة وبعد هذا كله لا أرى محذورا فى القول بان وراء العالم مثل ما العالم فيه الا انه خالفه فى سعته وعدم تناهيه وأدلة استحالة الخلاء مدخولة عند محققى العلماء بل لا يبعد وقوعه فى هذا العالم اذ وضع جسم ذو سطح صقيل مستو استواء حقيقيا على آخر مثله بحيث لا يتخللهما هواء ثم رفع الفوقانى دفعة فان الوسط يبقى خاليا الى ان يصل اليه الهواء من الجوانب تدريجا حسب

ماتقضيه الحركة وكلما كان الجسمان المذكوران متسعين كانت مدة بقاء الخلاء أطول لطول زمن الوصول الى الوسط وبلغنى ان بعض الطبيعيين من الفلاسفة المحدثين يخرجون الهواء من بعض الظروف كقارورة كبيرة ببعض الآلات بحيث اذا ألقوا فيه رصاصة وريشة مثلا يصلان معا الى المقر فى آن واحد وهو ظاهر فى الخلاء دون بقاء هواء تلطف وانتشر حتى ملأ الظرف والا لعاق الريشة عوقا ما فلم يتحدا فى الوصول وان لم يسلم شئ من ذلك كفانا ان أدلة استحالة الخلاء أوهن من بيت عنكبوت فى خلاء فتأمل ﴿والفخر﴾ بالسكون ما يفخر به كالمفخرة بفتح العين وضمها وفى القاموس الفخر ويحرك والفخار والفخارة بفتح الفاء فيهما والفخيرى كخليفى وعد التمدح بالخصال كالافتخار والمعنى الاول هو الظاهر هنا وكون السيد رضى الله عنه فلك الفخر مبنى على التشبيه البليغ بمعنى انه قدس سره أعلى ما يفخر به من محاسن الزمان وقد غدا ذكره تاجا على رؤس الايام وبهاء لوجوه الاعوام وقد دل الشرع على ان افتخار نفس الانسان بسعادته الحقيقية غير مذموم فيجوز للانسان ان يفتخر بطاعاته وحسن أخلاقه اذا كان يظن ان غيره يقتدى به وأفخر بيت قالته العرب قول امرئ القيس

ما ينكر الناس منا حين نملكهم * كانوا عبيدا وكنا نحن أربابا

وقال دعبل أفخر الشعر قول كعب بن مالك

وببئر بدر حين ردّ وجوههم * جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقيل غير ذلك ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفى

ومن يفتقر منا يعش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
ونحن وصفنا دون كل قبيلة * ببأس شديد فى الكتاب المنزل
وانا لنلهو بالحروب كما لهت * فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

يعنى قول الله عز وجل قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد فدعوا فى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه الى قتال أهل الردة من بنى حنيفة وبسبب هذا الشعر واشباهه طلبه الرشيد أشد طلب وقال كيف تفتخر على مضر وفيهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو خير البشر وهذا افتخار بالشجاعة خاصة ومن افتخر بالكثرة أوس بن مغراء فقال

ما تطلع الشمس الا عند أولنا * ولا تغيب الا عند آخرانا

وقال السيد أبو الحسن يفخر بقومه بنى شيبان

يا آل شيبان لا غارت نجومكم * ولا خبت ناركم من بعد توقيد
أنتم دعائم أهل الملك قد ركضت * قبل الخيول لابرام وتوكيد
المنعمون اذا ما أزمة أزمت * والواهبون عقيبات المذاويد
سيوفكم اقعدت كسرى مرازبه * فى يوم ذى قار اذ جاؤا لموعود

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل ﴿والبهجة﴾ الحسن من بهج ككرم بهاجة فهو بهيج ﴿والدهر﴾ بفتح الدال وسكون الهاء وفتحها لغة وجوز ذلك بعضهم فى كل حرف حلق وقع وسطا وهو فى الاصل اسم لمدة العالم الدنيوى ثم يعبر به عن كل مدة كثيرة

فهو خلاف الزمان لانه يقع على المدة القليلة والكثيرة وقال بهمينار الدهر وعاء الزمان وخصه بعضهم بألف سنة وذكر الفقهاء ان من حلف لا يفعل كذا دهرا أو الدهر فهو حيث لا نية على ستة أشهر من وقت الحلف وكذا الحين والزمان معرفين ومنكرين وان كان فى كل نية اعتبرت وهو قول محمد وأبي يوسف رحمهما الله تعالى وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه لا أدرى ما الدهر أى معرفا ومنكرا ولا ينافى ذلك الاجتهاد كما قرر فى موضعه وهو أحد الامور التى توقف فيها وقد نظمها الشيخ محمد تاج العارفين فقال

شك الامام توقفا فى سبعة * تفضيل مطلق الانبياء على الملك
ومحل طفل الشرك والخنثى اذا * بان السيلان البلوغ مادرك
ومتى يصير معلما كلب كذا * سؤر الحمار لدى الطهارة فيه شك
ومتى يطيب اللحم من جلالة * والدهر كن ممن طريقته سلك

وفى السريع انه رضى الله تعالى عنه توقف فى أربع عشرة مسئلة وقال ابن أبي شريف

جمل الامام أبا حنيفة دينه * ان قال لا أدرى لتسعة أسئله
أطفال أهل الشرك أين محلهم * وهل الملائكة الكرام مفضله
أم أنبياء الله ثم اللحم من * جلالة أنى يطيب الاكل له
والدهر مع وقت الختان وكلبهم * وصف المعلم أى وقت حصله
والحكم فى الخنثى اذا ما بال من * فرجيه مع سؤر الحمار استشكله
وأجاز نقش الجدار لمسجد * من وقفه أم لم يجز ان يفعله

وزاد فقيه عصره ابن عابدين رحمه الله تعالى بيتا فقال

ويزاد عاشرة هل الجنى يثا * ب بطاعة كالانس يوم المسئله

وقد يعد فى الاسماء الحسنى (١) على ما فى القاموس ولعل ذلك لما صح من قوله عليه الصلاة والسلام لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله واختلف فى تأويله فقيل المراد فان الله تعالى هو جالب الحوادث ومنزلها فوضع الدهر موضع جالب الحوادث لاشتهار الدهر عندهم (٢) بذلك وقيل الدهر الثانى فيه مصدر بمعنى الفاعل والمعنى فان الله تعالى هو الدهر أى المصرف المدبر الفاعل لما يحدث والاول أظهر وحكم سبه الكفر ان أريد به الله عز وجل قيل والكراهة ان أريد به الزمان والحرمة ان أطلق ولم يعين المراد منه وقيل الكراهة على هذا أيضا وهو الارفق بالناس فتأمل وفى الزواجر ما ينفع فى البحث فليراجع وأمر الاحتياط لا يخفى (والمعنى) قال السيد السند قدس سره الصورة الذهنية من حيث انه وضع بازائها الالفاظ والصورة الحاصلة فى العقل من حيث انها تقصد باللفظ تسمى معنى ومن حيث انها تحصل من اللفظ فى العقل تسمى مفهوما ومن حيث تقال فى جواب ما هو تسمى ماهية ومن حيث ثبوتها فى الخارج تسمى حقيقة ومن حيث امتيازها عن الاغيار تسمى هوية وتمام الكلام فى محله وقد يطلق المعنى على ما يقابل الذات ﴿والدولة﴾ على ما فى القاموس انقلاب الزمان والعقبة فى المال ويضم أو الضم فيه والفتح فى الحرب أوهما سواء أو الضم فى الآخرة والفتح فى الدنيا جمعه دول مثلثة ولا يخفى أن هذه المعانى لا تناسب المقام وكانه

(١) وقد أنكر أبو داود ذلك وقد كان يروى خبر وأنا الدهر بفتح الراء ظرفا لاقلب أى وأنا أقلب الليل والنهار الدهر أى على طول الزمان وعمره وفيه ما فيه اه

(٢) فان العرب كان من شأنها أن تذم الدهر وتسبه عند النوازل والحوادث ويقولون أبادهم الدهر وأصابهم قوارع الدهر وحوادثه ويكثرون ذكره بذلك فى أشعارهم وقد ذكر الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز انهم قالوا وما يهلكنا الا الدهر فنهاهم عن ذم الدهر وسبه أى لا تسبوا فاعل هذه الاشياء فانكم اذا فعلتم ذلك وقع السب على الله تعالى وحاشاه لانه الفاعل لما يريد لا الدهر وقد ذكرت فى كتاب بلوغ الادب فى معرفة أحوال العرب ما يناسب هذا المقام مما تبتهج به القلوب وينشرح له الصدر اه

اراد

أراد السلطان مجازا والعلاقة ظاهرة والقرينة السياق والسباق فتدبر (والاولياء) جمع ولى وهو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد وقد وصفه المتكلمون بانه العارف بالله تعالى حسب ما يمكن من معرفة الذات والصفات المواظب على الطاعة المجتنب المعاصى والسيآت المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات المدبر عن الدنيا المقبل على العقبى المديم على ذكر المولى وقيل شرط الولى معرفته باصول الدين وعلمه باحكام الشريعة نقلا وفهما يوجد عنده ما يوجد عند علماء الارض فلو فرض موتهم لاقام الشريعة وقواعد الاسلام جميعها وتخلقه بالخلق المحمود شرعا وعقلا وملازمة الخوف أبدا سرمدا حتى لا يجد لنفسه طمأنينة ولعل هذا فى الكامل والافادنى درجاته ما ذكرنا وقد ذكر الجد طيب الله تعالى ثراه فى موضع لا أتخطره من تفسيره ان الولى قد يكون أميا لا يعرف سوى الفرض العينى هذا وكرامات الاولياء ولو احياء ميت ووجود ابن من غير اب حق وكل من الرسالة والنبوة أفضل من الولاية ولا يبلغ ولى درجة نبى وحكى عن بعض الكرامية انه قد يبلغها بل أعلى وحكى عن الصوفية ان الولاية أفضل من النبوة وعن العز ابن عبد السلام ان ولاية النبى أفضل من نبوته والكل لا يعول عليه وما أنصف ما نقله الشعرانى عن الشيخ الاكبر قدس سره من قوله فتح لى من مقام النبوة قدر خرم ابرة تجليا لادخولا فكدت احترق والحق ان الولاية ليست مكتسبة ان فسرت بمحبة الله تعالى العبد فافهم وقد اختلف فى ان الولى هل يعلم انه ولى أم لا فالرازى نقل عن ابن فورك عدم الجواز ونقل عن الاستاذ الدقاق والقشيرى الجواز واحتج المانعون بوجوه أوجبوا لاجلها القطع بأن الولى لا يعلم كونه وليا أما الذين قالوا ان الولى قد يعرف كونه وليا فقد احتجوا على صحة قولهم بان الولاية لها ركنان أحدهما كونه فى الظاهر منقادا للشريعة والثانى كونه فى الباطن مستغرقا فى نور الحقيقة فاذا حصل الامران وعرف الانسان حصولهما عرف لا محالة كونه وليا أما الانقياد للظاهر فى الشريعة فظاهر وأما استغراق الباطن فى نور الحقيقة فهو ان يكون فرحه بطاعة الله تعالى واستئناسه بذكر الله تعالى وأن لا يكون له استقرار مع شئ سوى الله تعالى قال الله تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون فاذا منّ الله تعالى على العبد بالايمان والتقوى فقد ارتضاه وليا له بنص كلامه القديم ومتى ارتضاه فلا حاجر على كرمه ان يعلمه بانه اتخذه وليا له وهو يقول سبحانه وتعالى انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا مانع ان يكون اعلام الله لعبده الولى من هذا الاجر واليه تعالى يرجع الامر ﴿والمحفل﴾ المجلس المجتمع وحاصل معنى البيت ان ذلك السيد الاجل والمرشد الاكمل رضى الله عنه هو أعلى ما يفتخر به وأحسن ما يتزين الدهر بحسبه ونسبه حيث كان فى نفس الامر فلك الفخر وفى الحقيقة بهجة الدهر بل وكان رئيس الاولياء فى كل محفل وناد وسلطان الاصفياء فى كل بلد من البلاد وكون السيد رضى الله تعالى عنه كذلك مبنى على ما أسلفناه عند الكلام على قول الناظم سلمه الله تعالى أعظم الصالحين حالا وأفضل * فلا تذهل وفى البيت من محاسن البديع ما لو ذكرناه أمللنا حيث بسطنا الكلام فى هذا المقام وأطلنا على ان ذلك غير خفى على الاديب والفطن اللبيب والله الهادى الى سواء السبيل وهو حسبى ونعم الوكيل قال

الناظم لازال فى ساحة الدلال مرفوع القدر بين ذوى الكمال

(ذل فى ساحة الدلال كمالا * وعجيب مدال يتذلل)

أقول ﴿الذل﴾ ضد العز يقال ذل يذل ذلا وذلالة بضمهما وذلة بالكسر ومذلة وذلالة اذا هان فهو ذليل وذلال بالضم وقال الراغب الذل بالضم ما كان عن قهر وبالكسر ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر ﴿والساحة﴾ كالعرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء وتكون بمعنى الناحية والجمع ساح وسوح وساحات ﴿والدلال﴾ اظهار جرأة فى تغنج وتشكل ودلال المرأة على زوجها اراءته ذلك كأنها تخالفه وما بها اخلاف وفى الدلال هنا استعارة بالكناية واضافة الساحة اليه استعارة تخييلية وفى بيانهما طول يطلب من محله ﴿والكمال﴾ التمام كما سبق وهو تمييز مفسر لنسبة ذل الى فاعله ﴿والعجيب﴾ من العجب محركة وهو انكار ما يرد عليك وجمعه أعجاب وجمع عجيب عجائب ثم اعلم ان فى البيت اشارة الى مزيد تواضع الممدوح رضى الله تعالى عنه وذله وانكساره اليه سبحانه كما دل عليه قوله فى كتابه البرهان المؤيد يافقير اقتد بالقرآن المجيد اتبع آثار السلف أى شئ أنا حتى أدعو لك ما مثلى الا كمثل ناموسة على الحائط لاقدر لها حشرت مع فرعون وهامان وقارون وأخذنى ما أخذهم ان كان خطر لى فى سرى انى شيخ هذا الجمع أو مقدمهم أو من يحكم عليهم أو ثبت عندى انى فقير منهم وكيف تدعوه نفسه الى ذلك من هو لاشئ ولا يصلح لشئ ولا يعد بشئ انتهى لفظه القدسى وكلامه النورانى وفى ذلك الكتاب كثير مما هو من هذا الباب فما كان أكثر تواضعا واستكانه وما أرسخ قدمه فى الزهد والديانه فرضى الله تعالى عنه وأرضاه وأحله فى مقعد صدق من رضاه ولا يخفاك أن هذا من دأب كمل الرجال وسجايا المقربين عند الملك المتعال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فان الذين امتلأت صدورهم وصفت أرواحهم فاخذت بقسطها من صفوة الانبياء ورفعت عن قلوبهم الحجب فلاحظوا العز والجلال والكبرياء والكمال طأطؤا رؤسهم لجبروت مولاهم وخضعوا العظمة من أصفاهم واصطفاهم ولا يضرهم ماهم عليه من المهابة فى أعين الخلائق وما وقفوا عليه من الاسرار والحقائق لموت شهواتهم وحياة قلوبهم بالله تعالى هذا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وهو أجل أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول ليتنى كنت شعرة فى صدر مؤمن وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ويل لعمر ان لم يغفر له هذا مع انهما كانا من المبشرين بالجنة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ويروى عن الامام السجاد رضى الله تعالى عنه انه كان يقول فى دعائه الهى وعزتك وجلالك لو انى منذ ابدعت فطرتى من أول الدهر عبدتك دوام خلود ربوبيتك بكل شعرة فى طرفة عين سرمد الابد بتحميد الخلائق وشكرهم أجمعين لكنت مقصرا فى بلوغ شكر أخفى نعمة من نعمك ولو انى كربت معادن حديد الدنيا بانيابى وحرثت أرضها باشفار عينى وبكيت من خشيتك مثل بحور السموات والارضين دما وصديدا لكان ذلك قليلا من كثير ما يجب من وفى حقك على ولو انك الهى عذبتنى بعد ذلك بعذاب الخلائق أجمعين وعظمت للنار خلقى وجسمى وملأت جهنم وأطباقها منى حتى لا يكون فى النار معذب غيرى ولا يكون لجهنم حطب سواى لكان هذا لك على قليلا من كثير ما استوجبت

من عقوبتك وهذا هو الخلق المحمدى والنهج النبوى كما يدلك على ذلك جوامع كلمه ومعجزاد عيته وحكمه وقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم كثير التواضع للناس وهم اتباع وخفض الجناح لهم وهو مطاع يمشى فى الاسواق ويجلس على التراب ويمتزج باصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم الا باطراقه وحيائه فصار بالتواضع متميزا وبالتذلل متعززا ولقد دخل عليه بعض الاعراب فارتاع من هيبته ودهش لجلالته فقال صلى الله تعالى عليه وسلم خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تاكل القديد بمكة وهذا من شرف اخلاقه وكريم شيمه وطيب اعراقه فهل مثل هذا التواضع تواضعا وهل مثل هذا التذلل تذللا هيهات هيهات وأين الارض من السموات (ومراد الناظم) سلمه الله تعالى بالدلال الذى أثبته للشيخ رضى الله تعالى عنه لازمه وهو كونه محبوبا اليه جل شانه لمكان الذل والعبودية التى تنافى ارادة حقيقة معناه على ان الامام الشعرانى قدس سره قال ان مقام الادلال ليس بمقام عال وما توفى الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه حتى ترقى عنه الى ما هو أعلى منه وقد اعترضه بعضهم بان الادلال من آثار المحبوبية والعبودية من آثار المحبة وان المحبوبية أعلى من المحبية نعم كلام القوم طافح بتفويق العبودية وان رتبتها هى رتبة المحبوبية وجعلوا أعلى مراتبها ما يشير اليه عبد مضافا الى ضميره تعالى كما فى قوله سبحانه سبحان الذى أسرى بعبده وفى ميدان دعواها تراكض الناس ومن ذلك قول الشيخ أحمد الغزالى

يهون على اللوم فى جنب حبها * وقول الاعادى انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمى واننى * اذا قيل لى يا عبدها لسميع

وقال آخر

لاتدعنى الا بيا عبدها * فانه أشرف أسمائى

وقال آخر

بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته

وقال عمر بن الفارض قدس سره

عبد رق مارق يوما لعتق * لو تخليت عنه ما خلا كا

الى غير ذلك (ولم) نسمع عن السيد الرفاعى قدس سره العالى انه صدر منه ما يقتضى الدلال كما صدر من غيره بل لم يزل رضى الله تعالى عنه قائما على ساق العبودية والذل مع كمال الادب الذى هو مبنى الطريق الموصل الى الرب بل ولا نقل عنه الشطح فانه عندهم عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة ودعوى يفصح بها العارف من غير اذن الهى وهو من زلات المحققين (وحاصل) معنى البيت ان هذا الشيخ الذى هو شيخ الشيوخ ومعدن الحقيقة والرسوخ كان ذليلا الى الله خاضعا لجبروت مولاه لما حواه من الكمال الذى لم يحوه غيره من كمل الرجال مع كونه فى مقام المحبوبية ملحوظا بعين العناية الربانية وهذا من العجب العجيب والامر النادر الغريب وانه معنى لا تدركه العقول ومقام يحجم عنه الابطال والفحول حيث جمع بين الضدين وألف بين المتخالفين (وفى البيت) من أنواع البديع الطباق وقدم بيانه وفيه الطرفة وهى ان ياتى الشاعر بمعنى يستغرب امالقلة استعماله أو لزيادة لم تقع فيه لغيره يصير بها المعنى المشهور غريبا ولا يخفى ما بين ذل ويتذلل

والدلال والمدال مما هو ملحق بالجناس وفيه غير ذلك والله ولى الهداية والتوفيق قال الناظم لازال متمكنا فى المحل الاسمى يتدفق كمالا وفهما وعلما

﴿حل من حضرة التمكن رحبا • عز أن ينتهى اليه مكمل﴾

أقول (حل) من الحلول وهو النزول يقال حل المكان وبه يحل حلا وحلولا وحللا محركة نادر اذا نزل به وللحلول عند المتكلمين قسمان أحدهما الحلول السريانى وهو ان يحل كل جزء مقدارى من أجزاء الحال فى كل جزء مقدارى من أجزاء المحل حتى يلزم من الاشارة الى أحدهما الاشارة الى الآخر كسريان ماء الورد فى الورد الثانى الحلول الجوارى وهو ان يتعلق الحال بالمحل كحلول النقطة فى الخط وحلول الخط فى السطح وغير ذلك وما نحن فيه من قبيل الثانى على ما لا يخفى وفى الحلول السريانى يستلزم انقسام كل واحد من الحال والمحل انقسام الآخر ويستلزم عدم انقسام كل واحد منهما عدم انقسام الآخر والحلول الجوارى ليس كذلك (ومن) فى مثل هذا المقام تسمى اتصالية لانه يفهم منه اتصال شئ بمجرورها وهى ابتدائية الا ان الابتداء ههنا باعتبار الاتصال كذا فى حواشى شرح المفتاح الشريفى يعنى ان مجرورها ليس مبدأ ومنشأ لنفس ما قبلها بل لاتصاله بشئ فاما ان يقدر متعلقها فعلا خاصا كما قال الشيخ الطيبى فى شرح المشكاة فى بيان قوله عليه الصلاة والسلام أنت منى بمنزلة هرون من موسى ان قوله منى خبر للمبتدا ومن اتصالية ومتعلق الخبر خاص والباء زائدة يعنى أنت متصل بى ونازل منى منزلة هرون من موسى واما ان يقدر فعلا عاما كما ذهب اليه السيد الشريف قدس سره حيث قال فى حواشى شرح المفتاح أى بمنزلة كائنة وناشئة منى كمنزلة هرون من موسى فالتقدير ههنا حل رحبا متصلا ونازلا من حضرة التمكن أو رحبا كائنا من حضرة التمكن (والحضرة) بفتح الحاء المهملة وسكون الضاد المعجمة أراد بها المكان والمحل ويقال كلمته بحضرة فلان وحضرته بضم الحاء أى بحضوره وتطلق الحضرة على الرجل الكبير كانه لعظمه ومزيد تصوره فى القلب حاضر فى كل مكان والحضرات الخمس الالهية هى حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الاعيان الثابتة فى الحضرة العلمية وفى مقابلتها حضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك وحضرة الغيب المضاف وهى تنقسم الى ما يكون أقرب من الغيب المطلق وعالمه عالم الارواح الجبروتية والملكوتية أعنى عالم العقول والنفوس المجردة والى ما يكون أقرب من الشهادة المطلقة وعالمه عالم المثال ويسمى بعالم الملكوت والخامسة الحضرة الجامعة للاربعة المذكورة وعالمها عالم الانسان الجامع لجميع العوالم وما فيها فعالم الملك مظهر عالم الملكوت وهو العالم المثالى المطلق وهو مظهر عالم الجبروت أى عالم المجردات وهو مظهر عالم الاعيان الثابتة وهو مظهر الاسماء الالهية والحضرة الواحدية وهى مظهر الحضرة الاحدية (والتمكن) التثبت وأراد به اليقين الذى لا يتغير بعواصف الشبه ولا يتزعزع بزعازع الوساوس (والرحب) المكان الواسع ومنه رحب به ترحيبا دعاه الى الرحب ومرحبا وسهلا أى صادفت سعة ورحبة المكان وتسكن ساحته ومتسعه (وعز) هنا بمعنى قل والمضارع يعز بالكسر والضم والفتح فى غير موضع وقد نظم تفصيل ذلك الامام السيوطى رحمه الله تعالى بقوله

يا قارئا كتب الاداب كن يقظا • وحرر الفرق فى الافعال تحريرا

عز المضاعف يأتى فى مضارعه • تثليث عين بفرق جاء مشهورا
فما كقل وضد الذل مع عظم • كذا كرمت علينا جاء مكسورا
وما كعز علينا الحال أى صعبت • فافتح مضارعه ان كنت نحريرا
وهذه الخمسة الافعال لازمة • واضمم مضارع فعل ليس مقصورا
عززت زيدا بمعنى قد غلبت كذا • أعنته فكلا ذا جاء مأثورا
وقل اذا كنت فى ذكر القنوت ولا • يعز يا رب من عاديت مكسورا
واشكر لاهل علوم الشرع اذ شرحوا • لك الصواب وأبدوا فيه تذكيرا

(والانتهاء) الوصول (والمكمل) الذى جمع بين الفضائل والفواضل ولم تروعنه نقيصة بين الاماثل (وحاصل) معنى البيت ان جناب الممدوح رضى الله تعالى عنه ذو مكانة ومكان وارتفاع قدر وعلو شان فقد حل المحل الذى لا يدرك والمقام الذى لا يطاول فيه ولا يشارك كيف لا وهو رحب متصل من حضرة التمكن واليقين وهو الذى لا يصل اليه الا بعض الكمل من العارفين حيث انحطت دونه المقامات وانخفضت له أعلى الدرجات فهو السابق الذى لا يشق له غبار والفائق الذى لا تدرك شأوه الافكار

حلف الزمان ليأتين بمثله • حنثت يمينك يا زمان فكفر

(واعلم) ان اليقين فى اللغة العلم الذى لا شك معه من يقن الماء فى الحوض اذا دام واستقر وفى الاصطلاح اعتقاد الشئ انه كذا مع اعتقاد انه لا يكون الا كذا مطابقا للواقع لا يمكن زواله وعند أهل الحقيقة رؤية العيان بقوة الايمان لا بالحجة والبرهان وقيل مشاهدة الغيوب بصفاء القلوب وملاحظة الاسرار بمحافظة الافكار وقيل هو طمأنينة القلب على حقيقة الشئ وقالوا فى عين اليقين هو ما أعطته المشاهدة والكشف ووراء ذلك عندهم حق اليقين وفسر بفناء العبد فى الحق والبقاء به علما وشهودا وحالا لا علما فقط وبالجملة علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين أمور متفاوتة فى مراتب القوة فعلم كل عاقل الموت علم اليقين فاذا عاين الملائكة فهو عين اليقين فاذا ذاق الموت فهو حق اليقين وقيل علم اليقين ظاهر الشريعة وعين اليقين الاخلاص فيها وحق اليقين المشاهدة فيها (ثم) اعلم ان المقامات فى المشهور قيل ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرة وقد شاع ذلك وذاع وملأ الاسماع وطبق البقاع وقد أشبع الكلام فيه أبو القاسم الخانى فى كتابه السير والسلوك الى ملك الملوك وفى البيت من المحاسن الاغراق وقد سبق قال الناظم لازال علم الاعلام ومقتدى الانام

(فلهذا أضحى امام البرايا • وعليه فى العارفين المعول)

أقول قد تقدم بعض الكلام على اسم الاشارة ومعنى الفاء واللام يعرفه المبتدؤن (واضحى) بمعنى صار (والامام) تقدم (والبرايا) جمع برية من البرء بمعنى الخلق فعيلة بمعنى مفعولة وأصلها البريئة بوزن الخطيئة أبدلت الهمزة ياء وأدغمت الاولى فى الثانية وقرئ بالوجهين فى أولئك خير البرية وهى اسم لجميع المخلوقات فجمع الناظم لها باعتبار الانواع كما فى العالمين ولا بد من حمل أل هنا على العهد أو الاستغراق العرفى وقد سبق ما ينفع فى هذا المقام فلا تغفل والصحيح المعول عليه عند متكلمى أهل السنة ان خواص الملائكة كجبريل أفضل من عوامنا وهم الصلحاء وهؤلاء أفضل من عوامهم والبرهان فى كتب الكلام والمسئلة

طويلة الذيل والتفصيل لا يسعه مثل هذه الرسالة (والعارفين) جمع عارف بمعنى عالم وهو عند القوم من شهد الله تعالى فى مظهر جامع بين الظاهر والباطن (١) والمقصود من هذا الشهود التصديق بوجوده تعالى ووجوبه وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة البشرية اذ معرفته تعالى بالكنه غير واقعة عند المحققين بل منهم من قال بامتناعها كحجة الاسلام وامام الحرمين والصوفية والفلاسفة قال الجلال الدوانى ولم أطلع على دليل منهم على ذلك سوى ما قال ارسطو فى عيون المسائل كما تعترى العين عند التحديق فى جرم الشمس ظلمة وكدورة تمنعها عن تمام الابصار كذلك تعترى العقل عند ارادة اكتناه ذاته حيرة ودهشة تمنعه عن اكتناهه تعالى وهو كما ترى كلام خطابى بل شعرى وقد يستدل على امتناعها بان حقيقته ليست بديهية والرسم لا يفيد الكنه والحد ممتنع لانه بسيط ووجه ضعفه ظاهر لان البساطة العقلية محتاجة الى البرهان وعدم افادة الرسم الكنه ليس كليا اذ لا دليل على امتناع افادته الكنه فى شئ من المواد وعدم البداهة بالنسبة الى جميع الاشخاص يحتاج الى دليل فربما تحصل البداهة بعد تهذيب النفس بالشرائع الحقة وتجريدها عن الكدورات البشرية والعوائق الجسمانية والاحاديث الدالة على عدم حصولها كثيرة مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وتفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فانكم لن تقدروا قدره وقال الصديق رضى الله تعالى عنه العجز عن درك الادراك ادراك وضمنه على ما قيل على المرتضى كرم الله تعالى وجهه فقال

العجز عن دركك الادراك ادراك • فالبحث عن كنه ذات الله اشراك

انتهى كلامه قال الجد طيب الله تعالى ثراه والحق عندى الامتناع فهو سبحانه القاهر فوق عباده انتهى وتحقيق هذا المقام يطلب من كتب الكلام وفى كتاب أبكار الافكار ما يتبين به الليل من النهار وما أحسن قول ابن أبى الحديد من قصيدة (٢) بليغة فى التوحيد

تالله لا موسى ولا • عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو الى محل القدس يصعد
عن كنه ذاتك غير انك أوحدى الذات سرمد
وجدوا علامات وسائطا والحقيقة ليس توجد
فليخسأ الحكماء عن • حرم به الاملاك سجد
من انت يا رسطو ومن • أفلاط قبلك يا مبلد
ومن ابن سينا حين أسس ما بناه لكم وشيد
ما أنتم الا الفرا • ش رأى السراج وقد توقد
فدنا فاحرق نفسه • ولو اهتدى رشد الابعد

وقال مناجيا من أبيات

فيك يا أعجوبة الفكر غدا الفكر كليلا
كلما أقبل فكرى • فيك شبرا فر ميلا

الى غير ذلك مما هو مذكور فى ديوانه وشرحه على نهج البلاغة ﴿والمعول﴾ من التعويل يقال عول عليه اتكل واعتمد ﴿وحاصل﴾ معنى البيت ان الممدوح رضى الله تعالى عنه لما

(١) وقيل هو من أشهده الله تعالى ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود والعالم عندهم من أطلعه الله تعالى على ذلك لا عن شهود بل عن يقين وقيل غير ذلك فهم يفرقون بين العلم والمعرفة وعندنا قولان عدم التفرقة والتفرقة بان المعرفة مخصوصة بالجزئيات أو البسائط أو ما تكون بعد الجهل والعلم ليس كذلك وفى جواز اطلاق العارف عليه تعالى قولان وصحح الشهاب الخفاجى فى حواشيه على تفسير البيضاوى الجواز وذكر انه وقع فى بعض خطب أمير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم ولا خلاف فى اسناد يعلم بمعنى يعرف اليه سبحانه ومن الغريب ما ذكره الراغب فى مفرداته من أنه لا يجوز اسناد الدراية اليه تعالى فلا يقال الله تعالى يدرى أن الامر كذا لما أن الدراية علم يتوصل اليه بنوع حيلة قال الجد رحمه الله تعالى ولم أقف عليه لغيره ومجاز الاطلاق والتقييد شائع فلا تغفل اه منه

(٢) تاه الانام بسكرهم فلذاك صاحى القوم عربد فتجا من الشرك الكثيف مجرد العزمات مفرد يا بادع الاكوان انت لسرك المكنون أجحد

كان موصوفا بما ذكرنا من الصفات منطويا على ما أشرنا اليه من العرفان والفضائل والكمالات صار امام الاولياء ومقتدى أجلة الاصفياء أمره لديهم ممتثل وقوله عندهم عليه المعول كيف لا وقد شرب من عين الحقيقة وارتوى من عذب غير أسرار الشريعة والطريقة وهو العالم الذى شهدت بفضله العوالم

أيها المادح الذى رام عدا • لمزايا سمون فضلا ومجدا
ومعان اذا بدت قلت فيها • كست البدر والغزالة بردا
هى بيض لها العبادة منه • اذن تجعل النجادة خلدا
أرضع الفضل والنجابة طفلا • وسعى للعلوم والزهد ولدا
ترك المال والحطام وأمسى • جاعلا ذكره على القلب وردا
عود القلب كل صهباء ذكر • من يذق صرفها تعود رشدا
رق فى الذكر مشربا فترى النا • س سكارى مذ احتسوا منه شهدا
مشرب لم يشب باقذاء دنيا • وطريق تهدى الى الله جندا
نبذوا النفس واستكانوا ليلقوا • اكرم الخلق فى القيامة وفدا
من يرد موردا لهم صار مولى • يبصر الكون باللواحظ عبدا
هم أناس لهم شؤن أرتنا • حكما غلا البسيطة عدا
حرسوا الدين بالنفوس اللواتى • قد أماتوا اليحرزوا ما أعدا
لا تحل غير طرقهم لك تنجى • من لظى فاقف ما نحوه مجدا
ان عدوك بالنفائس منهم • ترق من فضلهم بقاعا ونجدا
فاذا رمت للاله وصولا • فاقفون أحمد التزرق خلدا
ألف العلم والعبادة حتى • صار فى حلية الولاية عقدا
حسدوا فضله فزاد سموا • وقلوه فزاد فى الله ودا
ان يروموا من سره كتم شئ • فهو كالنور ان كتمت تبدى

وفى البيت ما عده بعضهم من جملة أنواع البديع وهو ما يسمى بالتعليل وفسره بان يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وقول البحترى

ولو لم تكن ساخطا لم أكن • أذم الزمان وأشكو الخطوبا

وقد يقدم المعلول كبيت القصيدة وكقول ابن رشيق وما أرشقه

سألت الارض لم جعلت مصلى • ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لانى • حويت لكل انسان حبيبا

ومن المسلم حسنه عند الشيوخ فى هذا الباب قول مسلم بن الوليد

يا واشيا حسنت فينا اساءته • نجى حذارك انسانى من الغرق

نعم ذكروا ان التعليل لا يعد من المحسنات الا ان يدعى لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقى ويجب ان لا يكون ما اعتبر علة للوصف علة له فى الواقع والا لما كان من محسنات الكلام لعدم تصرف فيه كما تقول قتل فلان أعاديه لدفع ضررهم وذلك كقوله

لولم تكن نية الجوزاء خدمته • لما رأيت عليها عقد منتطق

وأما عرق قول التهامى

لولم يكن اقحوانا ثغر مبسمها • ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وما أقيس قول مجير الدين بن تميم فى مليح وقاد

لاموا على الوقاد فى حسنه • وحبه باللوم يزداد

لولم يكن فى حسنه كوكبا • ما كان أمسى وهو وقاد

وما أغرب قول ابراهيم الغرناطى

لعمرك ما ثغره باسم • ولكنه حبب لاعب

ولولم يكن ريقه مسكرا • لما دار من حوله الشارب

وهو فى الكلام كثير وما ذكرناه نزر يسير والله ميسر كل عسير قال الناظم لازال فى الفضل جبلا راسخا وفى العرفان طودا شامخا

﴿جبل راسخ أبان سلوكا • عن طريق الرسول لا يتحول﴾

أقول (الجبل) محركة قال فى القاموس كل وتد للارض عظم وطال فان انفرد فأكمة أو قنة جمعه أجبال وأجبل وجبال وسيد القوم وعالمهم انتهى فالكلام حينئذ اما على التشبيه البليغ أو الحقيقة ويرجح الاول وصف الجبل بالرسوخ وفى ترتيب ما ارتفع عن الارض الى ان يبلغ الجبل العظيم الطويل قال الائمة أصغر ما ارتفع من الارض النبكة ثم الرابية أعلى منها ثم الاكمة ثم الزبية ثم النجوة ثم الربع ثم القف ثم الهضبة وهى الجبل المنبسط على الارض ثم القرن وهو الجبل الصغير ثم الدك وهو الجبل الذليل ثم الضلع وهو الجبيل ليس بالطويل ثم النيق وهو الجبل الطويل ثم الطود ثم الباذخ والشامخ ثم الشاهق ثم المشمخر ثم الاقود والاخشب ثم الايهم ثم القهب وهو العظيم مع الطول ثم الخشام كذا ذكره الثعالبى وغيره ولله لغة العرب ما أوسعها وما أعذب ألسنتهم وما أفصحها ولسانهم أتم الالسنة بيانا وتمييزا للمعانى جمعا وفرقا يجمع المعانى الكثيرة فى اللفظ القليل اذا شاء المتكلم الجمع ثم يميز بين كل شيئين مشتبهين بلفظ آخر مميز مختصر كما نجده من لغتهم فى جنس الحيوان فانهم مثلا يعبرون عن القدر المشترك بين الحيوان بعبارات جامعة ثم يميزون بين أنواعه فى أسماء كل أمر من أموره من الاصوات والاولاد والمساكن والاظفار الى غير ذلك من خصائص اللسان العربى التى لا يستراب فيها وقد ذكرت فى كتاب بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب ما يناسب المقام وتلتذ به المسامع والافهام • ثم ان السبب فى تكون الجبال ما ذكره بعض الاجلة أن الحر الشديد يعقد الطين اللزج حجرا وتحققه التجربة وما يرى من أنموذج له فى كير الخزافين ثم بتواتر السيول الحادثة من الامطار وتواتر الرياح العواصف تحفر الاجزاء الرخوة فيظهر الحجر قليلا قليلا بتزايد الانحفار من جوانبه شيأ فشيأ حتى يصير جبلا شامخا قال الامام الرازى الاشبه أن هذه المعمورة كانت فى سالف الزمان مغمورة فى البحار فحصل فيها طين لزج كثير فتحجر بعد الانكشاف وحصل الشهوق بحفر السيول والرياح ولذلك كثرت فيها الجبال ومما يؤيد هذا الظن انا نجد فى كثير من الاحجار اذا كسرناها أجزاء الحيوانات المائية كالاصداف والحيتان ولا يخفى

أن

أن اختصاص بعض من أجزاء الارض بالصلابة وبعض آخر منها بالرخاوة مع استواء النسبة الى الفلكيات التى زعموا أنها المعدات لها قطعا للمجاورة والملاصقة الحاصلة بين الاجزاء الصلبة والرخوة يستدعى سببا مخصصا وعنده يقف العقل ويحيله على سبب من خارج وهو الفاعل المختار فليت شعرى لم لا نفعل ذلك أولا نعم لا يبعد أن يكون ذلك بارادة الله تعالى عند من يقول من المليين وغيرهم بالوسائط لا عندنا اذ الكل مستند اليه ابتداء فلا يتصور واسطة حقيقية على رأينا ولولا ضيق المقام لاشبعنا الكلام على أن لكل مقام مقالا ولكل موضع حالا (والرسوخ) الثبوت فى المحل غالبا وقد يعرض له ما يحركه من الابخرة التى تحتبس فى الارض وربما يتحرك حركة ظاهرة وأما قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب فذلك قرب قيام الساعة يسلط الله تعالى عليها ريحا فتنسفها وتذريها ولشدة تراكمها ثباتها مع الرياح السارية يتخيل للناظر أنها أنفسها تسير وذلك صنع الله الذى أتقن كل شئ (والسلوك) الدخول فى الحضرة القدسية والسالك فى لسان القوم من مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره فكان العلم الحاصل له فى مسافة ترقيه عينا يأبى ورود الشبهة المضلة له ويطلق على المتلبس بالسير الى الله تعالى وله مقامات سبعة الاول مقام ظلمات الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة والثانى مقام الانوار وتسمى النفس فيه باللوامة والثالث مقام الاسرار وتسمى النفس فيه بالملهمة والرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة والخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية والسادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية والسابع مقام تجليات الصفات والاسماء وتسمى النفس فيه بالكاملة وكل من كان فى مقام من هذه فهو محجوب عما بعده ومن كان بالسابع فهو محجوب بتجليات الاسماء والصفات عن تجلى الذات بل هو ممتنع على التحقيق وان وقع فى كلام البعض فهو مؤول وللنفس فى كل مقام عشرة حجب كل حجاب أكثف مما قبله وكذلك حجب كل نفس أكثف من حجب النفس التى بعدها وتفصيل ذلك يطلب من محله نسأل الله تعالى أن يجعلنا من ذوى الفيض وأهله (والطريق) معلوم (٢) والمراد به ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام من الهدى والدين والفرق بينه وبين الصراط العموم والخصوص المطلق قال الحافظ ابن القيم طيب الله ثراه فى بدائع الفوائد المشهور أن اشتقاق الصراط من صرطت الشئ أصرطه اذا بلعته بلعا سهلا فسمى الطريق سراطا لانه يسترط المارة فيه والصراط ما جمع خمسة أوصاف ان يكون طريقا مستقيما سهلا مسلوكا واسعا موصلا الى المقصود فلا تسمى العرب الطريق المعوج صراطا ولا الصعب المشق ولا المسدود غير الموصل ومن تأمل موارد الصراط فى لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك قال أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه • صراط اذا اعوج الموارد مستقيم • وبنوا الصراط على زنة فعال لانه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشئ المسروط وهذا الوزن كثير فى المشتملات على الاشياء كاللحاف والخمار والرداء والغطاء والفراش والكتاب الى سائر الباب وهذا الوزن يأتى لثلاثة معان أحدها المصدر كالقتال والضراب والثانى المفعول نحو الكتاب والبناء والفراش والثالث أن يقصد به قصد الآلة التى يحصل بها الفعل ويقع كالخمار والغطاء والسداد لما يخمر به ويغطى به ويسد به فهذا آلة محضة والمفعول هو الشئ

(٢) وهو غير الطريقة اذ هى فى اللغة تطلق على أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة والجمع طريق قال الاعشى
طريق وجبار رواء أصوله • عليه أبابيل من الطير تنعب
وعلى نسيجة تنسج من صوف أو شعر فى عرض الذراع أو أقل وطولها على قدر البيت فتخيط فى ملتقى الشقاق من الكسر الى الكسر وعلى الاشراف من الرجال يقال هذا رجل طريقة قومه وهؤلاء طريقة قومهم وعلى المذهب يقال مازال فلان على طريقة واحدة أى مذهب واحد وحالة واحدة وفى مصطلح القوم هى السيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقى فى المقامات وهى غير الطريق عندهم لانه عبارة عن سر اسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التى لا رخصة فيها

المجرّ والمغطى والمسدود ومن هذا القسم الثالث الهمعنى مألوه وأماذكره له بلفظ الطريق فى سورة الاحقاف خاصة فهذا حكاية الله تعالى لكلام مؤمنى الجن انهم قالوا لقومهم انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وتعبيرهم عنه ههنا بالطريق فيه نكتة بديعة وهى انهم قدموا قبله ذكر موسى وان الكتاب الذى سمعوه مصدقا لما بين يديه من كتاب موسى وغيره فكان فيه كالنيابة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى قوله لقومه ما كنت بدعا من الرسل أى لم أكن أول رسول بعث الى أهل الارض بل قد تقدمت قبلى رسل من الله الى الامم وانما بعثت مصدقا لهم بمثل ما بعثوا به من التوحيد والايمان فقال مؤمنو الجن انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم أى الى سبيل مطروق قد مرت عليه الرسل قبله وانه ليس ببدع كما قال فى أول السورة نفسها فاقتضت البلاغة والاعجاز لفظ الطريق لانه فعيل بمعنى مفعول أى مطروق مشت عليه الرسل والانبياء قبل تحقيق على من صدق رسل الله وآمن بهم أن يؤمن به ويصدقه فذكر الطريق ههنا اذا أولى لانه أدخل فى باب الدعوة والتنبيه على تعين اتباعه والله أعلم ولعل الناظم سلمه الله تعالى راعى هذه النكتة فاختار الطريق (والرسول) المبعوث لتبليغ أحكام الحق الى الخلق على التفصيل المشهور ويجمع على رسل بضمتين أو بسكون السين وهم لما صح عند غير واحد ثلثمائة وخمسة عشر ويشير الى هذا العدد اسم محمد ﷺ وجاء ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير وصح أيضا أن عدة الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويشير اليها بوجه آخر ذلك الاسم الجليل وفى ذلك رمز دقيق لا يخفى على أرباب التحقيق والقول بانه لا ينبغى الخوض فى عددهم لقوله تعالى ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم مما لا ينبغى أن يعول عليه لان زعم عدم اطلاعه عليه الصلاة والسلام أبدا على عددهم لهذه الآية وهو الذى أعطى علم الاولين والآخرين جهل بالمعانى اللغوية لما فى الآية الكريمة من لم والقصص وقد أوضح ذلك الجد طيب الله تعالى ثراه فى غير موضع من كتبه والنبى أعم من الرسول لانه يشترط فيه البعثة والامر بالتبليغ وقيل بتساويهما وقد فصلت ذلك فى كتاب كنز السعادة فى شرح كلمتى الشهادة وسيجىء ان شاء الله تعالى تتمة لهذا الكلام (والتحول) الانتقال والتغير وفرق العلامة السعد بين التحويل والتغيير بما هو مذكور فى شرحه على مقدمة التصريف (وحاصل معنى البيت) ان السيد الممدوح رضى الله تعالى عنه جبل فى الفضل راسخ وطود فى العرفان شامخ لا يطاوله أحد فى علو كعبه ولا يدانيه أحد من صحبه بين طريق الرسول عليه الصلاة والسلام وبين الهدى المقبول لسائر الانام ولم ينحرف فى سيره الى الله تعالى عن الصراط المستقيم ولم يتحول عن الطريق القويم فلذا كان علم الاعلام ومرجع الخاص والعام

فخير أمور الدين ما كان سنة • وشر الامور المحدثات البدائع

(واعلم) ان ما أشار اليه الناظم سلمه الله تعالى من كون الشيخ السيد أحمد رضى الله تعالى عنه كان على السنة النبوية والطريقة المحمدية حق لا شك فيه ولا شبهة تعتريه فان سلسلة طريقته قدس سره تنتهى الى سيد الطائفة أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه

وطريقه طريق مقوم لانه خال من البدع ودائر على التسليم والتفويض والتبرى من النفس والتوحيد بالحق وفى كتاب معراج السالكين عند الكلام على ذكر آداب الطريقة الرفاعية العلية الادب الصحيح فى كل طريقة أدب الشرع فان من تأدب بأدب الشرع فهو ممن سلك الطريق ويرجى له الوصول ومن لم يتأدب بادب الشرع فقد ضل الطريق وركب طرق الوعر والجبال وتمزق حاله ولا يصل الى مقصوده أبدا وان ما اختاره مشايخنا فى طريقتنا من آداب الشرع للسالك أولا الصحبة لتنقلب طباعه بمغناطيس الصحبة من الغفلة الى اليقظة ومن البخل الى السخاء ومن الحرص الى الزهد ومن سوء الخلق الى حسن الخلق ومن كل حال دنى الى كل حال زكى فمتى أسست الصحبة أركان المحبة الخالصة لشيخه وانقلع من طبعه ألفة القواطع وطهرت نفسه يأمره الشيخ بالصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بعدد كثير حتى يستغرق بكليته حب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحيث اذا تقهقه فى ضحكه وهو فى البر الاقفر وحده استحى من صاحب الشريعة عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام ثم يلحق له بعد الصلوات الاستغفار بعدد معلوم وبعد الاستغفار ذكر الله تعالى بشرط التجرد حال ذكر الله تعالى من المخلوقين عظيمهم وحقيرهم كبيرهم وصغيرهم وفى أثناء السير يعالجه طبيب روحه شيخه بالرياضة اذا مست الحاجة اليها وبالسياحة وبالتجرد وبالخلوة وبالسهر وبالتهجد وببذل ما فى اليد وبالخدمة الشاقة على النفس ومع ذلك يجعله مؤسس البنيان ممهد الاركان على المراتب الثلاثة المندرجة فيما قررناه وهى حب الشيخ بالانقطاع عن غيره وبذلك تصح الصحبة وتكمل طهارة النفس وتنقلع ألفة القواطع من طبع المريد واستغراق القلب واللسان بمحبة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ليصح الاقتداء به عليه الصلاة والسلام والتمسك الصحيح بشريعته وأحكام سنته والتجرد عن الخلق بصحة الاخلاص فى عبادة الحق وعدم رؤيا الاغيار بالكلية وهذه المزية أدب من آداب الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وشرط عظيم فى الطلب فاذا تمهدت هذه الاركان الثلاثة للمريد فقد أدرك المقصود باذن الله تعالى وقد شرط أهل هذه الطريقة الاستفاضة القلبية من قلب الشيخ علما بان هذا الفيض متدل من قلب صاحب الطريقة واليه من قلب روح العوالم صلى الله تعالى عليه وسلم وأدبها الجلوس على المصلى واستقبال القبلة والتفرغ من العلائق الخاطرية وأخذه الشيخ على البال وربط القلب بقلبه (١) والوقوف هنالك ما دامت الروح مطيبة والنفس مطمئنة والخواطر مندفعة فاذا ضاق حال الروح وشبت النفس ولعبت الخواطر يفتح المريد عينيه ويستغفر الله تعالى ويختم مجلس الاستفاضة بالفاتحة ويباشر بعدها الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وبعدها الاستغفار ثم الذكر كما تقرر أولا ومن رجال هذه الطريقة من شرط الاستفاضة بعد الورد المذكور وقال لان حلاوة الاستفاضة اذا بقى أثرها فى القلب يدخل من ذلك الاثر شىء حالة الذكر حضيرة القلب ومن أدب الاخلاص ان لا يوجد للغير أثر وقال من شرط الاستفاضة قبل الوردان الاستفاضة باب يتوصل به المريد من شيخه الى صاحب طريقته الى نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم ومتى وصل الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقد وصل الى الله تعالى بنص ان الذين يبايعونك الآية وبعد فتح الباب يباشر الورد متجردا عن الغيرية

(١) وهذا هو المسمى عند السادات النقشبندية بالرابطة

وهذا الائق بمقام السير والذى أقوله ان هذا الشان يدرك من حال المريد فان رأيناه اذا استفاض قبل الورد تنقلب عليه آثار الاستفاضة حالة الذكر نأمره بالاستفاضة بعد الورد وان لم تغلبه آثار الاستفاضة حالة الذكر نأمره بالاستفاضة قبل الورد وهذا هو الصحيح وعليه أهل العرفان كافة ومن أحكام هذه الطريقة الخلوة الاسبوعية فى كل عام وابتداء دخول الخلوة فى اليوم الثانى من عاشوراء يعنى اليوم الحادى عشر من محرم الحرام الى مساء اليوم الثامن عشر من المحرم وقد جعلوها شرطا على كل من انتسب الى هذه الطريقة العلية وطعامها خال من كل ذى روح وذكرها فى اليوم الاول لا اله الا الله بعدد معلوم وفى الثانى الله وفى اليوم الثالث وهاب وفى اليوم الرابع حى وفى اليوم الخامس مجيد وفى اليوم السادس معط وفى اليوم السابع قدوس وشرطوا فى الخلوة بعد كل صلاة تلاوة هذه الصلاة على النبى صلى الله تعالى عليه وسلم مائة مرة وهى اللهم صل على سيدنا محمد النبى الامى الطاهر الزكى وعلى آله وصحبه وسلم وذكروا لهذه الخلوة من الفتوحات المحمدية والعنايات الاحمدية مالا يحصى وكم شاهدوا والها من برهان عظيم وشأن كريم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم انتهى وكثيرا ما ينقل عن حضرة الشيخ السيد أحمد رضى الله عنه برواية العدول الاثبات الحث على التمسك بالكتاب والسنة ويقول كما قال شيخ مشايخه الجنيد قدس سره الطرق كلها مسدودة الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا العلم لان علمنا ومذهبنا مقيد بالكتاب والسنة وقال السرى السقطى التصرف اسم لثلاثة معان وهو أن لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم بسر باطن فى علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى وقال أيضا من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو غالط وقال أبو بكر الدقاق من ضيع حدود الامر والنهى فى الظاهر حرم مشاهدة القلب فى الباطن والحاصل ان ما كان عليه الشيخ السيد أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه هو طريق الجنيد وأصحابه قدس الله تعالى أسرارهم وهو عين مذهب الفقهاء غيران أولئك السادة يأخذون لانفسهم بالاحوط والاوثق فيما اختلف فيه مذاهب الفقهاء وهم مع الاجماع ومهما أمكنهم الخروج من الخلاف والاتيان بالمجمع عليه بين الفقهاء لم يعدلوا عنه والاخذ بالاحوط أشق على النفس وأقرب الى مخالفة هواها فكان أفضل لما روى فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة أحمزها أى أشقها وفى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها أجرك على قدر نصبك قال الله تعالى فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فالعلم الظاهر على هذا هو الذى يتوصل به الى العلم الباطن الموافق للكتاب والسنة الذى لم يسطر فى الطروس ولم يحفظ فى الدروس وانما هو الهام وتلقين من الله تعالى بغير واسطة وهو العلم اللدنى المسمى بعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الاسرار والعلم المكنون وعلم الوراثة وعلم الحقيقة وهو الذى لا يخشى الله تعالى خشية تامة الا العلماء به لان علم الظاهر طريق الى العمل والعمل طريق الى العلم اللدنى والعلم اللدنى طريق الى المعرفة بالله تعالى والمعرفة بالله تعالى طريق الى الكشف والكشف طريق الى الخشية ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم أنا أعلمكم بالله وأخشاكم له فعلم أن علم الباطن

لا يخالف

لا يخالف العلم الظاهر بل هو مترتب عليه وحاصل به فهو ثمرة العلم الظاهر ونتيجته قال ابن حجر المكى رحمه الله فى كتابه التعرف وما وقع فى كتب جمع من متأخرى الصوفية كابن عربى وأتباعه بحق وهم الاقلون يجب تجنب ظواهره الموهمة لما لا يحل اعتقاده بل لما هو كفر فى كثير منها لكنهم جارون على اصطلاحهم ستراله من دعاة الباطل والافهم على الحق المبرأ من وصمة الحلول والاتحاد وغيرهما من الاحتمالات التى نسبها اليهم من لم يحط بحقيقة حالهم أو التى يعتقدها عن حقيقة طريقهم فنسبها اليهم زعما منه انه متأس بهم حاشاهم الله تعالى من ذلك وما أحسن ما حققه بعض المحققين نصرة للاولين حيث قال ما حاصله مع ما فيه من عبارات غير مراد بها ظاهرها من انتهى فى سلوكه الى الله تعالى وفيه استغرق فى بحر التوحيد والعرفان فحينئذ تضمحل ذاته فى ذاته وصفاته فى صفاته ويغيب عنه كل ما سواه فلا يرى فى الوجود الا الله تعالى وهذا هو الذى يسمونه الفناء فى التوحيد واليه يشير الحديث القدسى لا يزال عبدى يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فلئن سألنى لاجيبنه الحديث وفى حديث آخر أيضا عنا يا يوم القيامة لبعضهم مرضت فلم تعدنى جعت فلم تطعمنى عطشت فلم تسقنى فيقول كيف ذلك وأنت رب العالمين فيقول تعالى مرض عبدى فلان فلم تعده جاع عبدى فلان فلم تطعمه عطش عبدى فلان فلم تسقه وحينئذ فربما يصدر عن الولى عبارات تشعر بالحلول أو الاتحاد لقصور العبارة عن بيان تلك الحال وتعذر الكشف عنها بالمثال ونحن على ساحل التمنى نغترف من بحر التوحيد بقدر الامكان ونعترف بان طريق الفناء فيه العيان دون البرهان انتهى وأقول لا ينبغى أن يلحق باولئك السادة بعض كلاب دنيا لبسوا جلابيب الحيل لنيل شهواتهم البهيمية ككثير من متشيخى زماننا الذين أظهروا للعوام زهدهم بمخالفة أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان عليه السلف وأئمة الفقهاء وجعلوا رأس مالهم مخالفة الشريعة الغراء والعمل بعلم الباطن وما أحق مثل هؤلاء أن يعدوا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن قال الحافظ العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه اغاثة اللهفان فى مصايد الشيطان ومن كيده ما ألقاه على جهال المتصوفة من الشطح والطامات وأبرزلهم فى قالب الكشف من الخيالات فأوقعهم فى أنواع الاباطيل والترهات وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات وأوحى اليهم أن وراء العلم طريقا ان سلكوه أفضى بهم الى كشف العيان وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها وتصفية الاخلاق والتجافى عما عليه أهل الدنيا وأهل الرآسة والفقهاء وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلوب وخلوه من كل شئ حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة العلم فلما خلا من صورة العلم الذى جاء به الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم نقش فيه الشيطان ما هو مستعد له من أنواع الاباطيل وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهدة كشفا وعيانا فاذا أنكره عليهم ورثة الرسل قالوا لكم العلم الظاهر ولنا الكشف الباطن ولكم ظاهر الشريعة ولنا باطن الحقيقة ولكم القشور ولنا اللباب فلما تمكن هذا فى قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل من النهار ثم أحالهم فى شكوكهم على تلك الخيالات وأوهمهم أنها من الآيات البينات

وأنها من قبل الله سبحانه الهامات وتعريفات فلا تعرض على السنة والقرآن ولا تعامل الا بالقبول والاذعان فلغير الله سبحانه لاله ما يفتحه عليهم الشيطان من الخيالات والشطحات والهذيان وكلما ازدادوا بعدا واعراضا عن القرآن وما جاء به الرسول كان هذا الفتح على قلوبهم أعظم انتهى واذا عرفت ما ذكرناه وتبين لك ما تلوناه ظهر لك أن طريق السيد قدس سره هو الطريق المقبول حيث جعل مداره الكتاب وما أمر به الرسول فعليك أيها الاخ بلزوم طريقته وعدم الانحراف عن محجته وقد وردت أحاديث كثيرة بالحث على اتباع الكتاب والسنة اذ هما الامامان اللذان أمر بالاقتداء بهما من طلب النجاة والوصول الى الجنة فاشدد يديك عليهما ولا تنظر الى ما يخالفهما ولا يحصل كمال الاتباع الا بالاقتداء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى جميع حالاته سكونه وحركاته وعاداته وعباداته ولئلا يطول الكلام على هذا البيت جدا أعرضنا عن ذكر ما فيه من المحاسن البديعة والله تعالى أعلم قال الناظم لازال شريفا ونخار سودده منيفا

﴿شرف حط عن مداه السوارى • ونخار نصوصه البيض تنقل﴾

أقول الشرف كما فى القاموس محركة العلو والمكان العالى والمجد ولا يكون الا بالآباء أو علو الحسب انتهى واعلم أن اسم الشريف كان يطلق فى الصدر الاول على من كان من أهل البيت سواء كان حسنيا أو حسينيا أو علويا أو جعفريا أو عباسيا فلما ولى الخلفاء الفاطميون بمصر قصروا اسم الشريف على ذرية الحسن والحسين فقط واستمر ذلك الى الآن أفاده الامام السيوطى رحمه الله تعالى وفى باب الوصايا من شرح المنهاج للمحقق ابن حجر الشريف هو المنتسب من جهة الاب الى الحسن والحسين لان الشرف وان عم كل شريف الا أنه اختص باولاد فاطمة رضى الله تعالى عنها عرفا مطردا عند الاطلاق ﴿والحط﴾ هنا الحدر من علو الى سفل وله معان أخر ﴿والمدى﴾ كالفتى الغاية ﴿والسوارى﴾ جمع سارية قال فى القاموس هى السحاب يسرى ليلا ولعل مراد الناظم بالسوارى النجوم السيارات التى عبر عنها فى القرآن الكريم بالجوارى الكنس لاختفائها تحت ضوء الشمس من كنس الوحش اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من أغصان الشجر وهى سبع عند متقدمى الفلاسفة يجمعها هذا البيت

زحل شرى مريخه من شمسه • فتزاهرت لعطارد الاقمار

ويزعمون أن الشمس فى وسط السموات ولذا سميت شمسا تشبيها لها بشمسة القلادة وهى الخرزة الكبيرة التى فى وسطها وهذا مبنى على المشهور من أقوال أهل الهيئة من أنها فى السماء الرابعة ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك فلعل الوجه فى تسميتها حينئذ انها لكبرها بالنسبة الى سائر النجوم تشبه تلك الخرزة التى فى وسط القلادة فانها أكبر ما فى القلادة فوجه الشبه الكبر لا التوسط وقد اختلف العلماء فى مقدارها والمشهور انها مثل الارض مائة ونيفا وستين مرة والكواكب أصغرها مقدارا مثل جبل أحد وقيل مثل أعظم جبل فى الدنيا وقيل مثل الدنيا ثمان مرات وقدرة الله تعالى أعظم من ذلك والذى ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج ان الشمس فى وسط الكواكب التى تدور حولها وانها أعظم من الارض بألف ألف مرة وثلثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة وان لها حركة على

نفسها وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذى يظهر على ظهرها ورجوعه فى أزمنة مخصوصة انها تدور على نفسها فى خمسة وعشرين يوما واثنتى عشرة ساعة وجزموا بأن ليس لها حركة حول الارض بل للارض حركة حولها وان الارض احدى السيارات وهى عندهم عطارد والزهرة والارض والمريخ ووستة وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق فى حدود سنة ألف ومائتين وثلاث وعشرين هجرية ويونون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق فى حدود سنة ألف ومائتين وعشرين ومريس وقد كشفها رجل منهم يقال له بياظى فى حدود سنة ألف ومائتين وست عشرة وبلاس وقد كشفها أولبوس أيضا فى حدود سنة ألف ومائتين وسبع عشرة والمشترى وزحل وأورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل فى حدود سنة ألف ومائة وسبع وتسعين ولم يعدوا القمر من السيارات بل من سيارات السيارات لانه يدور حول الارض دورانها حول الشمس وهو عندهم دون عظم الارض بتسع وأربعين مرة وزعموا ان بعد الشمس عن الارض أربعة وثلاثون ألف ألف فرسخ فرنساوى وهو المقدر بمسافة ساعة وخمسمائة ألف فرسخ ومع هذا يصل نورها الينا فى مدة ثمان دقائق وثلاث عشرة ثانية وان البعد الابعد للقمر عنها احد وتسعون ألفا وأربعمائة وخمسون فرسخا والبعد الاقرب له ثمانون ألفا ومائة وخمسة فراسخ فيكون البعد الاوسط نحو ستة وثمانين ألف فرسخ وكانوا يزعمون من قبل ان ليس للشمس حركة على كوكب آخر وانما لها حركة على نفسها فقط ثم أدركوا على ما نسمع ان لها حركة على كوكب من كواكب الثريا وجوزوا ان يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب آخر أبعد منه وهكذا الى ما لا يعلمه الا الله تعالى فان سعة الجو غير متناهية عندهم وفيها من الكواكب ما لا يتناهى أيضا وزعموا ان من هاتيك الكواكب ما لا يصل نوره الى الارض فى مائة سنة بل أكثر مع شدة سرعة حركة الضوء كما أشير اليه آنفا فى بيان حركة نور الشمس وهم فى دعوى عدم تناهى الابعاد كشرذمة من فلاسفة الهند المتقدمين وقد أبطل ذلك فى علم الكلام والحكمة واحذر كل الحذر من اعتقاد ما يصادم نصا من نصوص الشريعة الغراء وقد أبطل الوالد رحمه الله تعالى القول بأن مركز هذا العالم هو الشمس وان السيارات تدور عليها ومنها الارض بحركة على نفسها وحركة على مركزها بها تكون الفصول الاربعة قال من كلام طويل ليت شعرى ما سبب عدم تحول الجدى عن محله وما سبب كون مطالع القمر ومغاربه فى البروج وكذا سائر الكواكب كمطالع الشمس ومغاربها مع انه قد يكون كل فى برج مضاد وبأى صورة تكون حركتها حتى يرى ان السائر فى البروج هو الشمس وأى كوكب من السيارة أقرب اليها وكيف ترتيب ذلك وكم تقطع من الفراسخ فى الساعة على نفسها وكم تقطع على مركزها وكذا كل سيارة كم فرسخ تقطع فى الساعة قال وقالوا ان الارض جسم مظلم وكذا القمر فعلى هذا فيحتمل وجود أجسام مظلمة كثيرة لا ترى وقالوا أولا ان القمر فيه المواليد الثلاثة والماء ثم قالوا أخيرا ليس فيه ذلك وشكلوا له خارتات مختلفة وقالوا فى الارض مرة انها من ذوات الاذناب وانه قد بقى من ذنبها شئ لم يتجمد بعد ثم قالوا غير ذلك وقالوا فى الشمس ان ضياءها من اشتعال معدن المغنيسيون الذى فيها وانهم وقفوا على ذلك بآلة جديدة قامت مقام الحل والتركيب وقالوا كل كوكب عالم

مستقل كالشمس وقالوا فى ذوات الاذناب أولا ان ذنبها صاب وكانوا يخشون من اصطدامها مع الارض ثم قالوا انه رخو من مادة الشهب فعادوا الى ما قال الاولون ولم يقولوا فى الشهب والتساقط قولا معتبرا

وساوس وأقاويل مزخرفة • ليست برطب اذا عدت ولا يبس

ولو قيل ان الارض تدور على نفسها حول الشمس بالحركة اليومية والشمس تدور عليها بالحركة السنوية لكان أقرب فقد ذهب جمع من الاوائل الى أنها هى التى تتحرك هذه الحركة السريعة اليومية من المغرب الى المشرق وبسببها ترى الكواكب طالعة وغاربة لانها اذا تحركت كذلك وكانت الكواكب ساكنة أو متحركة الى تلك الجهة أيضا لكن بحركة أبطأ من حركتها ظهر لنا فى كل ساعة من الكواكب ما كانت محتجبة بحدبة الارض فى جانب المشرق واحتجبت عنا بحدبتها فى جانب المغرب ما كانت ظاهرة لنا بها فيتخيل ان الارض ساكنة وان الكواكب المتحركة بتلك الحركة السريعة الى خلاف جهة حركتها كما يتخيل ان السفينة الجارية فى الماء ساكنة مع كون الماء متحركا الى خلاف الجهة التى تتحرك اليها السفينة وقد رد هذا القول أيضا بأن الارض ذات مبدأ ميل مستقيم طبعا كما يظهر من أجزائها المنفصلة فيمتنع ان تتحرك على الاستدارة بالطبع فتدبر وحيث لم يكن مثل هذه المسائل مهما فى نظر الشرع لعدم ترتب احدى الفائدتين الدنيوية والاخروية لم يتعرض لبيانها ﴿والفخار﴾ كالفخر ما يتمدح به من الخصال المحمودة على ما مر ﴿والنصوص﴾ جمع نص وهو لغة الرفع يقال نص الحديث اليه رفعه وفى عرف الاصوليين قال الوالد رحمه الله عليه فى كتابه التعطف على التعرف فى الاصلين والتصوف النص يطلق على ما يقابل الظاهر ويطلق فى مقابلة القياس والاستنباط والاجماع فيراد به الدليل من الكتاب والسنة ويطلق فى كتب الفروع فى مقابلة القول المخرج فيراد به قول صاحب المذهب وسمى به لارتفاعه على غيره من الالفاظ فى الدلالة مأخوذ من قولهم نصت الظبية جيدها اذا رفعته ومنه منصة العروس انتهى والتفصيل ان يقال ان اللفظ اذا ظهر منه المراد فان لم يحتمل النسخ فمحكم كقوله عليه الصلاة والسلام الجهاد ماض الى يوم القيامة فان قوله الى يوم القيامة سد باب النسخ والا فان لم يحتمل التأويل فمفسر كقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة فان قوله كافة سد باب التخصيص لكنه يحتمل النسخ لكونه حكما شرعيا والا فان سيق لاجل ذلك المراد فنص كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فانه سيق لبيان العدد فهو نص فيه وظاهر فى حل النكاح لانه قد علم الحال من آية أخرى أعنى قوله تعالى وأحل لكم ما وراء ذلكم والا فظاهر كما سبق واذا خفى المراد فان خفى لعارض فخفى كقوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما فانه قد خفى فى النباش والطرار لاختصاصهما باسم آخر أو لنفسه فان أدرك عقلا فمشكل كقوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فانه وقع الاشكال فى الفم فانه باطن من وجه حتى لا يفسد الصوم بابتلاع الريق وظاهر من وجه حتى لا يفسد بدخول شئ فى الفم فاعتبرنا الوجهين فالحق بالظاهر فى الطهارة الكبرى حتى وجب غسله فى الجنابة وبالباطن فى الصغرى فلا يجب غسله فى الحدث الاصغر وهذا أولى من العكس لان قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا بالتشديد يدل على

التكليف والمبالغة أو نقلا فمجمل كقوله تعالى وحرم الربا لان الربا فى اللغة الفضل وليس كل فضل حراما بالاجماع ولم يعلم ان المراد أى فضل ثم لما بين النبى صلى الله تعالى عليه وسلم بالاشياء الستة احتيج بعد ذلك الى الطلب والتأمل ليعرف عليه ويحكم فى غير الاشياء الستة أو لم يدرك أصلا فمتشابه كالمقطعات أوائل السور وكاليد والوجه ونحوهما وهذا بحث استطرادى لا يخلو عن فائدة ﴿والبيض﴾ جمع أبيض وفى وصف النصوص بالبيض ما لا يخفى من البلاغة حيث شبهها بما فيه اشراق وبياض فحذف المشبه به وبقى المشبه على طريق الاستعارة بالكناية المعلوم فى محله مع كثرة الآراء فيه ووجه الشبه كما قيل فى مثله ليس موجودا فى المشبه الا على طريق التخييل وذلك انه لما كان ضد ما يحمد من كل مذموم كالبدعة وكل ما هو جهل يجعل صاحبه كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى للطريق فلا يأمن من ان ينال مكروها شبه بالظلمة ولزم بطريق العكس ان يشبه كل ما هو محمود كالسنة وكل ما هو علم بالنور وشاع ذلك حتى تخيل ان الثانى مما له بياض واشراق نحو أتيتكم بالحنيفية البيضاء والاول على خلاف ذلك كقولك شاهدت سواد الكفر من جبين فلان ﴿وتنقل﴾ أى تروجها الثقات وحاصل معنى البيت ان ما ذكر من الاوصاف الشريفة والخصال المنيفة هو الشرف الذى انحطت دونه السيارات واتضعت له الراسيات وهو الفخار الذى أشرقت أنوار نصوص أخباره على الغبراء وحدا بها الرواة ولهج بها العدول فى كافة الارجاء هذا اذا جعلنا الشرف خبرا لمبتدا محذوف هو ضمير يعود الى ما ذكر من الاوصاف الجليلة وهاتيك المزايا الجميلة وقد نسبها الناظم لممدوحه رضى الله تعالى عنه ولا شك ان الاوصاف التى ذكرها الناظم مجتمعة بممدوحه أفاض الله علينا من فيوضات فتوحه وهى لا ريب مما ينحط عنها قدر الاثير ويتضع دون قدرها الخطير حيث انها أعلى درجات العلم والعمل وغاية ما تصل اليه حبال الامل ولا بدع فانه كان مرشد السالكين ومربى المريدين ومرجع الاولياء وعمدة الاصفياء بل شيخهم الاكبر وبدرهم الانور فكم اهتدى بنوره ضال وكم وصل بسره الروحانى باذن الله تعالى منقطع الى حظائر القدس والجلال وفى الحديث لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفى رواية خير لك من الدنيا وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم (قال الناظم) أعطاه الله تعالى مناه وأناله جل شأنه ما يتمناه

﴿ليت شعرى وهل تساعد ليت • وأرانى برحبه أتململ﴾

أقول لما ذكر ما ذكر من الثناء والمحامد التى تنحط دونها الجوزاء اشتاقت نفسه لهذا الممدوح الجليل القدر أشد اشتياق وتحركت فى قلبه دواعى الاقبال عليه ولم يطق الصبر على فراقه فان الصبر مر المذاق وحيث منعت الموانع عن الملاقات وحجبت الحجب عن المواصلات كان ذلك لديه بمنزلة المحال الذى لا يدرك ولا ينال

ايا دارها بالخيف ان مزارها • قريب ولكن دون ذلك أهوال

أبرز ما يتمناه بصورة ما لا طمع له فى حصوله ولا أمل له فى نيل مقصوده ومأموله وكأنه ذكر ذلك على سبيل التوجع وقال ما قال من مزيد التفجع وهذا مما تراكضت فى ميدانه أشعار الشعراء وتسابقت فيه أفكار الادباء من ذلك قول أبى اسحق ابن خفاجة من

قصيده

سجعت وقد غنى الحمام فرجعا * وما كنت لولا ان تغنى فاسجعا

وأندب عهدا بالمشعر سالفا * وظل غمام للصبا قد تقشعا

ولم أدر ما أبكى أرسم شبيبة * عفا أم مصيفا من سليمى ومربعا

وأوجع توديع الاحبة فرقة * شباب على رغم الاحبة ودعا

وما كان أشهى ذلك الليل موقدا * وأندى محيا ذلك الصبح مطلعا

وأقصر ذاك العهد يوما وليلة * وأطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا

زمان تقضى عند ذكر معاهد * تسوم حصاه القلب ان يتصدعا

تحولت عنه لا اختيارا وربما * رجعت على طول التلاذ أخدعا

ومن لى برد الريح من أبرق الحمى * وريا الخزامى من أجارع لعلعا

وقد فات ذاك العهد الا تذكرا * لوانى على ظهر المطى توجعا

وكنت جليد القلب والشمل جامع * فما انفض حتى حار فارفض أدمعا

وبلت نجادى عبرة مستهلة * أكفكف عنها بالبنان تصنعا

فقول الناظم ليت شعرى الخ كالالتفات عند البيانيين فكما ان المرء اذا أخذ فى استحضار جنايات جان منتقلا فيها عن الاجمال الى التفصيل وجد من نفسه تفاوتا فى الحال بينا لا يكاد يشبه آخر حاله هناك أولها أوما تراك اذا كنت فى حديث مع انسان وقد حضر مجلسكما من له جنايات فى حقك كيف تصنع تحول عن الجانى وجهك وتأخذ عنه فى الشكاية الى صاحبك تبثه الشكوى معددا جناياته واحدة فواحدة وأنت فيما بين ذلك واجد من اجل تحمى على تزايد تحرك حالة لك غضبية تدعوك الى ان تواثب ذلك الجانى وتشافهه بكل سوء وأنت لا تجيب الى ان تغلب فتقطع الحديث مع الصاحب ومباثتك اياه وترجع الى الجانى مشافها له بالله قل لى هل عامل أحد مثلى هذه المعاملة هل يتصور معاملة أسوأ مما فعلت أما كان لك حياء يمنعك أما كان لك مروءة تردعك عن هذا واذا كان الحاضر بمجلسكما ذا نعم عليك كثيرة فاذا أخذت فى تعديد نعمه عند صاحبك مستحضرا لتفاصيلها أحسست من نفسك بحالة كأنها تطالبك بالاقبال على منعمك وتزين ذلك لك ولا تزال تتزايد ما دمت فى تعداد نعمه حتى تحملك من حيث لا تدرى على ان يجدك وأنت معه فى الكلام تثنى عليه وتدعو له وتقول بأى لسان أشكر صنائعك الروائع وبأية عبارة أحصر عوارفك الذوارف وما جرى ذلك المجرى وهذا نظير لما نحن فيه لا تمثيل كما لا يخفى على الفطن النبيل وليت حرف تمن يتعلق بالمستحيل غالبا كقوله

فياليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وبالممكن قليلا وحكمه ان ينصب الاسم ويرفع الخبر وقال الفراء وبعض أصحابه وقد ينصبهما كقوله * ياليت أيام الصبا رواجعا * وبنى على ذلك ابن المعتز قوله

مرت بنا سحرا طير فقلت لها * طوباك ياليتنى اياك طوباك

قال ابن هشام والاول عندنا محمول على حذف الخبر وتقديره أقبلت لا تكون خلافا للكسائى لعدم تقدم ان ولو الشرطيتين ويصح بيت ابن المعتز على انابة ضمير النصب عن

ضمير الرفع وتمام الكلام فى الكتب المعدة لذلك ﴿وشعرى﴾ اسم ليت وهو اما بمعنى مشعورى فتكون جملة الاستفهام خبرا والواو زائدة ولا حاجة الى رابط لان الجملة حينئذ نفس الاسم والمعنى عليه ليت مشعورى هل تساعد ليت وأرانى الخ وحاصله ليت المعلوم لى جواب هذا الاستفهام واما ان لا يؤول بذلك فيكون الخبر محذوفا أى ليت شعرى أى علمى بذلك موجود وقيل ان ليت لا خبر لها هنا اذ المعنى ليتنى أشعر وهذه الوجوه تجرى أيضا فى قول الشاعر

ياليت شعرى والمنى لا تنفع * هل أغدون يوما وأمرى مجمع

وليت الثانية فاعل تساعد على حد قوله

ليت وهل ينفع شيأ ليت * ليت شبابا بوع فاشتريت

فان جميع الكلمات متساوية الاقدام فى الحكم عليها وبها اذا أريد لفظها كما فصل فى موضعه ﴿وأرانى﴾ من الافعال المختصة بجواز كون فاعلها ومفعولها ضميرين متصلين لشئ واحد مثل علمتنى منطلقا وعلمتك منطلقا ولا يجوز ذلك فى سائر الافعال فلا يقال ضربتنى وشتمتنى بل يقال ضربت نفسى وشتمت نفسى وذلك لان أصل الفاعل ان يكون مؤثرا والمفعول به متأثرا وأصل المؤثر أن يغاير المتأثر فان اتحدا معنى كره اتفاقهما لفظا فقصد مع اتحادهما معنى تغايرهما لفظا بقدر الامكان فمن ثمت قالوا ضربت نفسى ولم يقولوا ضربتنى فان الفاعل والمفعول فيه ليسا متغايرين بقدر الامكان لاتفاقهما من حيث كون كل منهما ضميرا متصلا بخلاف ضربت نفسى فان النفس باضافتها الى ضمير المتكلم صارت كأنها غيره لغلبة مغايرة المضاف للمضاف اليه فصار الفاعل والمفعول فيه متغايرين بقدر الامكان وأما افعال القلوب فان المفعول به فيها ليس المنصوب الاول فى الحقيقة بل مضمون الجملة فجاز اتفاقهما لفظا لانهما ليسا فى الحقيقة فاعلا ومفعولا به ومما أجرى مجرى افعال القلوب فقدتنى وعدمتنى لانهما نقيضا وجدتنى فحملا عليه حمل النقيض على النقيض وكذلك أجرى رأى البصرية والحلمية على رأى القلبية فجوز فيهما ما جوز فيه من كون فاعلهما ومفعولهما ضميرين لشئ واحد كقول الشاعر

ولقد أرانى للرماح دريئة * من عن يمينى تارة وأمامى

وكقوله تعالى انى أرانى أعصر خمرا ﴿والرحب﴾ المكان الواسع كما مر وأراد به الناظم هنا مشهد جده الاجل ومرقد ممدوحه المبجل يدل على ذلك قوله فى البيت الآتى ذاك غاب فيه توسد ليث الخ وهو فى قرية أم عبيدة على وزن سفينة من قرى البطائح وكانت فى سالف الزمان عدة قرى مجتمعة فى وسط الماء بين واسط والبصرة وكان لها شهرة فى العراق كم نشأ فيها امام ومشايخ عظام وهى اليوم والامر لله تعالى مما تحزن القلوب رؤيتها وتضيق الصدور عرصاتها حيث اندرست هاتيك المعاهد وتداعت هاتيك المنازل والمشاهد فلذا كره المستوطن بها قراره وأحب الساكن فيها فراره قد خلت من الانيس وأقفرت من كل جليس وأوحشت ربوعها وتفرقت جموعها

أمست خلاء وأمسى أهلها ارتحلوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

والسبب فى ذلك انقطاع المياه عنها وتباعد دجلة منها لكن حضرة أمير المؤمنين وسلطان

المسلمين ظل الله تعالى الذى من ضل عنه هوى فى مهاوى الهلاك ومن استظل به عرج فى معارج العز حتى تبوّأ قنة السماك ذى السطوات التى ضيقت على ذوى الشقاق المذاهب ورب المبرات التى وسعت لارباب الوفاق سبل الراحة فى المشارق والمغارب ناصر الدين والدولة ومؤيد الشريعة والملة سلطان سلاطين الدوران ﴿السلطان عبد الحميد خان﴾ كان الله تعالى متكفلا بنصره جاعلا رقاب الدول فى ربقة أمره قد أمر بايصال المياه الى هاتيك العرصات واحياء ميت رسومها بعد ان عفتها عواصف الحادثات خدمة لذلك السيد الجليل وطلبا للفيوضات ذلك المرشد النبيل فعما قليل ان شاء الله تعالى نرى هاتيك الفلوات روضة تسلسلت أنهارها من جميع الجهات وعادت قصورها وأشرقت بدورها ورق نسيمها وراق نعيمها وأزهرت رياضها وامتلأت حياضها وغنت أطيارها وصفقت أنهارها وتراقصت بلابلها وسجعت حمائمها والتفت أشجارها وتشابكت أغصانها وفاح شيحها وخزامها وسرح آرامها وتفتحت أكمامها وزها شقيقها وطاب رحيقها وتتابع وابلها وانتثر طلها وشمخ نخيلها وارتوى آصالها وصدح مغردها وأنشد منشدها

وبهجة حسن لم تقابل بنضرة • كأن لم تنازعها جمالا شقائق
فكم صيغ من سلسال ماء فراتها • أساور أنهار لها ومناطق
اذا ماروت أنهارها من حديثه • مسلسل مد حسنته الحدائق
فمن ربوة تزهو بخضر برودها • ومن روضة تفتر منها الشقائق
ومن فتن نشوان من خمر مائه • يداعبه روح الصبا ويعانق
ومن عقد دمع للسقيط مفضض • يروق به خد من النور رائق
ومن نرجس يرنو بفاتر مقلة • تلاحظ نوار الربا وتسارق
ومن عرصة وشى حروف عذارها • باقلامه جرى من المدماشق
ومن اقحوان ضاحك الثغر باسم • يناغيه مرفض الندى ويناطق
ومن وجنة للروض تلثمها الصبا • فيرحمها بالك من المزن وارق
ومن مربع للغصن فيه مع الهوا • عناق هوى يحمر منه العقائق
ومن نفس يرخى مطارف عرفه • فينشقه للعلنار المناشق
ويجذب اعطاف الغصون بكفه • فيرقص ريان ويبسم وارق
فما هى الا جنة قد تزخرفت • بغرتها بدر المحاسن شارق
فما عذبات بالاثيل بجودها • من العارض الوسمى غاد وغارق
باجمل منها بهجة حين زينت • بملك مليك العصر منها المفارق

ولا بدع من ذلك ولا غرابة مما هنالك فكم للدولة العلية العثمانية أيدها الله تعالى بتأييداته الربانية من مآثر تحلت بها نحور الايام وتزينت بدررها تيجان الدهور والاعوام فهى وان كانت آخر الدول الاسلامية ظهورا أكثرها جمالا وأعظمها جلالا وأتمها نورا وكم من متأخر تقدم فضلا وعلا على الجوزاء محلا

أوما ترى ان النبى محمدا • فاق البرية وهو آخر مرسل

ولم تزل تزداد حسنا وتجلو عن قلب الملة المحمدية هما وحزنا وهى اليوم والحمد لله تعالى لا يحيط بوصف حسنها التحرير ولو أن كل نفس من أنفاسه كلام ولا يفى بعشار عشر حقها التحرير ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام فكم أذهبت عن هذه الاقطار الحزن وأزالت بنسائم مراحها عن سماء العراق سحائب المحن لا زالت شموس سلطنتها ما دام الدوران مضيئة وأفلاك شوكتها ما كر الجديدان عليه

آمين آمين لا أرضى بواحدة • حتى أزيد عليها ألف آمينا

وواسط بلد كان بين البصرة والكوفة أنشأه الحجاج كما سبق وتفصيل ذلك فى كتاب معجم البلدان وكان معمورا كثير المزارع والخيرات والقرى وقد نشأ فيها علماء أعلام وأجلاء عظام لا يحصون وممن نسب اليها خلف بن محمد بن على بن حمدون الواسطى الحافظ صاحب كتاب أطراف أحاديث صحيحى البخارى ومسلم حدث عن أحمد بن جعفر القطيعى والحسين بن أحمد المدينى وأبى بكر الاسماعيلى وغيرهم روى عنه الحاكم أبو عبد الله وأبو القاسم وأبو نعيم الاصبهانى وغيرهما وما أعذب قول الناظم سلمه الله تعالى

تذكرت أقمارا بابراج واسط • وعهد الاتابى بتلك المعاهد
فسلسلت سحبا من عيون أبية • على ذكر قومى واحدا بعد واحد
وأرسلت عين القلب تشهد حيهم • فسالت على أعيانه والمشاهد

وأنشد التنوخى لفضل الرقاشى فقال

ذكرت عيادتى ونسيت برى • وقدما كنت بى براحفيا
فما هذا التغافل يا ابن عيسى • أظنك صرت بعدى واسطيا

وأنشد أبو شجاع بن دواس القنا لنفسه فقال

يارب يوم مر بى فى واسط • جمع المسرة ليله ونهاره
مع أغيد خنث الدلال مهفهف • قد كاد يقطع خصره زناره
وقميص دجلة بالنسيم مفرك • سكر تحدر ذيوله أقطاره

وقال ابن الفتح المازنى الواسطى

عرج على غربى واسط اننى • دائى الدواء بها وفرط سقامى
وطنى وما قضيت فيه لبانتى • ورحلت عنه ما قضيت مرامى

وهذه البلدة اليوم بلاقع وتلول ورسوم وطلول تنعب فيها الغربان وتنفط فيها البوم على الجدران وتنوحها الحمام وتندبها الغيد والآرام

وأقوت عراص الانس منها كأنما • ألمت بها بعد الانيس الاوابد

والسبب فى ذلك أيضا نهر دجلة فانه كان يمر على واسط وبمرور الازمان تباعد فانقطعت الانهار المتشعبة منه فهى اليوم لا تجرى الا فى جداول الطروس ولا تشرب منها الا أفواه الاخبار

نعيم عافيه انطوى فهو ما ترى • أحاديث تجلوها على السمع أفواه

ونهر دجلة لا تنكر فضله غير أن مزيد قربه داء وبعده بلاء ومن الغريب ما نقل عن الامام أحمد رضى الله تعالى عنه انه كان يشرب من الآبار ولا يشرب من ماء دجلة ويقول انها تجور على أملاك الناس وتغصب أرضهم وكم غصبت أرض يتيم وروى عنه أيضا فى

تعليل ذلك أن أهل الدوالى يجرون منها الماء لزروعهم بالدلاء فاذا صب بالحوض يقع منه ما يقع وهو باق على ملك صاحبه ويمتزج بالماء المباح فتقع الشبهة وهذا من التورع بمكان والقول الاول هو المشهور عنه ولقد صدق رضى الله عنه فكم استولت على أرض وكم خربت ديارا وقد استولت على مرقده الشريف أيضا فى المقبرة الشونيزية وعدة مراقد معه كمرقد الشيخ عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره وغيره وقد شاهدناجورها مرارا وأعظم ما سمعناه من الثقات ما وقع سنة الف ومائتين وخمس وخمسين فان دجلة قد طغا ماؤها حتى تساوى من بغداد أرضها وسماؤها وغدت جدران بيوتها بين ساجد وراكع وخاضع وخاشع ومبطون أضرت به علة الاستسقاء ومحموم استلقى على ظهره يتفكر فى ملكوت السماء وباك قد استغرق بالبكاء ليله ونهاره وتفجرت منه العيون فتلاوات من الحجارة والملائكة تتعجب فى سمائها بغبار البيوت وتنادى يا أهل الارض عزاء فبيت العنكبوت كثير على من يموت وفى السنة الماضية قد اتفق ما هو قريب من ذلك نسأله تعالى أن يعصمنا وسائر الممالك ﴿والتململ﴾ التقلب وأراد به مطلق الوجود فى ذلك المحل وحاصل معنى البيت أن ما ذكرت من جليل المزايا والفضائل وجميل السجايا والشمائل قد هيجت على أشجانى وأضرمت نيران الاشواق فى قلبى وجنانى وشوقتنى لاستنشاق ريا ذلك السيد الاجل وزيارة مرقد ذلك المولى الاكمل ولولا عوارض الزمان لعفرت خدودى بأكسير ترابه وتمرغت بغبار على أعتابه وطرت اليه بجناح الاشواق ولم أبال بغصص الفراق فهل يا الهى تسعدنى بهذا المنى فأفوز بالسرور والهنا فانك على كل شئ قدير وبالاجابة جدير

ألا ليت شعرى هل تخبن ناقتى • ببيضاء نجد حيث كان مسيرها

فتلك بلاد حبب الله أهلها • الى وان لم يعط نصفا أميرها

بلاد بها أنضيت راحلة الصبا • ولانت لنا أيامها وشهورها

فقد نابها الهم المكدر شربه • ودار علينا بالنعيم سرورها

واعلم أن زيارة الاموات أمر ندب اليه الشرع والنهى عن زيارة القبور منسوخ فقد جاء كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة وكان ابن واسع يزور يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وصح بعضهم أن الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وصحح بعضهم أن الموتى يعلمون بذلك كل وقت ولها آداب منها أن الزائر يقرب من القبر قربه من صاحبه لو كان حيا وأن يسلم عليه بما ورد وأن يدعو له وفى قراءته بشئ من القرآن له خلاف وورد فى بعض الآثار قراءته سورة الاخلاص تسعا وسورة الملك ونص حجة الاسلام الغزالى على أنه ينبغى أن لا يمس القبر ولا يقبله فان ذلك عادة النصارى ونص غير واحد أن الطواف بقبور الاولياء أيضا مما لا ينبغى فانه لم يؤثر عن السلف الصالح وفى شد الرحال للزيارة خلاف قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى شرح صحيح البخارى فى باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ما نصه واختلف فى شد الرحال الى غيرها أى المساجد الثلاثة كالذهاب الى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا والى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها فقال الشيخ أبو محمد الجوينى يحرم شد الرحال الى غيرها عملا بظاهر قوله صلى

الله تعالى عليه وسلم لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومسجد الاقصى وأشار القاضى حسين الى اختياره وبه قال عياض وطائفة ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من انكار نضرة الغفارى على أبى هريرة خروجه الى الطور وقال له لو أدركتك قبل أن تخرج ما خرجت واستدل بهذا الحديث فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومه ووافقه أبو هريرة رضى الله تعالى عنه والصحيح عند امام الحرمين وغيره من الشافعية أنه لا يحرم وأجابوا عن الحديث بأجوبة الى آخر ما قال مما يطول ذكره وقد كثر فى هذه المسئلة التشاجر والتنازع والتخالف والتدافع مع أن المسئلة ليست من ضروريات الدين ولا هى من جملة عقائد المسلمين فكم مثلها فى كتب الفروع قد وقع من الفقهاء فيها المناقضات والمنوع ولم ينكر على من أخذ بأحد الوجوه أو قلد أحد الاجلة وان كثر مخالفوه والله الموفق للسداد وعليه التوكل والاعتماد وحسبنا الله ونعم الوكيل وفى البيت من أنواع المحاسن ما هو من قبيل الاستطراد وهو أن يكون الناظم فى غرض من أغراض الشعر يوهم انه مستمر فيه ثم يخرج منه الى غيره ثم يرجع الى الاول ويقطع الكلام فلا يكون المستطرد به آخر كلامه وهذا هو الفرق بينه وبين التخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان فى التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه والشواهد كثيرة فلا حاجة الى التطويل (قال الناظم) لا زال كما يود الودود تهابه ليوث الشرى والاسود

﴿ذاك غاب فيه توسد ليث • من على ليث الاله تنسل﴾

أقول (ذاك) قدمت الاشارة اليه واختاره الناظم هنا لما فيه من التعظيم كما فى ذلك الكتاب (والغاب) على ما فى الصحاح الآجام وهى الشجر الملتف والغابة الاجمة وكثيرا ما يضاف اليها الاسد فيقال أسد غابة وهو على ما قيل أبلغ فى المدح لان الاسد عند غابته أشجع منه عند غيرها أو لما فى الاضافة من الاشارة الى انه أسد لم يتخنث كالحيوانات الاهلية بالحضارة فان بعض الآساد تربى فى البلاد فتكون كنعامة فتخاء تخشى من صفير الهواء (والتوسد) الاتكاء والوسادة المخدة (والليث) اسم من أسماء الاسد الزائدة على ثلاثمائة اسم بكثير (وعلى) كرم الله تعالى وجهه هو رابع الخلفاء وقطب دائرة الاصفياء شفاء العلل والاسقام ومن لا تبلغ الى أدنى حضيض شامخ مجده هامات القلل ونهايات الاعلام

تجاوز قدر المدح حتى كأنه • بأحسن ما يثنى عليه يعاب

أسد الله تعالى الغالب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه وأرضاه ووالى فى الدارين من والاه وعادى من عاداه وشمائل هذا الامام وعلم الاعلام قد تعطرت الاكوان بنشر شذاها وتحلت المسامع والافواه بذكرها فهى حليها وحلواها ولا بد لنا أن نشرف هذا الكتاب بذكر نبذة من مزايا ذلك الجناب وأحسن ما رأيت مما اشتمل على شمائله ودرر محاسنه وفضائله قصيدة يقصر عن كعبها بردة المدح وتطول عن أن تنال أذيال حقائقها أيدى الشرح نظمها أديب عصره ونادرة دهره عبد الباقى أفندى العمرى الموصلى أحله الله تعالى من الغفران بمقام على وهى قوله مخاطباله

أنت العلى الذى فوق العلى رفعا • ببطن مكة وسط البيت اذ وضعا

وأنت حيدرة الغاب الذي اسد السبرج السماوي عنه خاسئا رجعا
وأنت باب تعالى شأن حارسه * بغير راحة روح القدس ما قرعا
وأنت ذاك البطين الممتلي حكما * معشارها فلك الافلاك ما وسعا
وأنت ذاك الهزبر الانزع البطل الذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وأنت يعسوب نحل المؤمنين الى * أي الجهات انتحى يلقاهم تبعا
وأنت نقطة باء مع توحدها * بها جميع الذي في الذكر قد جمعا
وأنت والحق يا أقضى الانام به * غدا على الحوض حقا تحشران معا
وأنت صنو نبي غير شرعته * للانبياء اله العرش ما شرعا
وأنت زوج ابنة الهادي الى سنن * من حاد عنه عداه الرشد فانخزعا
وأنت بالطبع سيف تارة عطبا * يشقي الثغور ويشفي مرة طبعا
وأنت غوث وغيث في ردى وندى * لخائف ولراج لاذ وانتجعا
وأنت ركن يجير المستجير به * وأنت حصن لمن من دهره فزعا
وأنت من بنداه عز من طمعا * وفي جدى من سواه ذل من قنعا
وأنت ذو منصل صل ينضنض في * غمد كلغد لمكر الكفر قد بلعا
وأنت عين يقين لم يزده به * كشف الغطاء يقينا أية قشعا
وأنت ذو حسب يعزى الى نسب * قد نيط في سبب أوج العلى فرعا
وأنت ضنضئ مجد في مدى أمد * قد فصل الدهر أوصالا وما انقطعا
وأنت من حمت الاسلام وفرته * ودرعت لبدتاه الدين فادرعا
وأنت من نجع الدين المبين به * ومن باولاده الاسلام قد نجعا
وانت انت الذي منه الوجود نضى * عمود صبح لبافوخ الدجى صدعا
وأنت أنت الذي حطت له قدم * في موضع يده الرحمن قد وضعا
وأنت أنت الذي للقبلتين مع النبي أول من صلى ومن ركعا
وأنت أنت الذي في نفس مضجعه * في ليل هجرته قد بات مضطجعا
وأنت أنت الذي آثاره ارتفعت * على الاثير وعنها قدره اتضعا
وأنت أنت الذي آثاره مسحت * هام الاثير فابدى رأسه الصلعا
وأنت أنت الذي يلقى الكتائب في * ثبات جاش له ثهلان قد خضعا
وأنت أنت الذي لله ما فعلا * وأنت أنت الذي لله ما صنعا
وأنت أنت الذي لله ما وصلا * وأنت أنت الذي لله ما قطعا
حكمت في الكفر سيفا لو هويت به * يوما على كتد الافلاك لانخلعا
محدب يتراءى في مقعره * موج يكاد على الآفاق أن يقعا
أسلت من غمده نارا مروقة * تجرع الكفر من راووقها جرعا
حكى الحمام حماما من حمائلك في * لسان نار على هاماتهم سجعا
غليله طالما أوردته علقا * يوم النهروان من نهر فما انتقعا
بذي فقارك عنا أي فاقرة * قصمتها ودفعت السوء فاندفعا

أراد سيفك في ليل العجاجة ان * يروي السنا عن لسان الصبح فاندلعا
عالجت بالبيض أمراض القلوب ولو * كان العلاج بغير البيض ما نجعا
والرعد قد ظن طرف البرق فيك كبا * لما أغرت على العليا فقال لعا
نبذت للشرك شلوا بالعراء لذا * عليه نسر من الخذلان قد وقعا
والليل لما تسمى كافرا بشبا * قرضاب بطشك قد غادرته قطعا
وباب خيبر لو كانت مسامره * كل الثوابت حتى القطب لانقلعا
بارثت شمس الضحى في جنة بزغت * في يوم بدر بزوغ البدر اذ سطعا
لله در فتى الفتيان مثلك فتى * ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا
لقد ترعرعت في حجر عليه لذي * حجر براهين تعظيم بها قطعا
ربيب طه حبيب الله أنت ومن * كان المربي له طه فقد برعا
رعاه مولاه من راع لامته * لجده وأبيك الحق فيك رعا
أخاك من عز قدرا أن يكون له * أخ سواك اذا داعي الاخاء دعا
سمتك أمك بنت الليث حيدرة * أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا
لك الكساء مع الهادي وبضعته * وقرتي ناظريه ابنيك قد جمعا
لئن توجع في يوم الطفوف لهم * فاسوى الله والله اشتكى الوجعا
قد خادعوا مثلك في صفين ذا كرم * ان الكريم اذا خادعته انخدعا
نهج البلاغة نهج عنك بلغنا * رشدا به اجتث عرق الغي فانقمعا
به دمغت لاهل البغي أدمغة * لنخوة الجهل قد كانت أشروعا
كم مصقع من خطاب قد صقعت به * فوق المنابر صقع الغدر فانصقعا
ما فرق الله شيأ في خليقته * من الفضائل الا عندك اجتمعا
أبا الحسين أنا حسان مدحك لا * أنفك أظهر في انشائه البدعا
وكل من راح للعلياء مبتكرا * جاء الثناء على علياه مخترعا
عذرا فقد ضقت ذرعا عن احاطته * وكلما ضقت عن تحديده اتسعا
وجوهر المدح في علياك رونقه * بلبة الدهر في لالائه نصعا
مدح لقد خضعت كل الحروف له * وكل صوت الى انشاده خشعا
به أساجل أقواما أجالهم * فيذهبون بتهذيبي له شيعا
مستنبط من قليب القلب ينضحه * فكر وهل تنزح الافكار ما نبعا
أوراقه مرتع الاحداق كم نضر * فيه لذي نظر للشعر قد رتعا
ربع ربيع المعاني في بطائحه * ترى لسائمة الافكار مرتبعا
في كل بيت قصيد من مقاصده * باب بمصرعه التخييل قد صرعا
ما زاده فكر ذي حدس مطالعة * الا وزاد كافكاري به ولعا
وما تعلق فيه طرف رامقه * الا وشاهد برقا ومضه لمعا
وما وعت مهجة أفلاذ جذوته * الا ومقباسها أثناءها لذعا
وما بكت مقلة من فيه قد ذكروا * الا سقت ما به تذكارهم زرعا

ومامنطى لاحقا فى اثره أحد * الاوعن شأوه فى عـدوه ضلعا
بسيط بجرله ثغر بعرشـفه * لابحرالسبع مأمون السجا كرعا
فاقبل فدتك نفوس العالمين ثنا * بمثله العالم العلوى ما سمعا
عليك أسنى سلام الله ماغربت * شمس وماقرمن أفقـه طلعا
وآلك الغرما ناحت مطوقة * من فوق غصن أسى فى حزنها ينعا

(والاله) من اله يأله الاهة عبد فالاله بمعنى المعبود مطلقا ثم خص بالمعبود الحق سبحانه وتعالى وقيل من اله أى تحير وتسميته تعالى بذلك لتحير العقول فى كنهه عزوجل ولهذا روى تفكروا فى آلاء الله ولا تتفكروا فى ذاته فانكم لن تقدروا قدره وقيل أصله ولاه فابدل من الواو همزة وتسميته تعالى بذلك لكون كل مخلوق والها نحوه امابالتسخير وحده أوبه وبالارادة معا وعلى هذا قول بعض الحكماء الله محبوب الاشياء كلها وقيل أصله من لاه يلوه ليها أى احتجب وتسميته عزوجل بذلك لاحتجابه سبحانه بحجاب الجلال عن ان يدرك على وجه الكمال وتمام الكلام فى تفسير الجد طيب ثراه وقد ذكرت فوائد جليلة تتعلق به أيضا فى كنز السعادة (والتنسل) التولد وفى البيت الاستعارة كما ظهر بادنى تامل وفيه التشبيه البليغ وذلك فى قوله ذاك غاب وقوله من على ليث الاله الخ ولننبهك على فائدة فى هذا المقام وهى لعمرى مما يتنافس بها ذووا الافهام فنقول اعلم ان العلامة الثانى السعد التفتازانى قال فى التلويح انه ليس فى مثل زيد أسد استعارة بل الكلام على التشبيه وأنه يجب أن يحمل على حذف أداته لامتناع حمل زيد على الاسد انتهى وأقول ان أراد امتناع الحمل الحقيقى فسلم لكنه غير مفيد أو مطلقا فممنوع لجواز الحمل بناء على المبالغة قال ابن مالك فى شرح كافيته اذا أشرت الى رجل وقلت هذا أسد كان فيه ثلاثة أوجه أحدها تنزيله منزلة الاسد مبالغة دون التفات الى تشبيه كقول الشاعر

لسان الفتى سبع عليه شذاته * فان لم يزع من غربه فهو آكله

والثانى أن يقصد التشبيه فتقدر مثلا مضافا اليه ففى هذين الوجهين لاضمير فى أسد والثالث أن تؤول لفظ أسد بصفة وافية بمعنى الاسدية كالشجاعة وتجريه مجرى ما أولته به فتحمله ضميرا وترفع به ظاهرا ان جرى على غير ماهو له انتهى فقد صرح بصحة الحمل دون تقدير أوتأويل ثم المستفاد من كلامه وهو الحق ان اطلاق القول فى نحو زيد أسد انه استعارة أوتشبيه غير صواب وانما الصواب التفصيل بان يقال ان هنالك ثلاثة أوجه فعلى الاول لااستعارة ولا تشبيه وانما المجاز فى الحمل وهو مجاز عقلى وتخصيص البيانيين اياه باسناد فعل أومافى معناه مما لادليل لهم عليه بل ينافيه قولهم فى الاستعارة التخييلية كما فى أظفار المنية ان المجاز فى الاثبات فتأمل وعلى الثانى هو تشبيه لان المقدر كالمذكور وان كان التشبيه مع الحذف أبلغ وعلى الثالث استعارة وفى دلائل الاعجاز للامام الشيخ عبد القاهر رحمه الله تعالى كلام بديع يتعلق بهذا المقام وماذكرناه كاف لذوى الافهام فاحفظ ذلك والله تعالى يتولى هداك (وحاصل معنى البيت) ان ذلك المرقد المبارك الذى تمنيت زيارته من الله تعالى وتبارك هو مرقد بطل الابطال وغاب الاسد الذى زعزع بغلبه الشرك والضلال بل الغضنفر الذى يفر منه الاسد ويرى منه الموت الاحمر والاسود كيف لاوقد تنسل من

أسد الله تعالى الغالب ومظهر العجائب والغرائب والشبل فى المخبر مثل الاسد كما هو المعلوم لدى كل أحد وكون السيد أحمد رضى الله تعالى عنه قد تفرع من هذه الشجرة المباركة ثابت بعد الادلة القاطعة الشرعية بما من الله عليه به من السيرة المحمدية والاخلاق النبوية وقد يستلفتك الى طالع الصباح سناه ويدلك على الخزامى طيب ريحها وعلى المسك رياه وقيل كان رضى الله تعالى عنه محبوك الطرفين ولقد طابق شرفه فى نفسه شرف الجدين فلا بد أن نال بيد مجده الثريا وتفيأ فى الشرف مكانا عليا

من عذرمن ضربت به أعراقه * حتى بلغن الى النبى محمد
أن لا يمد الى المكارم باعه * وينال غايات العلا والسودد
مترقيا حتى تكون ذيوله * أبد الزمان عمائما للفرقد

واعلم ان كلا من آبائه الكرام هو فى حلبة الفضل والعرفان امام

سراة يقر الحاسدون بفضلهم * كرام السجايا والعلا والمناسب
اذا جلسوا كانوا صدور مجالس * وان ركبوا كانوا صدور مواكب
أسود تغنت بالقنا عن عريسها * وبالبيض عن أنيابها والمخالب
يجودون للراجى بكل نفيسة * لديهم سوى أعراضهم والمناقب
اذا نزلوا بطن الوهاد لغامض * من القصد أذكوا نارهم بالمناكب
وان ذكروا غب الطعان رماحهم * رأيت رؤس الاسد فوق الثعالب

وفى البيت من المحاسن التشبيه البليغ والاستعارة وقد سبق ذكرهما وفيه أيضا شبه الاطراد فان الاطراد فى الاصطلاح أن يذكر الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه فى بيت واحد على الترتيب ولا يخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف فى بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم فى سهولة جريانه واطراده كجريان الماء فى اطراده فتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه فمن ذلك قول بعض الادباء مؤيد الدين أبو جعفر * محمد بن العلقمى الوزير وقول الآخر عبد العظيم الزكى ابن أبى الاصبع رب القريض والخطب الى غير ذلك مما هو مذكور فى محله وماذكرنا كاف فى المراد والله أعلم قال الناظم لازال قطبا تدور عليه رحى العرفان

﴿علم الشرق قطب دائرة الصد * ق منبع الحمى الامام المفضل﴾

أقول العلم يراد به هنا سيد القوم ويطلق أيضا على الفصل بين الارضين ومنصوب فى الطريق يهتدى به والجبل الطويل أوعام جمعه أعلام وعلام ورسم الثوب ورقمه والراية وما يعقد على الرمح ويصح أن يحمل هنا على بعض هذه المعانى غير انه يحتاج الى نوع عناية وقد يفرق بين العلم والراية بما هو مذكور فى بلوغ الارب وقد بسطت القول فيه هنالك فليراجع والشرق هنا أحد الجهات الست وهو معلوم وكونها ستا مبنى على ماهو المشهور وسبب الشهرة أمران عامى وخاصى أما العامى فهو أن الانسان يحيط به الجنبان عليهما اليدان وظهر وبطن ورأس وقدم فالجانب الذى هو الاقوى فى الغالب يسمى يمينا ومقابله يسارا وما يحاذى وجهه قداما ومقابله خلفا وما يلى رأسه بالطبع فوقا ومقابله تحتا ولما لم يكن عندهم سوى ماذكرت وقفت أوهامهم على هذه الجهات الست واعتبروها فى سائر الحيوانات

أيضا لكنهم جعلوا الفوق مايلى ظهورها بالطبع والتحت مايقابله ثم عمموا اعتبارها فى سائر الاجسام وان لم يكن لها أجزاء متمايزة على الوجه المذكور وأما الخاصى فهو ان الجسم يمكن أن يفرض فيه أبعاد ثلاثة متقاطعة على زوايا قوائم ولكل بعد منها طرفان فلكل جسم جهات ست الا أن امتياز بعضها عن بعض يتوقف على اعتبار الاجزاء المتميزة فى الجسم فطرفا الامتداد الطولى يسميهما الانسان باعتبار طول قامته حين هو قائم بالفوق والتحت وطرفا الامتداد العرضى يسميهما باعتبار عرض قامته باليمين والشمال وطرفا الامتداد العمق يسميهما باعتبار ثخن قامته بالقدام والخلف فالاعتبار الخاصى يشتمل على الاعتبار العامى مع زيادة هى تقاطع الابعاد على قوائم ولاشك أن العامة غافلون عنها وان أمكن تطبيق اعتبارهم عليها وأنت تعلم أن قيام بعض الامتدادات على بعض مما لا يجب فى اعتبار الجهات واذا لم يعتبر كانت الجهات غير متناهية لامكان أن يفرض فى جسم واحد بل بالقياس الى نقطة واحدة امتدادات غير متناهية انتهى وهذا بحث استطرادى اقتضاه كون الشرق يطلق عليه احدى الجهات والمشرق موضع شروق الشمس وطلوعها ويوحد فيراد به الجنس ويثنى فيراد به مشرق الصيف ومشرق الشتاء ويجمع فيراد به مشرق كل يوم وكذا المغرب وعلى هذه الانحاء الثلاثة ورد فى القرآن وقد اعتبر علماء الهند مبدأ طول العمارة من موضع كنك دز وهو آخر العمارة فى جهة الشرق على زعمهم وحكى أن أرصادهم كانت هناك وذلك اما لقربه منهم واما ليكون ازدياد الطول فى جهة الحركة الاولى وأما المعتبرون من أصحاب الصناعة وهم اليونانيون فقد اعتبروا المبدأ من المغرب اما لانه أقرب نهايتى العمارة اليهم وكان حالهم محققة عندهم واما ليكون ازدياد عدد الطول على توالى البروج وتابعهم الجمهور فيه الا أن بعضهم كالمتأخرين ومن تابعهم يأخذه من ساحل البحر المحيط الغربى المسمى عندهم أوقيانوس لكونه آخر العمارة فى جهة الغرب فى زمانهم وبعضهم كبطلميوس وغيره من المتقدمين وتابعيهم من جزائر ست مسماة بجزائر الخالدات وجزائر السعداء وبعدها عن موضع كنك دز مائة وثمانون درجة وقد كانت فى القديم معمورة والآن مغمورة فى الماء ولذلك تقيد الاطوال الموضوعة فى الكتب بانها جزائرية أوساحلية دفعا للالتباس وتختلف القسمة لان طولها تسعون درجة أبدا وتمام الكلام يطلب من محله وقد ذكرت فى ترجمة رسالة القوشجى فى الهيئة نبذة مفيدة من ذلك (والقطب) العمود الذى تدور عليه الرحى وفيه ثلاث لغات قطب وقطب وقطب بتثليث القاف ويقال فلان قطب بنى فلان أى سيدهم الذى يدور عليه أمرهم وعند أهل الهيئة جزء من الفلك لا يتحرك اذا تحرك الفلك على نفسه وأنت تعلم أن الكرة اذا تحركت على نفسها لا تتحرك نقطتان منها أصلا وهاتان النقطتان هما قطباها فللفلك قطبان أحدهما شمالى والآخر جنوبى واشتهر القطب الشمالى بكوكب قريب جدا من هاتيك النقطة وهو آخر بنات نعش الصغرى ويقابله على ماقيل فى جهة الجنوب كوكب آخر عند سهيل وهو أبدى الخفاء بالنسبة الى أكثر الآفاق المعمورة كما أن القطب الشمالى أبدى الظهور بالنسبة الى أكثرها أيضا وربما يكون فوق الرأس والقطب الجنوبى تحت القدم وذلك فى عرض تسعين وهناك الدور رحوى لاحمائلى كما فى أكثر المعمورة ولا دولابى كما عند خط الاستواء وقطب

الدائرة كما قال السيد السند قدس سره الخط المستقيم الواصل من جانب الدائرة الى الجانب الآخر بحيث يكون وسطه واقعا على المركز والقطب عند السادة الصوفية هو الواحد الذى هو فى موضع نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام قد حصل له الكمال الانسانى والمقام الرحمانى وله خمسة أعمال ظاهرة يقوم الليل ويصوم ويفطر ويجاهد هواه ويأكل الحلال وستة باطنة الفناء والبقاء والمعرفة والتجريد والتحقيق والاحاطة وفى الفتح المكى

منزلة القطب والامامه • منزلة مالها علامه
يملكها واحد تعالى • عن صفة السير والاقامه
يعلوه فى لونه اصفرار • فى أعين الخلد منه شامه
حقيقة مالها نبوه • أيده الله بالسلامه

قيل لا يكون القطب فى كل زمان الا واحدا وهو الغوث (والدائرة) فى اللغة ما أحاط بالشئ وفى الاصطلاح سطح مستو يحيط به خط مستدير فى داخله نقطة تكون جميع الخطوط المستقيمة الخارجة منها اليه متساوية وذلك الخط محيطها وتلك النقطة مركزها والخطوط الخارجة من نقطة المركز الى المحيط أنصاف أقطارها والخط المستقيم الخارج منها الى المحيط فى الجهتين قطرها ثم انها قد تطلق ويراد بها الخط المستدير المحيط بالسطح المذكور تجوزا ثم اعلم أن الحساب لاحتياجهم الى تقدير الدوائر وأقطارها فى تعرف المطالب الفلكية وغيرها جرت عادتهم على تجزئة الدوائر بثلثمائة وستين جزأ لانه أقل عدد يصح منه ماعدا السبع من الكسور التسعة التى هى من النصف الى العشر المسماة بروس الكسور وفيه سهل بذلك الاعمال الحسابية وتجزئة القطر بمائة وعشرين جزأ وان كان الواجب تجزئته بمائة وأربعة عشر جزأ وكسر غير منطق بناء على ما بينه ارشميدس أن محيط كل دائرة ثلاثة أمثال قطره ومثل سبعه فنسبته اليه كنسبة اثنين وعشرين الى سبعة وانما فعلوا ذلك جبرا للكسر وتسهيلا للحساب ثم تجزئة كل جزء من أجزاء الدائرة وأجزاء قطرها الى ستين دقيقة وتجزئة كل دقيقة الى ستين ثانية وتجزئة كل ثانية الى ستين ثالثة وهكذا الى الروابع وغيرها مما يمكن اعتباره وحيث كان الدور كله ثلثمائة وستين جزأ يكون ربع الدور تسعين جزأ ويسمى قوسا تامة وكل قوس أقل منه كخمسين مثلا فتمامه ما بقى من الربع بعد نقصانها عنه كالاربعين فى مثالنا وكان المراد بها هنا أصحاب الصدق واخوان الصفاء الذين لم يعدهم الحق الاغر بل قد أحاطوا به احاطة الهالة بالقمر (والصدق) بالكسر والفتح ضد الكذب كالمصدوقة أو بالفتح مصدر وبالكسر اسم وفسروا الصدق بمطابقة النسبة للواقع والكذب بعدمها وقيل مطابقتها للاعتقاد وعدمها بدليل ان المنافقين لكاذبون ورد بان المعنى لكاذبون فى الشهادة أو فى تسميتها أو فى المشهود به على زعمهم أو من شأنهم الكذب وان لم يكن فى هذا الخبر أو غير ذلك وفى المطول وحواشيه مما يتعلق بهذا المقام ما يشفى العليل ويروى الغليل فعليك به (ومنيع الحمى) كناية عن العزة والسيادة وكان من عوائد العرب فى الجاهلية أن يتفرد العزيز منهم بالحمى لنفسه وهو محل يحمى أى يمنع من الوصول اليه لنبت الكلا ورعى المواشى كالذى كان يفعله كليب بن وائل فانه كان

يوافى بكلب على نشاز (١) من الارض ثم يستعديه ويحمى ماانتهى اليه عواؤه من كل الجهات ويشارك الناس فيماعداه حتى كان ذلك سبب قتله وفيه يقول العباس بن مرداس من قصيدة

كما كان يبغيها كليب بظلمه • من العز حتى طاح وهو قتيلها
على وائل اذ يترك الكلب نابحا • واذ يمنع الافناء منها حلولها

وقد أبطل الشرع مثل ذلك وتمام الكلام فى كتابى بلوغ الارب فى معرفة أحوال العرب وحاصل معنى البيت أن ذلك الاسد والبطل الذى لا يقاومه أحد هو سيد أهل الشرق وشيخ أرباب الجمع والفرق اليه مرجعهم ومهيعهم ومنه موردهم ومصدرهم به تأتم الهداة واليه تنتهى المكرمات وعنه تروى الرواة قطب فلك الصدق ومركز دائرة الحق عليه تدور رحى العرفان وبه تشرق شموس أسرار حقائق الاكوان فالكل يدورون حوله ولا يصلون محله فهيهات أن يدرك شأواه وان يبلغ علاه اذ هو السابق الذى لا يشق له غبار والمحرز لقصبات السبق فى ذلك المضمار والامام المفضل والكامل المكمل رضى الله تعالى عنه وأرضاه ومتعنا يوم القيامة برؤياه وفى البيت من المحاسن البديعية مراعاة النظير وهو أن يجمع الناظم أو الناثر أمرا ومايناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة كقول البحترى كالقسى المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار فانه لماشبه الابل بالقسى وأراد أن يكرر التشبيه كان يمكنه أن يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى وما أطرف قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده • واذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله تعالى عليه وسلم

أنتم بنو طه ونون والضحى • وبنو تبارك فى الكتاب المحكم
وبنو الاباطح والمشاعر والصفا • والركن والبيت العتيق وزمزم

فقد أتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية وما أحسن قول السلامى

والنقع ثوب بالسيوف مطرز • والارض فرش بالجياد مخمل
وسطور خيلك انما ألفاتها • سمر تنقط بالدما وتشكل

ومثله قول أبى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها • وبالطوال الردينيات فافتخر
فهن أقلامك اللاتى اذا كتبت • مجدا أتت بمداد من دم هدر

وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل أجوب جيوبه • كأنى فى عين الردى أبدا كحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا • كأنا له شرب كأن المنى نقل
كأنا جياع والمطى لنا فم • كأن الفلا زاد كأن السرى أكل
كأن ينابيع الثرى ثدى مرضع • وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل
كأنا على أرجوحة فى مسيرنا • لغور بنا تهدى ونجد بنا تعلو

(١) أى مكان مرتفع

ومنها

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

كأنى فى قوس لسانى له يد • مديحى له فرع به أملى نبل
كأن دواتى مطفل حبشية • بنانى لها بعل ونقشى لها نسل
كأن يدى فى الطرس غواص لجة • له كلمى دربه قيمتى تغلو

الى امثال ذلك مما لا يسعه المقام من منثور بديع ورشيق نظام وفى البيت أيضا التورية وفيه غير ذلك وفيما ذكرنا الكفاية قال الناظم لازال مفتحة له أبواب الوصال بسيد الانبياء وآله خير آل

﴿باب وصل بفضله لابيه • سيد الانبيا الاولى يتوصل﴾

أقول (الباب) أصله بوب وجاءت الالف من التحرك والفتح ويقال لمدخل الشئ وأصله مدخل الامكنة كباب المدينة والدار والبيت وجمعه أبواب وبيبان وأبوبة نادر وحسنته المشاكلة فى قوله

هتاك أخبية ولاج أبوبة • يخالط البرمنه الجد واللينا

وقد يرتكب اهمالا لا يحسن ارتكابه بدونه كما فى ارجعن مأزورات غير مأجورات وسلاسلا وأغلالا وقوله

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه • قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

وربما قيل هذا من بابة كذا أى مما يصلح له ويجمع على بابات وأبواب الجنة وأبواب النار عبارة عن فرج يدخل منها اليهما وزعم بعضهم ان المراد بها الاسباب التى يتوصل بها اليهما ولا داعى للعدول عن الظاهر مع امكانه واخبار الصادق به على ان فى الاخبار الصحيحة ما يأبى هذا التأويل واطلاق الباب على ما كان على الفرجة من المصنوع من خشب ونحوه حقيقة عرفية فاعرفه ومما ورد فى فضائل أمير المؤمنين على كرم الله تعالى وجهه ما روى من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم انا مدينة العلم وعلى بابها وهو حديث مشهور بين الناس حتى صار الباب لقباله رضى الله تعالى عنه كما يدل عليه فليأت الباب لكن قال فى تمييز الطيب من الخبيث انه رواه الحاكم فى المناقب من مستدركه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بهذا اللفظ مرفوعا والترمذى فى المناقب من جامعه عن على كرم الله تعالى وجهه بمعناه مرفوعا وقال انه منكر وكذا قال البخارى وقال انه ليس له وجه صحيح وقال ابن معين أى فيما حكاه الخطيب فى تاريخ بغداد انه كذب لا أصل له ورواه ابن الجوزى فى الموضوعات ووافقه الذهبى وغيره على ذلك وقال ابن دقيق العيد هذا الحديث لم يثبتوه وقيل انه باطل انتهى قال الجد طيب الله تعالى ثراه متعقبا ان هذا الحديث قد أخرجه جماعة وسكتوا عليه منهم الطبرانى فى معجمه الكبير وأبو الشيخ بن حسان فى السنة له وغيرهما وكلهم من حديث أبى معاوية الضرير عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعا بزيادة فمن أتى العلم فليأت الباب وأخرجه أبو نعيم فى الحلية من حديث على كرم الله تعالى وجهه عنه مرفوعا وذكر العلائى ان أبا معاوية فى سند الاولين ثقة حافظ محتج بافراده كابن عيينة وغيره ثم قال فمن حكم على الحديث مع ذلك بالكذب فقد أخطأ وليس هو من الالفاظ المنكرة التى تأباها العقول ثم ذكر ما يشهد له كحديث أبى ذر رضى الله تعالى عنه يرفعه على باب علمى الحديث وحديث ابن عباس يرفعه أيضا انا ميزان العلم وعلى كفتاه الحديث وهو حديث حسن كما قال السخاوى فى المقاصد الحسنة ثم أنت تعلم انه على تقدير عدم الثبوت أو كون على فيه وصفا لا علما كما زعم بعض النواصب لا ينقص من قدر الامير شئ لصحة ما لا يكاد ان يحصى من الاحاديث الدالة على فضله ومزيد علمه والعيان من أعظم الشهود على ذلك

وهبنى قلت هذا الصبح ليل • أيعمى العالمون عن الضياء

انتهى بقى ههنا شئ وهو ان الروافض يزعمون ان هذا الحديث من جملة الادلة الدالة على كون الامير كرم الله تعالى وجهه الخليفة بلا فصل وأنت تعلم انه لا مساس له فى ذلك وقد ذكرت ذلك مفصلا فى مختصر التحفة الاثنى عشرية والسيوف المشرقة فلا حاجة الى التطويل فى مثل هذا المقام واعلم ان الباب قد شاع فى زماننا لقبا لزعيم الفرقة البابية احدى فرق الروافض المستحدثة وما أحسن ما قيل

لا يفيد الثرى حروف الثريا • رفعة أو ينالها استعلاء

وأين المسيح الدجال من مسيح الهدى والكمال والباب عند هؤلاء الفرقة واحد الابواب وهم أحد الاقسام السبعة لمن لابد منه فى بناء المذهب الاول الامام الذى يصل اليه علم الغيب بلا واسطة الثانى الحجة الذى يقرر علم الامام على وفق مذاق المخاطبين وقدر عقولهم وفهومهم بالبرهان والخطابة الثالث ذو المصة الذى يمتص العلم من ثدى الحجة الرابع الابواب ويقال لهم الدعاة ولهم مراتب وأكبرهم من يرفع درجات المؤمنين عند الامام والحجة وهذا الاكبر هو رابع السبعة الخامس الداعى المأذون الذى يأخذ العهود والمواثيق من الناس ويفتح للطالب باب العلم والمعرفة السادس المكلب الذى شأنه البحث والاحتجاج والترغيب فى صحبة الداعى وليس له الاذن بالدعوة وسمى بذلك على التشبيه بالكلب المعلم السابع المؤمن المتبع الذى يؤمن بالامام بسعى المكلب وقد أظهر هذا الباب شنائع كثيرة منها زعم ارتفاع فرضية الصلوات الخمس وان سترفع فرضية الحج وانه يوحى اليه وألف كتابا زعم انه تفسير سورة يوسف مع انه ليس فيه تفسير شئ من آياتها وقد حشاه هذيانات وحرف فيه آيات وزعم التحدى به وذكر فيه انه يحرم كتابته بالحبر الاسود المعروف وانه يحرم مسه لغير متطهر الى أمور أخر شنيعة ينكرها عليه سائر الشيعة وقد أظهروا فى العراق مفاسد كثيرة ففرقتهم أيادى الحكومة وشتت شملهم وقد بقى منهم اليوم بقايا طهر الله تعالى الارض منهم وممن هو على شاكلتهم من المبتدعين وتمام الكلام على هذه الفرقة وغيرها من الفرق المحدثة فى مختصر التحفة ﴿والوصل﴾ كالوصال ضد الهجر ويطلق الوصال على عدم الفطر ليلا ولله در من قال

بليت به فقيها ذا جدال • يجادل بالدليل وبالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو • فقال نهى النبى عن الوصال

ومثل هذا ما لبعضهم فى مليح اسمه رمضان

رمضان قد جئته رمضانا • وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت صلنى فقال وهو مجيب • لا يجوز الوصال فى رمضان

وعند السادة الصوفية قدس الله تعالى أسرارهم هو الرؤية والمشاهدة التى لا تحصل الا بمتابعة الصراط المستقيم والدين الحنيفى القويم وحمل القالب على المجاهدة والنفس على الرياضة والقلب على المراقبة والسر على السير والروح على طلب المحبوب الى ان يصل الى سر الروح وهو الخفاء ويصل الى علم الحقيقة فان الخفاء عالمها فاذا اطلع السر على الحقيقة اطلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة السر لان السر سراج النفس والقلب والعقل

به يبصرون الحقيقة وهذا فى مبادى الحال فاذا تمكن المريد من الحقيقة وترافع فى المراقى تقدم النفس على السر والروح والخفاء وصار أقوى وألطف من السر والروح فيكون النفس والقلب والعقل فى باطن البدن ويكون شعاعه فى أعلى عليين فى عالم الجبروت لا يصل اليه الملائكة المقربون (والفضل) تقدم (والاب) يقال فى تثنيته أبوان اذ اصله أبو بالتحريك وبعض العرب يقول أبان ويقال فى الجمع آباء وأبون وفى الفعل أبيت وأبوت أى صرت أبا وأبوته اباوة بالكسر اذا صرت له أبا وتأباه أى اتخذه أبا والاسم الابوة وهو من الاسماء الخمسة المعربة بالاحرف الثلاثة بالشروط المعروفة والعلة فى ذلك معروفة فى محلها وقد يلزم الالف كقوله

ان أباها وأبا أباها • قد بلغا فى المجد غايتاها

وقد تظهر الحركة فيه كقوله

بابه اقتدى عدى فى الكرم • ومن يشابه أبه فما ظلم

وقد يطلق الاب على العم ومنه قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقوله سبحانه واذ قال ابراهيم لابيه آزر على قول (والسيد) تقدم معناه (والانبياء) جمع نبى وقد سبق الفرق بينه وبين الرسول معنى وعدد الانبياء وهو من النبوة أى الرفعة لارتفاع قدره على من عداه ممن ليس نبيا أو من النبأ بالهمز وعدمه أى الخبر وهو اما مصدر المبنى للمفعول وهو ظاهر أو مصدر المبنى للفاعل وفيه نوع خفاء يزول بادنى التفات وقد جوز الامران فيما قيل ومقتضى ما ذكر صحة نبئ بالهمز وبذلك قرأه قالون حيث وقع الا فى موضعين من سورة الاحزاب فى قوله عز وجل لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم وقوله سبحانه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان فانه أبدل الهمزة ياء فى الوصل وهمزها فى الوقف كما يفهم من كلام الشاطبى وصرح به غيره ووجه الابدال فى الوصل اجتماع همزتين وعدمه فى الوقف الرجوع الى الاصل لعدم السبب فيه وانما لم يسهلها كما سهل غيرها لانه لما رأى الابدال هنا جاريا على القياس رجحه لموافقته لغيره ولانه أفصح من التسهيل ولذلك أنكر على من قال يا نبئ الله ونظم ذلك الشهاب الخفاجى وادعى انه مما لا غبار عليه فقال

هو النبى لقالون كما نقلا • فى غير موضعى الاحزاب ان وصلا
لا الوقف اذ لم يكن فيه له سبب • يجمع همزين حتى يوجب البدلا
موافقا لسواه فهو أرجح من • تسهيلها ولهذا عنه قد عدلا

والمشهور ان حديث النهى عن ان يقال يا نبئ الله منسوخ ولم يكن ذلك لمثل ما يقتبس من كلام الشهاب بل لان النبئ يستعمل بمعنى الطريد وقرر بعضهم ان القراءة مطلقا لا تحل الا بتوقيف والنبى الابراهيمى هو الامام فيها لا القواعد فالدعوى أشبه شئ بالزعم (والاولى) تأنيث الاول باعتبار الجماعة لتقدمهم بالزمان ظاهرا والصفة واقعية لا للاحتراز وحاصل معنى البيت ان هذا السيد السند المكرم والمرشد المبتهج بتقبيل يد جده صلى الله عليه وسلم هو واسطة نيل الآمال وباب حرم الوصال من سلك فى طريقه وصل ومن حاد عن منهجه ضل وبفضله يتوصل الى معرفة هدى جده سيد الانبياء وبعرفانه تدرك أسرار دقائق الشريعة الغراء فياله من شيخ ما أعظم قدره وما أدق سره وقد تحلى بحليتى الفضل والفضيلة وتجمل بحلتى شرف النفس وعلو درجة الفضيلة وهكذا فلتكن الشيوخ وأهل الارشاد والرسوخ فعليك أيها الاخ بطريقته ولزوم جادته وسيرته

على نفسه فليبك من ضاع عمره • وليس له منها نصيب ولا سهم

واعلم ان ههنا أمرين يجب التنبيه عليهما (الاول) ان كون سيد الانبياء صلى الله تعالى عليه وسلم أبا لهذا الولي الجليل مبني على ماورد من قوله صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الحسنين ان ابنيّ هذين ريحانتاي من الدنيا وعن أبي نعيم في الحلية ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في ظهر علي بن أبي طالب أي أولاده من فاطمة دون غيرها فمن خصائصه صلى الله تعالى عليه وسلم ان أولاد بناته ينتسبون اليه وأخرج الطبراني مثله وقد سبق ان نسب الممدوح المبارك ينتهي الى سيد الشهداء الامام الحسين رضي الله تعالى عنه وابن الابن ابن كما لا يخفى على الخبير ولا ينافي ماذكر قوله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين لكون الابوة المنفية الابوة الحقيقية وتحقيق الكلام في هذا المقام ماذكره العلامة الجد طيب الله تعالى ثراه في تفسير هذه الآية الكريمة فقد قال هذا رد لمنشا خشيته صلى الله تعالى عليه وسلم الناس المعاتب عليها بقوله تعالى وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه وهو قولهم ان محمدا عليه الصلاة والسلام تزوج زوجة ابنه زيد بنفي كون زيد ابنه الذي يحرم نكاح زوجته عليه صلى الله تعالى عليه وسلم على أبلغ وجه كما ستعرفه قريبا ان شاء الله تعالى والرجال جمع رجل بضم الجيم كما هو المشهور وسكونه وهو على ما في القاموس الذكر اذا احتلم وشب أو هو رجل ساعة يولد وفي بعض ظواهر الآيات والاخبار ما هو مؤيد للثاني نحو قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وقوله سبحانه وان كان رجل يورث كلالة ونحو قوله عليه الصلاة والسلام فلاولى رجل ذكر والبحث الذي ذكره بعض أجلة المتأخرين فيما ذكر من الامثلة لا يدفع كون الظاهر منها ذلك عند المصنف وقد يذكر لتأييد الاول قوله تعالى والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان فان الرجال فيه للبالغين وفيه بحث نعم ظاهر كلام الزمخشري وهو امام له قدم راسخة في اللغة وغيرها من العلوم العربية يدل على ان الرجل هو الذكر البالغ وأياما كان فاضافة رجال الى ضمير المخاطبين باعتبار الولاد فان أريد بالرجال الذكور البالغون فالمعنى ما كان محمد ابا أحد من أبنائكم أيها الناس الذكور البالغين الذين ولدتموهم وان أريد بهم الذكور مطلقا فالمعنى ما كان محمد ابا أحد من أبنائكم الذين ولدتموهم مطلقا كبارا كانوا أو صغارا والاب حقيقة لغوية في الوالد على ما يفهم من كلام كثير من اللغويين والمراد بالابوة المنفية هنا الابوة الحقيقية الشرعية التي يترتب عليها أحكام الابوة الحقيقية اللغوية من الارث ووجوب النفقة وحرمة المصاهرة سواء كانت بالولادة أو بالرضاع أو بتبني من يولد مثله لمثله وهو مجهول النسب فحيث نفى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أبا أحد من رجالهم باي طريق كانت الابوة ومن المعلوم ان زيدا أحد من رجالهم تحقق نفي كونه عليه الصلاة والسلام أباله مطلقا اما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس أباله بالولادة فمما لا نزاع فيه ولم يتوهم أحد خلافه ومثله كونه عليه الصلاة والسلام ليس أباله بالرضاع وأما كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس أباله بالتبني مع تحقق تبنيه عليه الصلاة والسلام فلان الابوة بالتبني التي نفيت انما هي الابوة الحقيقية الشرعية وما كان من التبني يستتبعها لتوقفها شرعا على شرائط منها كون المتبنى مجهول

النسب وذلك منتف في زيد فقد كان معروف النسب فيما بينهم وانه ابن حارثة وتعميم نفي أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم بحيث يعم نفي الابوة بالولادة والابوة بالرضاع والابوة بالتبني مع انه لا كلام في انتفاء الاولين وانما الكلام في انتفاء الاخيرة فقط اذ هي التي يزعمها من يقول تزوج محمد عليه الصلاة والسلام زوجة ابنه للمبالغة في نفي الابوة بالتبني التي زعموا ترتب أحكام الابوة الحقيقية عليها بنظم ما خفي في سلك ما لا خفاء فيه أصلا ولعل هذا هو السر في قوله سبحانه ما كان محمد أبا أحد من رجالكم دون ما كان محمد ابا أحد من الرجال أو ما كان محمد ابا أحد منكم ولعله لهذا أيضا صرح بنفي أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم له عليه الصلاة والسلام ولم يعكس الحال بان يصرح بنفي أبوة أحد من رجالهم له عليه الصلاة والسلام ليعلم نفي أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم ويؤتى بما بعد على وجه ينتظم مع ما قبل وبحمل الابوة المنفية على الابوة الحقيقية الشرعية ينحل الاشكال في الآية وهو ان سياقها لنفي أبوته عليه الصلاة والسلام لزيد ليرد به على من يعترض على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بتزوجه مطلقته فان أريد بالابوة الابوة الحقيقية اللغوية وهي ما يكون بالولادة لم يلائم السياق ولم يحصل بها الرد مع انه هو المقصود اذ لم يكن أحد يزعم ويتوهم انه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أبا زيد مجازا لتبنيه اياه ولم يزل زيد يدعى بابن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم فدعوه حينئذ بابن حارثة ووجه انحلاله بما ذكرنا من أن المراد بالابوة الابوة الحقيقية الشرعية ان هذه الابوة تكون بالولادة وبالرضاع وبالتبني بشرطه وهي بانواعها غير متحققة في زيد أما عدم تحققها بالنوعين الاولين فقط فظاهر وأما عدم تحققها بالنوع الاخير فلان التبني وان وقع الا ان شرطه الذي يستتبع الابوة الحقيقية الشرعية مفقود كما علمت ويجعل اضافة الرجال الى ضمير المخاطبين باعتبار الولاد يندفع استشكال النفي المذكور بانه عليه الصلاة والسلام قد ولد له عدة ذكور فكيف يصح النفي لان من ولد له عليه الصلاة والسلام ليس مضافا للمخاطبين باعتبار الولادة بل هو مضاف اليه صلى الله تعالى عليه وسلم باعتباره ومن خص الرجال بالبالغين قال لا ينتقض العموم بذلك لان جميع من ولد له عليه الصلاة والسلام مات صغيرا ولم يبلغ مبلغ الرجال وقيل لا اشكال في ذلك لانه عليه الصلاة والسلام لم يكن له ابن يوم نزول الآية لان السورة مدنية نزلت على ما نقل عن ابن الاثير في تاريخه الكامل السنة الخامسة من الهجرة وفيها تزوج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بزينب ومن ولد له صلى الله تعالى عليه وسلم من الذكور ممن عدا ابراهيم فانما ولد بمكة قبل الهجرة وتوفي فيها وابراهيم وان ولد بالمدينة لكن ولد السنة الثامنة من الهجرة فلم يكن مولودا يوم النزول بل بعده وهو كما ترى وكما استشكل النفي بما ذكر استشكل بالحسن والحسين فقد كان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أبا لهما حقيقة شرعية ولم يرتض بعضهم هذا الجواب بخروجهما بالاضافة لان لهما نسبة الى المخاطبين باعتبار الولادة لدخول علي كرم الله تعالى وجهه فيهم وهما ولداه وارتضاه آخر بناء على ان الاضافة للاختصاص باعتبار الولادة ولا اختصاص للحسنين بعلي رضي الله تعالى عنهم باعتبارها لانهم ولدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أيضا لكن بالواسطة

فان قيل هذا فذاك والا فالجواب اما ما قيل من ان المراد بالرجال البالغون ولم يكونا رضى الله تعالى عنهما يوم النزول كذلك فان الحسن ولد السنة الثالثة من الهجرة والحسين رضى الله تعالى عنه ولد السنة الرابعة منها لخمس خلون من شعبان وقد علقت به أمه رضى الله تعالى عنها عقب ولادة أخيه بخمسين ليلة أو أقل وكان النزول بعد ولادتهما على ما سمعت آنفا واما ما قيل من ان المراد بالاب فى الآية الاب الصلب ومعلوم انه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن أباهما كذلك فتدبر وقيل ليس المراد من الآية سوى نفى أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من الرجال بالتبنى كابوته عليه الصلاة والسلام لزيد التى بزعمها المعترض كما يدل عليه سوق الآية الكريمة فكانه قيل ما كان محمد أبا أحد من رجالكم كما زعمتم حيث قلتم أبو زيد لتبنيه اياه وهى ساكتة عن نفى أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد بالولادة أو بالرضاع وعن اثباتها فلا سؤال بمن ولد له صلى الله تعالى عليه وسلم من الذكور ولا بالحسنين رضى الله تعالى عنهم ولا جواب والى اختيار هذا يميل كلام أبى حيان والله تعالى أعلم واستدل بعض الشافعية بهذه الآية على انه لا يجوز ان يقال للنبى عليه الصلاة والسلام أبو المؤمنين حكاه صاحب الروضة ثم قال ونص الشافعى عليه الرحمة على انه يجوز ان يقال له صلى الله تعالى عليه وسلم أبو المؤمنين أى فى الحرمة ونحوها وقال الراغب بعد ان قال الاب الوالد ما نصه ويسمى كل من كان سببا فى ايجاد شئ أو اصلاحه أو ظهوره أبا ولذلك سمى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أبا المؤمنين قال الله تعالى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وفى بعض القراآت وهو أب لهم وروى انه عليه الصلاة والسلام قال لعلى كرم الله تعالى وجهه أنا وأنت أبو هذه الامة والى هذا أشار صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى انتهى فلا تغفل وعلى جواز الاطلاق قالوا ان قوله تعالى ولكن رسول الله استدراك من نفى كونه عليه الصلاة والسلام أبا أحد من رجالهم على وجه يقتضى حرمة المصاهرة ونحوها الى اثبات كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أبا لكل واحد من الامة فيما يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم له صلى الله تعالى عليه وسلم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه الصلاة والسلام فان كل رسول أب لامته فيما يرجع الى ذلك وحاصله انه استدراك من نفى الابوة الحقيقية الشرعية التى يترتب عليها حرمة المصاهرة ونحوها الى اثبات الابوة المجازية اللغوية التى هى من شأن الرسول عليه الصلاة والسلام وتقتضى التوقير من جانبهم والشفقة من جانبه وقيل فى توجيه الاستدراك أيضا انه لما نفيت أبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لاحد من رجالهم مع اشتهار ان كل رسول أب لامته ولذا قيل ان لوطا عليه السلام عنى بقوله هؤلاء بناتى هن أطهر لكم المؤمنات من أمته يتوهم نفى رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بناء على توهم التلازم بين الابوة والرسالة فاستدرك باثبات الرسالة تنبيها على ان الابوة المنفية شئ والمثبت للرسول شئ انتهى ولنفاسة هذا الكلام نقلناه بطوله وقلما تجد مثل هذا التحقيق فى كتاب والله تعالى الهادى الى صوب الصواب ﴿الامر الثانى﴾ من الامرين ان ما أشار اليه الناظم سلمه الله تعالى من كون نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم سيد الانبياء وتاج الاصفياء هو مما لا خلاف فيه ولا شبهة تعتريه ومن وقف على سيرته ومعجزاته واطلع على صفته وباهر آياته

قوله أبو هذه الامة هكذا فى نسخة المؤلف بدون ألف تثنية بعد أبو وحرر الرواية

وعلم درجته فى العلوم الربانية والاسرار الالهية التى كانت علوم أمته بالنسبة اليها كقطرة من بحر وذرة من جبل تبين لديه ان ما قلنا من البديهيات والقضايا الاوليات فهو أكمل المظاهر والمنبأ قبل العناصر أول ظافر بالكنزية وأسبق موصوف بالمهدية المتحلى بأحسن الصفات المتجلى بأعلى المقامات السارب فى أقصى ساحات القرب الشارب من أصفى راحات الحب المخصوص من الخلق برؤية الذات الغريق بمولاه سبحانه وان لاحظ آثار الصفات عروس الاكوان وتاج رأس الزمان واسطة سلسلة الامكان وانسان نوع الانسان جرثومة الوجود الحقيقى مرآة الوجود الحق رياض الملكوت بزهر جماله مونقة وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة

كيف ترقى رقيك الانبياء * ياسماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا * ل سنا منك دونهم وسناء
انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء
أنت مصباح كل فضل فما يصـ * ـدر الا عن ضوئك الاضواء
لك ذات العلوم من عالم الغيـ * ـب ومنها لآدم الاسماء

ولو كان المتكلم كله السنة تاليه والسامع كله آذانا واعيه ما بلغ أقل ما حواه ولا وصل الى درجة من على مزاياه وقال الجد طيب الله تعالى ثراه ان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم أفضل من جميع الانبياء والمرسلين عليهم السلام مما يجب اعتقاده ومثله اعتقاد أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات على الاطلاق ولا يعارض هذا قوله عليه الصلاة والسلام لمن قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا تخيرونى على موسى ولا قوله عليه الصلاة والسلام ما ينبغى لعبد أن يقول انى خير من يونس بن متى اما لانه قاله صلى الله تعالى عليه وسلم قبل الاعلام بانه سيد الاولين والآخرين واما لان النهى انما هو عن تفضيل يؤدى الى نقص المفضول أو الى الخصومة والفتنة وقيل فى الاخير انه اشارة الى نفى المكان له تعالى فتأمله فانه دقيق وكما انه عليه الصلاة والسلام أفضل من الجميع أفضل من المجموع عند جمع وخبر من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه لا يأباه لجواز أن يكون ذكره تعالى لذلك الذاكر يوم القيامة فى ملا فيه جميع الانبياء حتى خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام وقيل يعتبر فى الملا الذين يذكر الذاكر فيهم الله عز وجل بضرب من التجوز ويدل على أفضليته عليه الصلاة والسلام على كل كنتم خير أمة أخرجت للناس وكذلك جعلناكم أمة وسطا وأنا سيد ولد آدم ولا فخر وعلى المجموع كونه عليه الصلاة والسلام سبب الايجاد على ما اشتهر فيكتب له مثل ما يكتب لجميع المكلفين من الاعمال الصالحة ضميمة الى عمل نفسه وقد ذهب البعض الى ان جميع الشرائع المتقدمة على ظهوره صلى الله تعالى عليه وسلم شريعته عليه الصلاة والسلام والانبياء عليهم السلام من قبله نوابه فى التبليغ ووقوع النسخ فى هاتيك الشرائع كوقوعه فى شريعته عليه الصلاة والسلام التى ظهر بها وعلى هذا قول من قال

كل النبيين والرسل الكرام أتوا * نيابة عنه فى تبليغ دعواه
فهو الرسول الى كل الخلائق فى * كل الدهور ونابت عنه أفواه

وقد أشار الى هذه السببية ابن الفارض قدس سره بقوله على لسان الحقيقة المحمدية

واني وان كنت ابن آدم صورة * فلى فيه معنى شاهد بأبوتى

وورا. هذا كلام تتعثر باذيال الخوف من ذكره الاقلام ولكنى أقول

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم * واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

ولا يخفى ما فى البيت من المحاسن البديعية فى باب وصل وما فى الوصل والتوصل من الجناس وغير ذلك مما لا يخفى على الفطن النبيه (قال الناظم) لا زال عالى العرفان مشيد الاركان

﴿ وبعالى عرفانه فى المهما * ت الى الله ربنا يتوسل ﴾

أقول (العالى) المرتفع من علا يعلو علوا والعلى الرفيع القدر واذا وصف به الله سبحانه وتعالى كما فى انه العلى الكبير فمعناه انه يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين فأنى لعنكبوت الفكر أن يعرج بلعابه الى سماء قدسه ولخفاش الذهن أن يفتح عينه فى أنوار شمسه

هيهات ان تصطاد عنقاء البقا * بلعاب عناكب الافكار

والعرفان مصدر عرف وكذا المعرفة وهو عند القوم شهود الله فى مظهر جامع بين الظاهر والباطن والمراد به هنا مطلق ما انطوى عليه من الاسرار الشريفة وما حواه من العلوم المنيفة واضافة العالى اليه من اضافة الصفة الى الموصوف (والمهمات) جمع مهمة وهى النازلة المحزنة التى توقع صاحبها فى الهم أى الحزن وفى متعلقة بيتوسل (والله) علم على ذات الحق سبحانه لا يقبل التعدد لا ذهنا ولا خارجا وليس معناه كمعنى الاله والا لزم استثناء الشئ من نفسه فى الكلمة الحافظة للمال والنفس ولزم عدم حصول التوحيد منها والاجماع على خلافه وفى المطول وحواشيه تحقيق لطيف يتعلق بهذا اللفظ الشريف وهو عند جماعة كالامام الشافعى وامام الحرمين وطائفة من الائمة مرتجل لا اشتقاق له أصلا وهو عربى لا معرب ولا سريانى ولمدعى النقل والاشتقاق اختلاف كثير وتحقيق الحق بما تنبسط به الروح وترتاح فى روح المعانى تفسير الجد طاب الله تعالى ثراه بيد أنى أذكر لك ههنا فائدة بديعة ذكرها الحافظ ابن القيم عليه الرحمة فى كتابه بدائع الفوائد حيث قال زعم السهيلى وشيخه أبو بكر بن العربى ان اسم الله تعالى غير مشتق لان الاشتقاق يستلزم مادة يشتق منها واسمه تعالى قديم والقديم لا مادة له فيستحيل الاشتقاق ثم قال ولا ريب ان أريد بالاشتقاق هذا المعنى وانه مستمد من أصل آخر فهو باطل ولكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى ولا ألم بقلوبهم وانما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهى الالهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والعفو والرحيم والسميع والبصير فان هذه الاسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهى قديمة والقديم لا مادة له فما كان جوابكم عن هذه الاسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله ثم الجواب عن الجميع انا لا نعنى بالاشتقاق الا انها ملاقية لمصادرها فى اللفظ والمعنى لا انها متولدة منها تولد الفرع من أصله وتسمية النحاة المصدر والمشتق منه أصلا وفرعا ليس معناه ان أحدهما تولد من الآخر وانما هو باعتبار ان أحدهما متضمن للآخر وزيادة وقول سيبويه ان الفعل امثلة أخذت من لفظ أحداث الاسماء هو بهذا الاعتبار لان العرب تكلموا بالاسماء أولا ثم اشتقوا منها الافعال فان التخاطب بالافعال ضرورى كالتخاطب بالاسماء لا فرق بينهما فالاشتقاق هنا ليس هو اشتقاق مادى وانما هو اشتقاق تلازم سمى المتضمن فيه بالكسر مشتقا والمتضمن بالفتح مشتقا منه ولا محذور فى

اشتقاق

اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى انتهى ومن الغريب ما نقل عن بعض الصوفية ان اسم الذات الجليل هو الهاء وحده وهو جار مع أنفاس الخلائق من حيث يشعرون ومن حيث لا وما ألطف قول بعضهم ومن عجب انى أحن اليهم

واسأل عنهم من لقيت وهم معى * وتطلبهم عينى وهم فى سوادها * ويصبو اليهم قلبى وهم بين أضلعى

وقد ذكروا مناسبات كثيرة لوضع الهاء للذات الاقدس ان أردتها فارجع الى الفتوحات المكية للشيخ الاكبر قدس سره الانور (والرب) فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله بحسب استعداده الازلى شيأ فشيأ وكانها من ربى الصغير كعلا اذا نشأ فعدى بالتضعيف ووصف به للمبالغة الحقيقية أو الصورية فالتجوز فيه اما عقلى من قبيل فانما هى اقبال وادبار أو لغوى كاسئل القرية وقيل هو صفة مشبهة وفى شرح التسهيل انه ممنوع والظاهر انه من مبالغة اسم الفاعل أو هو اسم فاعل وأصله راب فحذفت ألفه كما قالوا رجل بار و بر قاله أبو حيان ويؤيده اضافته للمفعول وقد ذكروا ان الصفة المشبهة تضاف الى الفاعل ويطلق على الخالق والسيد والمالك والمنعم والمصلح والمعبود والصاحب الا أن المشهور كونه بمعنى التربية فلذا قال بعض المحققين انه حقيقة فيه ولان اللفظ اذا دار بين المجاز والاشتراك يحمل على المجاز ولا يطلق لغة على غيره تعالى اطلاقا مستفيضا الا مقيدا باضافة ونحوها مما يدل على ربوبية مخصوصة وقول ابن حلزة فى المنذر بن ماء السماء

وهو الرب والشهيد على يو * م الحيارين والبلاء بلاء

نادر واستظهر الجلال السيوطى أن المراد نفى اطلاقه على غيره تعالى شرعا والشعر جاهلى وفى كلام الجوهرى ما يؤيده وقال بعضهم لو كان بمعنى غير المالك جاز مع القرينة اطلاقه على غيره تعالى وجوز جمع اطلاقه منكرا كما فى قول النابغة

تخب الى النعمان حتى تناله * فدى لك من رب طريفى وتالدى

وذكر آخرون اطلاقه مقيدا بالاضافة الى عاقل كرب العبد لايهام الاشتراك وفيه تأمل وروى الشيخان عن أبى هريرة لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك ولا يقل أحد ربى وليقل سيدى ومولاى وأجابوا عن قول الكريم ابن الكريم ارجع الى ربك وانه ربى ونحوه بانه مثل السجود له المفاد بقوله تعالى وخروا له سجدا المخصوص جوازه بذلك الزمان ومن ادعى نسخ الحديث فعليه البيان ﴿ والتوسل ﴾ التقرب يقال وسل الى الله تعالى توسيلا عمل عملا تقرب به اليه كتوسل وحاصل معنى البيت ان ذلك الامام المرشد والملهم فى بيداء السلوك والمنجد قد حوى من الاسرار الالهية ما يتقرب المتقربون به الى الله وجمع من العلوم اللدنية ما هو أعظم وسيلة لمن أراد الفوز بمناه ببركته تنزاح الشدائد والمصائب وبعلومه وعرفانه تنقشع غياهب النوائب وان ما أشار اليه الناظم من التوسل الى الله تعالى بما ذكر هو مما اتفق المحققون على جوازه وأما الافراط الذى ينقل عن الوهابية من عدم جواز اتخاذ وسيلة الى الله تعالى أصلا فلا يخفى ان ذلك مخالف لنصوص الشريعة الغراء وما ذهب اليه السلف الصالح والتفريط وهو ما ذهب اليه بعض الجهلة من ان التوسل الى الله تعالى جائز بكل شئ حتى بالجماد والحيوان البهيم والكفار فهو نوع زيغ عن سبيل الحق وتفصيل الكلام ليس هذا محله فعليك أيها الاخ بالتمسك بما جاء به الكتاب والسنة ولا

تغتر بشبهات الاوهام فان المحنة فيها كل المحنة والله يحق الحق وهو يهدى السبيل (قال الناظم) لازال راجحا وفى أموره ناجحا

﴿وجدير بمن يراه ضراعا ٭ ان يرى النجح فى الامور ويقبل﴾

أقول ﴿الجدير﴾ الحقيق ﴿ويراه﴾ يعلمه والضمير عائد على من وفاعل يرى ضمير مستتر فيه عائد الى الاسم الجليل واعلم ان الاصل توافق الضمائر فى المرجع حذرا لتشتت وقد يخالف بين الضمائر حذرا من التنافر وتفكيك الضمائر انما يكون مخلا بحسن النظام اذا كان كل منها راجعا الى غير ما يرجع اليه الباقى أو يرجع ما فى الوسط منها الى غير ما يرجع اليه ما فى الطرفين فلابد من صون الكلام الفصيح عنه واما التفكيك الذى لا يفضى اليه كما اذا رجع الاول أو الآخر منها الى غير ما يرجع اليه الباقى كالذى وقع فى آية الوصية وهى قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه فلا يكون فيه شئ من الاخلال وقد نظم فيه أبو البقاء رحمه الله تعالى فقال

اذا كان تفكيك الضمائر مفضيا ٭ الى ما يخل النظم فاحذر من الخلل
بان خالف الاطراف وسط بمرجع ٭ كذا سابق منها بباق فقد اخل
واما اذا كان الخلاف لاول ٭ بباق كذا للآخر اسمع فلا تخل
دليلك فى حسن النظام وصية ٭ ألم تر أن الله قد بين العمل

﴿والضراع﴾ من ضرع اليه ويثلث ضرعا محركة وضراعة خضع وذل واستكان أو كفرح ومنع تذلل فهو ضارع والنجح بالضم والنجاح بالفتح الظفر بالشئ ﴿والامور﴾ جمع أمر وهو هنا الحادثة ويطلق على ضد النهى وللاصوليين فى تعريفه كلام طويل ليس هذا محل استقصائه ﴿ويقبل﴾ بالبناء للمفعول من القبول أى يكون مقبولا أى مرضيا عنه وقد يفسر بما ذكر مع ضم الاثابة ولكل مقام مقال وحاصل معنى البيت ان من يراه الله تعالى متوسلا بما أنعم سبحانه به على ذلك الولى الكامل من العرفان ومتذللا اليه جل شأنه بما أودعه فى ذلك المرشد الواصل من الاسرار العلية الشان حقيق ان ينجح فى أموره وجدير ان يظفر بمطلوبه ومرغوبه وان يكون من المقبولين عند الله والواصلين من رضائه سبحانه الى منتهاه كيف لا وهو باب الوصال وواسطة نيل أمانى أهل الحال والقال رافع العلمين ومقتدى الطائفتين وما أتم غير الله مدة عمره ٭ وحاشا وما للغير فى السير عائد

مراحل لم يستقصها قط ناسك ٭ سواه ولا يرقى لها قط زاهد
بصيرته القلبية استنهضت به ٭ الى سبل للسير فيها مراصد
تقرب من قوس الصعود حمى فلا ٭ يقاس به الا ه والله صاعد
وشاهد من شمس الحقيقة مشرقا ٭ يذوب بسيماه الحصى والجلامد
أمير رياضات النفوس وان من ٭ أساطينها تلقى اليه المقالد
عليه رحى العرفان دارت لانه ٭ هو القطب والابدال فيها فراقد
ففى قصده عرفان باريه هل ترى ٭ تقوم به أبياتنا والقصائد

ولا يخفى ما فى البيت من الاغراء على محبته ولزوم طريقته ومحجته (قال الناظم) لازال فى عين الرضا وفى ساحة اللطف روضا

﴿رضى الله عنه ما افتر ثغر الروض لطفا فى ساحة رشها الطل﴾

أقول ﴿الرضاء﴾ ضد السخط وكذا الرضوان ويضمان ورضاء الله تعالى عن العبد ان يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه ورضاء العبد عن الله تعالى ان لا يكره ما يجرى به قضاؤه وقيل رضاء الله تعالى عن العبد قبول أعماله ورضاء العبد فرحه بما أعطاه سبحانه من أنواع الكرامة وقال الجنيد الرضاء يكون على قدر قوة العلم والرسوخ فى المعرفة والرضاء حال يصحب العبد فى الدنيا والآخرة وليس محله محل الخوف والرجاء والصبر والاشفاق وسائر الاحوال التى تزول عن العبد فى الآخرة بل العبد يتنعم فى الجنة بالرضاء ويسأل الله تعالى حتى يقول لهم برضائى أحلكم دارى أى برضائى عنكم وقال محمد بن الفضل الروح والراحة فى الرضا واليقين والرضا باب الله الاعظم ومحل استرواح العابدين وقال السنوسى فى شرح الوسطى رضاء الله تعالى اما صفة فعل بمعنى الانعام أو صفة ذات بمعنى ارادة الانعام ويتعين الاول فى مقام الدعاء لان الدعاء انما يكون بمستقبل غير حاصل فى الحال وارادة الله تعالى أزلية يستحيل تجددها حتى يتعلق بها الدعاء وفى الغنيمى عليه ولك ان تقول ولو على بعد تجوز ارادة الثانى نظرا لتعلق الارادة الحادثة وذلك لا يستحيل تجدده ﴿وما﴾ مصدرية زمانية كما فى قوله تعالى ما دمت حيا فان أصله مدة دوامى حيا فحذف الظرف وخلفته ما وصلتها كما جاء فى المصدر الصريح جئتك صلاة العصر وآتيك قدوم الحاج والقول بانها تدل على الزمان بذاتها لا بالنيابة يستلزم ان تكون اسما لا مصدرية على ما قاله غير واحد ﴿وافتر﴾ تبسم كذا فسره المطرزى وهذا هو المناسب للثغر والمعانى التى ذكرت فى القاموس لا تناسب المقام ﴿والثغر﴾ الفم أو الاسنان أو مقدمها أو ما دامت فى منابتها أو ما بنى فى دار الحرب وموضع المخافة والمراد به ههنا الفم ﴿والروض﴾ قال فى القاموس من الرمل والعشب مستنقع الماء لاستراضة الماء فيها أى لاستنقاعه فيها وذكر الجوهرى مثل ذلك ﴿والساحة﴾ الفضاء بين دور الحى على ما سبق ﴿والرش﴾ معروف ﴿والطل﴾ المطر الضعيف أو اخف المطر وأضعفه أو الندى أو فوقه ودون المطر جمعه طلال وطلال كعنب ولاسماء المطر وأوصافه تفصيل ليس هذا محله ومعنى البيت ظاهر للعيان لا يحتاج الى كشف وبيان وحاصله طلب الرضوان من الله تعالى ما دامت السماء والارض وتفتحت الاكمام وأزهر الروض ولا يخفى ما فى تأبيد الترضى بما ذكر من المناسبة التى تعطرت بنفحاتها أرجاء قلوب العارفين وتفتقت برياها أزهار صدور الواصلين وهذا البيت وان كان لفظه لفظ الخبر يراد به الانشاء كما لا يخفى على أرباب النظر وتقييد الترضى بما ذكر يفيده دلالة على ما لم يقيد بذلك لا غير قال الجد طيب الله تعالى ثراه وأنا لا أرى مثل قول القائل اللهم صل على محمد ألف مرة فى الثواب كالصلاة عليه بالفعل ألف مرة وأبعد من ساوى بينهما حتى فى التضعيف على معنى انه تضاعف له الالف بمجرد قوله ألف مرة كما أتى بها بالفعل ودونه من قال يثبت له ثواب الالف غير مضاعفة نعم فضل الله تعالى واسع فيثيب عز وجل على القليل بالكثير نسأل الله تعالى من فضله واعلم انه لا بأس بالترضى على سائر صلحاء الامة كما وقع كثيرا فى عبارة غير واحد من الاجلة بل ولا مانع من ذلك لا عقلا ولا نقلا وان شاع خلاف ذلك بين الناس فقد قيل ان تعالى مخصوص بالله سبحانه ولا يقال ذلك لجليل

غيره عز شأنه وان كان له تعالى من وجه فلا يقال قال النبي تعالى وهذا كما لا يقال صلى الله تعالى عليه وسلم لغير الانبياء من البشر وغيرهم وان كان ذلك دعاء بالرحمة والسلامة فلا يقال قال علي مثلا صلى الله تعالى عليه وسلم بل هو مكروه عند الحنفية والشافعية الا تبعا للنبي عليه الصلاة والسلام مثل صلى الله وسلم على النبي وابن عمه علي ومثل ذلك عليه السلام وليت شعري هل يقال للمسلم عند الملاقاة السلام عليك وكذا اذا كتب له كتاب وكذا يقال عند قبره ما ورد ولا يقال مثل ذلك عند ذكره سيما اذا كان من أخيار الامة وأبرارها وقد جوزت الحنابلة ذلك بلا كراهة لحديث اللهم صل على آل أبي أوفى وأجاب عنه من أجاب بان المنع رعاية لحقه عليه الصلاة والسلام والقائل هنالك هو نفسه وأنت ترى ما فيه من الوهن ولعل الكراهة عند من يقول بها في عليه السلام أهون منها في صلى الله تعالى عليه وسلم أو عليه الصلاة والسلام وكما لا يقال رضي الله تعالى عنه لغير صحابي عند جمع لكن ضعفه في المجموع والحاصل ان المشهور ان تعالى ونحوه كسبحانه وعز وجل لله تعالى والتصلية والتسليم للانبياء والترضي للصحابة في قول والترحم لسائر المؤمنين وكذا الدعاء بالمغفرة وشاع استعمال قدس سره للاولياء ولم نقف على استعمال السلف له والعجب من بعض الجهلة انك لو دعوت لولي بالمغفرة فقلت غفر الله تعالى له مثلا رموك بالانكار مع ان الله تعالى يقول والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وان كان المراد بهذا على ما قيل مدحهم بمطلق الدعاء الاخروي لاخوانهم المؤمنين وآه ثم آه من زمان لا يسع العالم ان يقول للجهلة ما يعلم وفي شروح الشفاء ما يشفي العليل مما يتعلق بهذا المقام فعليك بها ولقد أحسن الناظم أحسن الله تعالى خاتمته بما ختم به قصيدته وبعض الادباء يختمون قصيدهم بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من غير ان يبتدؤن بها وقد صرح غير واحد بكراهة مثل ذلك وكذا في آخر التقرير وفي الوهبانية

وقد كرهوا والله أعلم ونحوه * لاعلام ختم الدرس حين يقرر

قال شارحها واراد بنحوه وصلى الله على سيدنا محمد وتمام الكلام أوردته في عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر وفي البيت من المحاسن البديعية مراعاة النظير كما لا يخفى وقد تقدم الكلام فيه وفيه أيضا حسن الختام وهو ان يختم البليغ كلامه باجود معنى يحسن السكوت عليه وأعذب ألفاظ لتميل القلوب اليه لانه آخر ما يبقى في الاسماع لئلا تنفر منه الطباع وربما حفظ من دون سائر الكلام فان كان مختارا حسنا تلقاه السمع واستلذ به الطبع حتى انه يقع جابرا لما تقدم من فظاظة الكلام وركاكة النظام وان كان بخلاف ذلك كان على عكس ما هنالك وما أحسن قول البرهان القيراطي في ذلك

يا امام الهدى عليك صلاة * وسلام في الصبح ثم العشاء

ما صبا في أصائل قلب صب * ذكر الملتقى على الصفراء

وما أعطر قول ابن الوردي صلى عليك الله يا خير الورى * ما نار نور من ضريحك في الدجا

﴿فائدة﴾ نسب الناظم حفظه الله تعالى هو السيد محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادي ابن السيد علي ابن السيد خزام بن السيد علي خزام ابن القطب السيد حسين برهان الدين ابن السيد عبد العلام ابن السيد عبد الله شهاب الدين ابن السيد محمود الصوفي ابن السيد محمد

برهان ابن السيد حسن أبي محمد الغواص ابن السيد الحاج محمد شاه الرندي ابن السيد محمد خزام دفين الموصل ابن السيد نور الدين ابن السيد عبد الواحد ابن السيد محمود الاسمر ابن السيد حسين العراقي ابن السيد ابراهيم العربي ابن السيد محمود ابن السيد عبد الرحمن شمس الدين ابن السيد عبد الله نجم الدين القاسم ابن السيد محمد خزام السليم ابن السيد شمس الدين عبد الكريم ابن السيد صالح عبد الرزاق ابن السيد شمس الدين محمد ابن السيد صدر الدين علي ابن القطب الاعظم السيد عز الدين أحمد الصياد سبط سيد الاولياء أبي العلمين الغوث الاكبر لا ثم يد النبي الاطهر سيدنا السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه ووالد السيد عز الدين أحمد الصياد هو السيد ممهد الدولة عبد الرحيم ابن السيد عثمان ابن السيد حسن ابن السيد محمد عسلة ابن السيد حازم ابن السيد أحمد ابن السيد علي المكي ابن السيد رفاعة الحسن نزيل المغرب ابن السيد المهدي ابن السيد أبي القاسم محمد ابن السيد الحسن ابن السيد الحسين ابن السيد أحمد ابن السيد موسى الثاني ابن السيد ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين علي ابن الامام الحسين شهيد كربلا سبط النبي صلى الله عليه وسلم وابن أمير المؤمنين سيدنا الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه وعنهم أجمعين

نسب أقام من الفخار قلادة * نظمت من الدر اليتيم عقودا

ما فيه الا سيد من سيد * جمع المكارم والعلا والجودا

وليكن هذا آخر ما يسره المولى عز اسمه من شرح دقائق أبيات هذه القصيدة النضيدة ونهاية ما وفقه سبحانه من كشف نقاب درر كلمات هاتيك الخريدة والدرة الفريدة بل لعمري انها الشذور الذهبية والعقود العسجدية بل انها النغمات التي تساجلت بها العنادل وملئت بترنمها لهوات أقفاص المحافل بل انها كما قال فيها الاديب والفطن اللبيب أبو النصر يحيى أفندي حفنا واياه بلطفه المعيد المبدي مخاطبا ناظم عقودها وناسج حللها وبرودها

دام فينا لك الفخار المؤثل * يا اماما له الثناء المرتل

أي معنى بحسنه منك لاحت * مسفرات بنشرها الحظ أقبل

لست أدري أحلة بالدراري * نسجها معلم الطراز مكلل

أم شموس تبلجت من طروس * لك فيها من البلاغة جحفل

أم كتاب على فؤادك مما * جاء فينا به الرسول تنزل

ذكرتنا الآيات منه علوما * ضل عن درك غيبها من تاول

آنستنا بمدح جدك تهدي * كل صب على علاه تطفل

من لنفس له الجميل عليها * لو تفديه بالذي هو أجمل

أو تؤدي بمدحه بعض حق * فرضه جاء في الكتاب المنزل

ليت شعري وأي مدح يؤدي * حق مولى له المقام المبجل

والمثاني بفضله شاهدات * والبرايا بمثلها تتمثل

* يا خليلي والعتاب قبيح * خليانى بذكره أتجمل

خلياني أمد باع قصوري * للرفاعي أحمد لو تقبل

فهو للكل عمدة وملاذ * ليس الا على علاه المعوّل
خصه الله بالذى قد تجلى * منه كالشمس مجمل ومفصل
يوم مدت اليه بالفضل جهرا * كف خير الانام فى خير محفل
يارعى الله روضة غاب فيها * منه قبل المعاد بدر تهلل
كان فى الكون مسفرا مذ توارى * أظلم الخافقان والدهر أمحل
واستبانت حقائق أنبأتنا * ان منظوم عقدها قد تكمل

ولم أتعرض فيه لكثير من الدقائق العربية والفوائد الادبية حيث تكفل بذلك المطولات وقام باعباء ماهنالك متون الكتب المفصلات بل قد اقتصرت على مالابد منه من الفوائد ومايسهل تعاطيه من الشوارد فلذا جاء والحمد لله تعالى شرحا قد قصر عن الاطناب طنبه وترفعت عن الايجاز المخل رتبه والمرجو ممن سلم خيمه وعوفى من داء الحسد أديمه الصفح عن العثرات والعفو عما بدا من الزلات واصلاح ما أفسده اليراع وقصر عن أداء فرض الابداع فانى قد كتبت ما كتبت فى أقصر مدة من غير أسباب ولا كثير عدة ولا حررت لما هنالك مسودة وانى والله لاعد ذلك من الفتوح وكرامات ذلك الولى الممدوح وقد كنت فى أثناء الشرح منشرح الصدر مستقر البال لايكاد يمر فى جو قلبى غيوم الغموم ولا تخطر عواصف المحن فى الخيال مع ما أكابده من نوائب موجعه وطوارق مفجعه وحوادث أوهنت عظمى وطوائح طوحت جسمى واعتصرت الخطوب قلبى فاستقطرته دما ورمت الايام بسهامها فؤادى فاحالته ألما الى أمور أخرى علمها عند ربى مما يضرم ذكرها ضرام اكدارى ويؤجج لهبى اللهم انى أخلصت بانقطاعى اليك وأقبلت بكلى عليك وصرفت حاجتى عمن يحتاج الى رفدك وقلبت مسئلتى عمن لم يستغن عن فضلك فكم قد رأيت يا الهى من أناس طلبوا العز بغيرك فذلوا وراموا الثروة من سواك فافتقروا فأنت يامولاى دون كل مسؤل موضع مسئلتى ودون كل مطلوب اليه وبه مطمح انظار حاجتى أنت المخصوص قبل كل مدعو بدعوتى لايشركك أحد فى رجائى ولايتفق أحد معك فى دعائى ولاينظمه واياك ندائى وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد سر ايجاد الخلائق وخلاصة مفهوم الحقائق أول أصفيائك وخاتم أنبيائك وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه الذين وضح لديهم سرك الاعظم وفتح عليهم كنزك المطلسم ماغردت الاقلام فى رياض الطروس وصدحت الارقام على أغصان المدائح بما تطيب به النفوس وكان ذلك ليلة الجمعة قرب نصف الليل لست خلون من شهر ربيع الثانى من شهور السنة الخامسة بعد الثلاثمائة والالف من هجرة من أنزل عليه السبع المثانى صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم بقلم جامع هذه الحروف المفتقر الى عونه سبحانه وكرمه محمود شكرى بن السيد عبد الله بهاء الدين بن المفسر الشهير أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الحسينى الآلوسى البغدادى تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم والمسلمين فسيح جنته

قد تم طبع الكتاب المذكور على ذمة حضرة الشيخ محمد العبيسى الحموى وذلك بالمطبعة الخيرية المنشأة بحوش عطى بالجمالية تعلق حضرة السيد عمر حسين الخشاب وحضرة الشيخ محمد عبد الواحد الطوبى وذلك فى أواخر شهر رمضان المعظم سنة ١٣٠٥ هجريه

﴿تقاريظ كتاب الاسرار الالهية شرح القصيدة الرفاعية﴾

ممن قرظه العالم العلامة والكامل الفهامة فريد الذات وحيد الصفات جناب عبد الوهاب افندى ياهد أمين الفتوى ببغداد لازال موفقا للسداد

ان شرحا حوى الفخار المؤثل * لجدير بان يجلى وينقل
رق لفظا وطاب متنا وشرحا * حيث صعب القياد فيه تذلل
كم خبايا من سره قد عرفنا * ومزايا بها الزمان تجمل
فيه فن البديع أضحى بديعا * لو رآه البديع يوما تزلزل
أودعاه الخطيب يوما النادى * يالقومى هذا الكتاب المفصل
غير بدع ان صاغه شبل قوم * سند المجد فيهم قد تسلسل
هو حبر العلوم كهف السجايا * كان فى العصر آخرا وهو أول
كم أرانا من علمه رشحات * هى أبهى من الطراز المكلل
هو لولم يكن لدينا عبابا * مااستبحنا من فيضه خير جدول
خير شرح لخير نظم جليل * قد براه صدر الصدور المبجل
ذاك شيخ الشيوخ قطب رحاها * أوحدى الصفات والفضل أكمل
ذو السجايا أبو الهدى من تسامى * لمقام غدا عليه يعوّل *
خاض منه للسالكين عباب * فاستطابوا ذاك الرحيق المسلسل
كم علوم أبانها عن يقين * فاح منها التحقيق فى كل محفل
فيه سر من الاله منير * ذاك شكرى أبانه وهو أعدل
طاب أصلا ومحتدا حيث يمى * لامام رأى اليمين فقبل *
* ذل هذا بانه فرع طه * صفوة الخلق والورى خير مرسل
كيف أستطيع مدح قوم سراة * بثناهم أتى الكتاب المنزل
أنا ان نابنى مسلم أنادى * آل بيت بجدكم أتوسل
ان شكرى لفضلكم مستفيض * وولائى لديكم قد تسجل
لابرحتم سفن النجاة كراما * وعليكم سحائب الجد هطل

كتبه بقلمه ونطقه بفمه أفقر العباد عبد الوهاب أمين الفتوى ببغداد عفى عنه

للاديب الاريب والشاعر اللبيب الذى تحلت الطروس بنظمه ونثره وتزينت نحور الايام بفرائد دره الشيخ عباس العذارى والى الله عليه فيضه المدرارى

ان هذا الكتاب خير كتاب * لذوى الفهم نزهة الالباب
فيه للناظرين روضة علم * قد سقتها سحائب الآداب
فيه علم وفيه فضل وفخر * وكمال وفيه فصل الخطاب
سجعت فيه فكرة الندب محمود شكرى مقدس الاحساب
وبه شارحا قصيدة ذى الفضل المعلى أبى الهدى الاواب

علم الفضل والعلوم جميعا * لم يزل فى العلى رفيع القباب

ماجد أورع تقى نقى * ذو مزايا لم تنحصر فى حساب

وبها ما دحا سليل هداة * قد أتى مدحهم بآى الكتاب

هو ذاك الولى الرفاعى أحمد * نسل الاطايب الانجاب

ذو الكرامات والمزايا التى قد * ظهرت للورى بغير ارتياب

قدوة المرشدين سام علاه * عمدة السالكين والطلاب

لم يزل سابقا الغايات فضل * طرف عرفانه بها غير كابى

ان شكرى هذا المحمود شكرى * لا أمارى فيه ولست أحابى

فلعمرى لقد أجاد بهذا الشرح لا زال ناطقا بالصواب

وبما قد أبان فيه من الاسرار من فيض ذى العلى الوهاب

كاشفا عن رموزها والخفايا * عن معان كانت وراء حجاب

وعن الغامضات عنها بايدى * فكره قد أماط كل نقاب

أيها السيد الذى قد تسامى * شرفا فى مكارم الانساب

انما أنت فى العلوم خضم * هو حلو المذاق عذب الشراب

وبهذا الكتاب انك قد أحرزت فخرا يبقى على الاحقاب

غير بدع ولا نرى بعجيب * منك اذ جئتنا بكل عجاب

وبجو الكمال لو لحت نورا * فلأنت الشهاب وابن الشهاب

كتبه الفقير عباس العذارى

للفطن الذكى والاديب اللوذعى ذى النظم الرائق والنثر الفائق الملا على بن سلمان المدرس فى البصرة الفيحاء صانه الله تعالى من كل بلاء

أعقود بارقة النحور * أم در باسمة الثغور

أم غصن بان مائس * أم نسمة الروض المطير

أم هذه زهر النجو * م تضئ فى الافق المنير

أم بدر تم قد بدى * يحكى سنا الظبى الغرير

أم شمس راح أشرقت * فى أوج أبراج السرور

أم برق كاسات الحميا لاح فى كف المدير

أم طفلة بدوية * حوراء كالظبى النفور

هيفاء وشحت الترا * ئب والنحور من الثغور

تسبى العقول اذا انثنت * كالغصن ترفل فى الحرير

بل ذاك شرح قد حوى * علما به شرح الصدور

من كل معنى رائق * فى الحسن كالدر النثير

فاقت فرائد شعره الشغالى على الشعرى العبور

سطر المعارف والعوا * رف واللطائف فى السطور

كم طالب لعلومه * أرواه بالعذب النمير

عن صدره من عجزها * قعدت مقامات الحريرى

سفر به قد آذنت * روح المعانى بالسفور

شرح به كشفت حقا * ئق ما تستر فى الخدور

من نشر طيب قصيدة * تسمو على نشر العبير

لابى الهدى وأخى التقى * والمجد ذى الشرف الخطير

رب السيادة والسما * حة والفخار المستنير

شيخ الطريقة والحقيقة * غوث أرباب الصدور

عجبا له فاق الاوا * ئل وهو فى الزمن الاخير

أنشاه محمود السجا * يا الغر ذو العلم الغزير

شكرى الذى فى فضله * وعلاه كالبدر المنير

ذاك الامام ابن الاما * م ابن الامام بلا نكير

علامة الآفاق رب الفضل والحسب الشهير

شمس الهداية والتقى * والعلم نادرة العصور

شهم يذل لعزه * صعب القياد من الامور

ليث قد اتخذ العرين * بقنة الفلك الاثير

فسما بغيث يراعه * فى روض هاتيك السطور

لم تكتحل عين الزما * ن له بمثل أو نظير

لا زال يبرز غامض الاشكال بالفكر المنير

وكذاك لا ينفك فى * سعد على مر الدهور

قاله بفمه ورقمه بقلمه الفقير اليه عز شأنه على بن سلمان عفى عنه

تقريظ عين أعيان الفضلاء وواسطة عقد أجلة الادباء مصطفى أفندى الانطاكى الحلبى نزيل بغداد صانه الله تعالى من الاكدار والانكاد وهو

ما على غير ما تراه المعول * فاطرق الرأس هيبة وتأمل

كيف يؤتى الاله بعض رجال * حكمة نور نفعها الكون يشمل

فهم كالنجوم فى كل آن * يهتدى فى سناهم كل من ضل

وأجل مقلتيك مفتكرا فى * حسن هذا الشرح البديع المكمل

* تلق ما بين دفتيه عقودا * نظمتها أفكار حبر مفضل

شرح نظم فى وصف حضرة قطب الاوليا أحمد الرفاعى ترتل

قد حبانا أبو الهدى نور ذاك الكوكب الباهر السنا وتفضل

فتصدى له سمير المعالى * الالوسى محمود شكرى المبجل

كاشفا عن رموزه حجب الاشكال مستوفيا به كل مأمل

مودعا فيه كل بحث دقيق * مستبين دليله لم يؤول

دمت مولى الكمال بحر علوم * مستمدا من فضله كل جدول

ان هذى آثارك الغر تقضى * لك ما عشت بالفخار المؤثل

قد شرحت الصدور منا بشرح * فيه للواردين أعذب منهل

وهو فأل من السعادة وافى * بضمان لكل ما نتأمل

بين من قاله ومن قيل فيه * لك حظ من المقاصد أكمل

دام شكرى على خصوصا وشكر الناس يتلى عليك فى كل محفل

الفقير اليه تعالى مصطفى الانطاكى عفى عنه

وممن قرظه جناب من تحلى بحلل الفضل والكمال واستولى على سويداء قلب الادب بسحره الحلال الحسيب النسيب والكامل الاديب سويدى زاده يوسف افندى لازال نور سودده ساطعا وكوكب سعده لامعا

سعدت بغداد باسعد * وعنها الجهل أبعد

وسما العلم بها من * بعد ما قد كاد يفقد

مذ حباها الله محمو * د الذى للعلم شيد

فاضل قد ورث الفضل * عن الآباء والجد

وهمام قد رقى بالعلم * أعلا رتب المجد

فلعمرى شرحه للسعد * وللسيد أقعد

ذاك شرح خرت الكتب * الى علياه سجد

فجدير ان غدت أفواه * للفخر فرقد

كيف لا يسمو وقد جا * ء بمدح الغوث أحمد

الامام السيد الحجة * والركن المشيد

يا سليل المصطفى الها * دى ومن للخلق أرشد

حزت فخرا فضله يبقى * الى الحشر مخلد

وتسامت بكم الزو * راء فضلا ليس يجحد

دمت فى أسعد عز * وأتم العيش أرغد

الداعى يوسف السويدى العباسى البغدادى عفى عنه